سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (25) عدد خاص | 13 / 3 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

ثورة الكرامة في الذكرى الأولى

لن نكون إلا أحراراً

احتفالية "الشارع" السوري.. عام من الثورة

■ عامر مطر

يخترق الرصاص حناجر السوريين، ويغنون للحرية، ويرسمون للسخرية من القذائف التي تدمر بيوتهم... يغنون ويرسمون ويصورون لصنع عيد له ملامح الحرية.

بعد عام من الثورة على الطغيان والعتمة، لابد من الاحتفال بالفن الذي أبدعته أحلام السوريين وساحاتهم وشوارعهم. الاحتفال بالصمود رغم العنف والة القتل التي تنهش المدن والأجساد البريئة يوميا على مدار عام كامل.

يستحق هذا الصمود الاحتفال والفرح للمضي من جديد في المعركة السلمية. من هنا كانت فكرة تنظيم احتفالية "الشارع السوري" التي تمتد من 15_ 22 آذار 2012، موزّعة على عدّة أماكن وساحات داخل سوريا، وساحات في عواصم عالمية.

لن ننشر برنامج العروض الآن، خوفاً من صواريخ قد تسقط لتمنع عرض فيلم عن ثورة مدينة القامشلي في ساحة داخل إدلب، أو من رصاص قد يخترق قماش لوحة رسم عليها حلم طفل سوري.

لذلك، سيتم الإعلان عن النشاطات قبل وقت قصير من إقامتها. وستكون البداية مساء خميس 15 آذار مع فيلم وثائقي يتناول الثورة السورية خلال عام على إحدى القنوات الإخبارية العربية. على أن يُعرض مباشرة بعد انتهائه على الشاشة الصغيرة، في ساحات سورية عدة وعواصم عالمية.

ستعرض بعدها الأفلام التي وثّقت الثورة ونقلتها إلى العالم أجمع وتبلغ نحو 13 فيلماً، ضمن مهرجان «سينما الشارع» لتعرض على مدار أسبوع كامل.

ومن أفلام التظاهرة، «تهريب 23 دقيقة ثورة» وهو أول فيلم صوّر عن الثورة السورية إذ يُقدّم شكل الأحداث في حماة قبل دخول الجيش السوري إليها، إضافة إلى الوثائقي «آزادي» الذي صوّر في اب (أغسطس) الماضي في منطقة القامشلي والمناطق الكردية الأخرى الواقعة شمال سورية، وحاز الجائزة الفضية في مهرجان روتردام بعدها جسّد يوميات من الثورة.

كما سيكون المهتمون على موعد مع فيلم «حماة 1982 حماة 2011» الذي يقارب بين مجزرتين ارتكبهما النظام، إضافة إلى مجموعة من الأفلام المصوّرة في حمص والرستن ودرعا.

كما تُخصّص الاحتفالية معرضاً بعنوان «فنانون من سورية الآن» ويتضمن مجموعة كبيرة من اللوحات التشكيلية، سيُعلن عن أسماء رساميها لاحقاً، في ساحة سوريّة يسيطر عليها الشعب، وفي مدينتين عربيتين.

كما تعرض في ساحات أخرى أعمال تجهيز فنية في الفراغ العام، تتناول قصص الأطفال الذين قتلهم رصاص قوات الأمن. وسيشاهد الجمهور السوري في اليوم نفسه، تجهيزاً فنياً آخر يغوص في دور مناضلات الثورة.

وفي احتفالية بهذا الحجم لا بدّ من عرض أعمال مسرحية احترافية تُقدّم أيضاً في الساحات السورية المحررة..

وبالتعاون مع مجموعة من الكتّاب والصحافيين، ستعمل الاحتفالية على إصدار كتاب يعرض مواد ميدانية توثق لتفاصيل الثورة السورية في عامها الأول، من خلال تجارب حقيقية عاشها النشطاء في الشوارع والسجون. النصوص كتبت كلها داخل سورية، لكن الكتاب الذي يجمعها لن يُطبع في سورية، شأنه شأن كل الكتب التي تنتقد الأوضاع في البلاد.

كما ستصدر الاحتفالية ألبوماً لأغاني الثورة، بعد إعادة توزيعها بالتعاون مع مجموعة من أهم الموسيقيين السوريين الذين يعملون الآن داخل البلاد. ويتضمن الألبوم أعمالاً تلخّص الأعمال الثورية الغنائية التي عرّضت إبراهيم القاشوش للذبح، وجعلت عبد الباسط الساروت مطلوباً للموت.

وترافق الاحتفالية أشكال مختلفة من التظاهر السلمي الاحتفالي في مناطق مختلفة من سورية، كما ستصدر تقارير إعلامية تفصيلية حول عام من الثورة، إضافة إلى إصدار أقراص مدمجة تضم الأفلام الوثائقية والمقابلات المتعلقة بالثورة، وبطاقات بريدية تحمل لوحات لفنانين وهبوا ريشتهم لأحداث الثورة.

يذكر أن الاحتفالية تنظمها «مؤسسة الشارع للإعلام والتنمية»، وهي مؤسسة مستقلة لا تتوخى الربح، تخصص جزءاً من عائداتها لمشاريع تنموية تسعى لمساعدة المجتمع السوري.

وتؤكد إدارة الاحتفالية أن «هذه المبادرة تأتي الآن لتأكيد أهمية سلمية الثورة، وإبراز الوجه الجميل لتضحيات الشعب السوري خلال عام من محاولاته على كسر حواجز الخوف والظلم والصمت».

خارج الخريطة السوريّة

أما في العواصم العالمية تنتقل الاحتفالية لتنظم معرض «رسومات أطفال الحريّة» الذي يعكس صورة العام الدامي والتاريخي في عمر السوريين بعيون الأطفال من أقرباء الشهداء ومن يعيشون تحت القصف والاعتقال والقمع. ويعرّج المعرض على واقع اللجوء الذي يعيشه الاف السوريين في لبنان وتركيا والأردن. كما ستترك للتشكيليين فسحتهم في المعرض أيضاً.

ويشارك في المعرض الذي يزور كلاً من لندن وعمّان وتورنتو وفانكوفر وبوخارست وباريس وبرلين في الوقت ذاته، أطفال بريطانيون لوّنوا تضامنهم مع نظرائهم السوريين ورسموا تعاطفهم معهم.

وفي باريس سيعرض مجموعة من التشكيليين السوريين أعمالهم، ويقرأ ممثل للاحتفالية كلمة يتحدث فيها عن معاناة شعب خلال سنة كاملة.

فنانين سوريين وشباب إلى أبواب حمص المنكوبة

في بادرة إنسانية وإنقاذية قرر بعض الفنانين السوريين وبعض الشباب الذهاب إلى مدينة حمص المنكوبة، وبشكل علني وبعيداً عن أية سرية في الموعد المحدد لذلك.

وأكد شباب أنهم وافقوا بلا تردد مع عدد من الفنانين السوريين الانضمام إلى المبادرة التي أطلقها نضال سيجري قبل أسابيع، وذلك من أجل الذهاب إلى حمص وتقديم مساعدات إنسانية ومعونات غذائية لهم.

نضال سيجري بدوره قال: أن «ذهابهم إلى هناك من أجل إجراء مصالحة شعبية والوقوف في وجه المتخاصمين كدروع بشرية لحماية الناس».

ومن المتوقع أن يشارك في هذه الحملة التي أطلق عليها سيجري اسم «أيها السوريون الطيبون اقتلونا جميعاً أو أوقفوا اقتتالكم» كل من الفنانين يارا صبري، والمخرج الليث حجو، والممثل عبد الحكيم قطيفان، والتشكيلي يوسف عبد لكي، والمنتجة السينمائية غيفارا نمر وآخرون.

وحسب شباب مشاركون في الحملة أن أعداد المشاركين تزداد يومياً، لهذه الرحلة الإنسانية الإنقاذية التي ستنطلق يوم الثلاثاء 13 آذار في كل من دمشق وحلب باتجاه حمص الجريحة.

جراح متطوع يروي مشاهداته في المدينة المحاصرة: تذكرت غروزني وسط ظروف كارثية وقذائف المورتر

على مدى أسبوعين تابع الجراح الفرنسي جاك بيريه المدنيين وهم يموتون في غرفة عمليات مضاءة بالشموع من جروح كان يسهل علاجها في وقت السلم بينما تسقط قذائف المورتر على مدينة حمص المحاصرة.

وعمل بيريه، الذي شارك في تأسيس منظمة «أطباء بلا حدود» إلى جانب جراحين سوريين في مستشفى مؤقت قرب حي بابا عمرو حيث قتل الصحافيان ماري كولفين وريمي أوشليك بنيران المدفعية في 22 شباط (فبراير).

وبعد عودته إلى باريس ابلغ بيريه الصحافيين أن الظروف المعيشية داخل ثالث أكبر مدينة سورية «كارثية» بسبب نيران المورتر التي لا تهدأ التي دهرت مباني وتركت الأطباء يعملون من دون كهرباء.

وبيريه، الذي كان يعمل من مبنى قرب حي بابا عمرو الذي قتل فيه صحافيان وكان بؤرة لغالبية القصف المكثف قال انه بقي داخل المبنى كي لا يستهدف أو يُعتقل كجاسوس أميركي. وأضاف: «إذا كنت في هذا الحي (بابا عمرو) ربما انتهى بي الأمر مثل كولفين، لا يمكنك أن تعالج الناس في هذا الحي، الوضع غير محتمل».

وقال بيريه، الذي عاد إلى فرنسا الجمعة قبل الماضي، انه سافر إلى حمص بشكل مستقل ثم طلب رعاية جماعة إسلامية فرنسية إذ لا تسمح أطباء بلا حدود بشكل طبيعي لأعضائها بدخول الدول بصورة غير قانونية.

واستطرد «كان من المهم الحصول على مثل هذا الدعم (من الجماعة) لذلك كان معي على الأقل دعم جماعة إسلامية وما كان لأحد أن يظن بي على الفور أني جاسوس أميركي».

وعندما دخل حمص اضطر بيريه (71 سنة) إلى العمل مع أطباء محليين في بناية سكنية. الكهرباء الناتجة من مولد يعمل بالديزل تأتي على نحو متقطع ما يجعل الجراحين يعملون على ضوء الشموع عندما ينفد الوقود. وكانت الليالي باردة.

وقال بيريه أن غالبية المصابين، الذين دخلوا إلى القسم الخاص به، كانوا مدنيين أصيبوا بجروح قطعية جراء القصف بقذائف مورتر تتفتت إلى شظايا لدى سقوطها. والفترة المتوقع أن يعيشها من يصاب في الرأس أو الصدر قصيرة ولقي أكثر من مريض كان من الممكن إنقاذه في الأوضاع الطبيعية حتفه على سرير العمليات.

وذكر بيريه أن القسم الخاص به استقبل أيضاً مقاتلين من الجيش السوري الحر المعارض على رغم أن عددهم كان قليلا بالمقارنة مع المدنيين. وأوضح أنه لم ير أي مقاتل أجنبي في حمص.

وقال بيريه «لدي جميع الأسباب التي تدفعني للاعتقاد بأن العدد (الرسمي) الحالي للقتلى اقل من الحقيقة. هناك من لم يتم التعرف إلى جثثهم ومن لا يزالون تحت الأنقاض».

وسُئل أن كانت الأوضاع في حمص ذكرته بأي صراع آخر فقال بيريه الذي شاهد الكثير من الصراعات «المعاناة عالمية، الأم التي تفقد طفلها تظهر الألم والحزن في أنحاء العالم لكن بطرق مختلفة».

لكنه أضاف أن الأوضاع في حمص تستدعي إلى ذاكرته مأساة غروزني عاصمة جمهورية الشيشان الروسية عندما قصفتها القوات الروسية في ذروة حرب الشيشان الثانية في نهاية التسعينات.

وقال «مساحة المدينتين مماثلة وهناك مزيج من الحضر والريف وعدد قليل جداً من الأقبية... وهناك شدة القمع التي لا هوادة فيها».

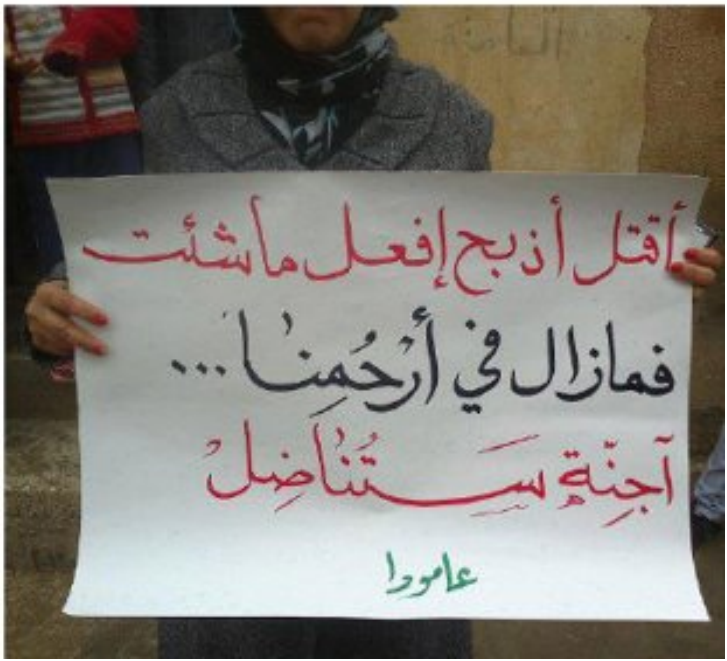

سوريا بين أسماء «اللّه» وأسماء الموت

■ نبراس شحيد

المشهد المتكرّر

تتعدّد أسماء الموت في سوريا: الموت بشظية قذيفة، الموت برصاصة قناص، الموت تحت التعذيب، الموت تحت الأنقاض، الموت من شحّ الدواء، تتعدّد الأسماء، والموت واحد، يرسمه الفنانون السوريون اليوم «بكمراتهم»، فنرشح إلى الذاكرة هذه اللوحة المؤلمة التي بقيت من دون توقيع (23/10/2011): طارق الأحدب ملقىً على الأرض، والمشهد معتمٌ في الخالدية، ورصاص القناصة يحول دون انتشاله. الجميع يترقب. يندفع شابٌ باتجاه الجثة، فيصرخ أحد الموجودين قائلاً: «اللّه حاميك!»، لكن... ما إن يبتدأ محمد فاضل بجر الجسد الساكن إلى الحارة الضيّقة حتى يخرّ شهيدا، ليتردّد في الذاكرة صوت انفجار الطلقة النارية، ويتفجّر السائل القاتم من الجثة الصريعة. جثتان مكوّمتان إحداهما على الأخرى في مشهد مفجع، والإنارة خافتة. كان هذا العناق الأخير، وتتعالى أصوات التكبير!

تكرار الإسم

يتكرّر مشهد الموت هذا كل يوم، ومعه دعاء المستضعفين إلى اللّه، لكن... لا «يحمي» اللّه الشهداء كما نتمنى! وعلى الرغم من ذلك، تثابر النسوة النائحات في طلب الانتقام له. لم «يحمهم» اللّه كما نرغب، لكن المشيعين لا يكفّون عن قُلقلة ما يشبه «الصمت الأزرق»: «يا اللّه لم يبقَ لنا سواك!»؛ لم «يحمهم» اللّه، لكننا لم نتوقّف يوما عن مناجاته من شوارع الموت، ومن أقبية السجون، ومن أمام برادات المستشفى. مسلمون، مسيحيون، علمانيون، لا فرق، فالموت واحد، والجميع يذكر اسم «اللّه» اليوم في سوريا! هو الإيمان ربما، أو الخوف من شيء ما، ربما، أو القلق من اللاشيء. أياً يكن، لا يهم، فمن المؤكد أن أسماء الموت عديدة، وأن أسماء «اللّه» كثيرة، وأن الأسماء تلازمت، وأن الموت واحد.

الاسم القاتل

لكن، أن يرتبط اسم «اللّه» بالموت أمرٌ، وأن يصير الموتُ اسماً من أسماء «اللّه» أمرٌ آخر! يصير اسم «اللّه» قاتلاً عندما تُختزل الثورة عند البعض في حرب بين طائفتين؛ يصير اسم «اللّه» قاتلاً عندما يوزّع التكفيريّون اللعنات يمنة ويسرة؛ يصير اسم «اللّه» قاتلاً عندما يبرّر علماء النظام إبادة المتظاهرين؛ يصير اسم «اللّه» ديكتاتوراً عندما يعادي حرية الإنسان؛ يصير اسم «اللّه» ظالماً عندما يحدّد دين رئيس الدولة؛ يصير اسم «اللّه» موتاً عندما لا نعود نختلف في دلالاته؛ يصير اسم «اللّه» خطراً عندما يُراد منه الاتكاليّة لا التوكل؛ يصير اسم «اللّه» صبيانياً عندما تدعو بعض الكنائس إلى «التصويت بالموافقة» على «الدستور الجديد» في شتاء الرصاص، وكأنّ الشعوب أطفالٌ لا رأي لها؛ يصير اسم «اللّه» مدمّراً عندما يتحوّل الاسم إلى مجرد بديل عن رغبتنا في الانتقام... لهذا، يهجر البعض اسم «اللّه» عندما يصير موتاً مرعباً!

الاسم الآخر

تقول السيدة إنصاف محمد، المفجوعة بولدها، لمن يضمرون الشر لقاتله (29/12/2011): «من أجل اللّه، أحبوا قبل كل شيء من يكرهكم كي يتعلم كيف يحب!» فيقولون لها: «لكن الحقد يملأ قلبه!»، فتجيب: «يوما بعد يوم سيتعلم... من أجل اللّه أحبوا بعضكم بعضا!»

أيّاً يكن سبب الموت، وأيّاً تكن هويّة القاتل، وبغض النظر عن العقائد، وسواءً آمنا بوجود اللّه أم لم نؤمن، تنسف كلمات الأم هذه أجيالاً مديدة من الأسماء المرعبة! إنه «اللّه» باسم جديد...

آخر الأسماء

أحد آلاف الشهداء السوريين مات من دون دين! كان يصرخ مع المتظاهرين «على الجنة رايحين شهداء بالملايين!»؛ كان يصرخ لأنه معهم، لأنه يحبهم، لكنه لم يكن مؤمنا! رصاصة «ممانعة» أردته شهيداً، لكن... من دون أن يكون له إلهٌ يحميه أو يكافئه أو ينتقم له. مات من دون سماء تظلله. مات عارياً! لم يحلم بجنة، ولم يخف من نار، ولم يرغب في بطولة، ولم يشته الموت. مات من دون «لم؟»، فكان لكل المتدينين مصدر رجاء! مات فذكرنا بأن الوطن لا دين له، وبأن الحرية لا دين لها، وبأن «اللّه» لا دين له، وبأن «المجانية» قد تكون من أسمائه الحسنى...

(راهب يسوعي من سوريا)
السفير 7 / 3 / 2012

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (25) | 13 / آذار / 2012
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

بين الفساد.. سوء الإدارة.. العقوبات
حياةٌ بطعم البارود.. واقتصادٌ يغدق فقراً..

■ ياسر مرزوق

لعل لقارئ التاريخ البشري أن يقرأ من جانبين ظاهر وباطن، الظاهر برسمه الساسة والباطن يرسمه الاقتصاد ورجالاته فقد تزامن انهيار الدولة العثمانية مع اكتشاف الأمريكيتين وتدفق الذهب على أوروبا مما دعى بالعملة العثمانية للانهيار وكذا النهضة الأوروبية التي اتت استجابة لانتقال المجتمع الأوروبي من علاقات زراعية إقطاعية إلى علاقات صناعية والقائمة تطول، تبنى الأوطان بتضافر منظومات سياسية واجتماعية واقتصادية لا غنى لأحدها عن الآخر.

اندلعت الثورة السورية مطالبةً بالحرية والعدالة والمساواة، ولم تكن ثورة رغيف أو ثورة جياع إلا أننا لا ننكر هنا الوضع الاقتصادي الجائر الذي يعيشه السوريون إذ بلغت الفوارق الاجتماعية في السنوات العشر الأخيرة حداً لم يشهده التاريخ السوري، وبات الحديث عن ثروات المقربين للنظام واتباعه محلاً للسخرية والتندر في الشارع السوري، لذا حين نزل السوريون إلى الشوارع ينادون بسوريا الجديدة، دولة مدنية ديمقراطية، لا تحتكر فيها عصبة أو فلة مقدرات البلاد.

ثورة الشعب السوري الحر الأبي تقترب من عامها الأول، ومازال الاقتصاد السوري يظهر التماسك والثبات على الرغم من المشاكل والمصائب التي تنخر بنيانه، لابد من الإشارة إلى أن القول الفصل في سقوط النظام هو لإرادة الشعب السوري هذا ما يؤيده التاريخ وقوانين العدالة، إلا أنه وكما أسلفنا في الظاهر والباطن فإن للاقتصاد كلمته في دعم هذا الحراك لبلوغ غاياته، فوفقاً لأحد خبراء الاقتصاد، فإن الاقتصاد السوري "ينزف ببطء حتى الموت"، فصادرات النفط بقيمة 400 مليون دولار شهرياً في حالة جمود وصناعة السياحة في سوريا، والتي مثلت أكثر من 10 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي في العام الماضي، انهارت والوظائف لا تخلق بل يجري تسريح العمال، وترتفي معدلات البطالة، التي كانت تقدر بـ 15 بالمائة، إلى 25 أو 30 بالمائة من قوة العمل. هناك أيضاً نقص في المواد الأساسية بما في ذلك الأدوية. هناك انقطاع للتيار الكهربائي بين 4 ساعات تقريباً في دمشق و10 ساعات في بعض المناطق الحلرفية أو الريفية وهذا يؤثر على الحياة بشكل كبير وخاصة أن الشتاء قارس في سوريا هذا العام.

ينعكس مجمل الوضع الاقتصادي بمؤشرين رئيسيين: الأول هو معدل البطالة المرتفع والثاني هو انخفاض قيمة الليرة السورية أمام الدولار حيث كانت قيمتها 46 ونصف تقريباً في آذار/ مارس 2011 وأصبحت الآن قيمتها أكثر من 70 ليرة سورية أي أكثر من 50 بالمائة من معدل الانخفاض وهذا ينعكس مباشرة على ارتفاع الأسعار وتكاليف المعيشة بما يعني ارتفاع معدلات الفقر.

وعندما تضعف قدرة الدولة على تأمين الاستقرار وتحقيق النمو والازدهار الاقتصادي فإن الحكم يفقد شرعيته وهذا يعتبر إحدى أدوات الضغط الكبيرة على النظام. لم تواجه سوريا ولو مرة واحدة في تاريخها مثل هذه الضغوط من الداخل بسبب مجمل ما يجري وبسبب العقوبات الخارجية التي فرضت عليها لأول مرة وخاصة تصدير النفط والتعامل مع البنك المركزي السوري والبنوك الأخرى وعدم إقامة صفقات مع الأجهزة الحكومية إلى آخره، هو حصار صعب جداً يضعف قدرة الدولة إلى حد كبير ويضعف شرعيتها أمام المواطن السوري، هذا ولم يدل البنك المركزي السوري بأي بيانات شهرية منذ أن نشرت أرقام لشهر أيار قبل عدة أشهر، مما يوحي باحتمالين: إما أن الإحصاءات قاتمة جداً بحيث لا يمكن بثها في الأماكن العامة، أو أن هذه الاضطرابات قد عطلت حتى جمع المعلومات الأساسية. ، وسنعرض بشيء من التفصيل لظواهر انهيار النظام الاقتصادي السوري:

ارتفاع سعر صرف الدولار مقابل الليرة السورية: فعلى الرغم من تمسك مصرف سوريا المركزي بسعر صرف الدولار المعلن وهو ما يقارب 56 ليرة سورية لكل دولار تقريباً، ولكن بشكل فعلي فإن شراء الدولار في سوريا ممنوع وليس هناك من طريقة للحصول على العملة الأجنبية سوى من السوق السوداء والذي بلغ سعره الأسبوع الماضي 80 ليرة سورية للدولار، إن إصرار البنك المركزي السوري على تثبيت سعر الصرف هدفه لحقيق غايتين الأولى إظهار تماسك الاقتصاد السوري وأن الأزمة الحالية ليست إلا غمامة صيف لا ولم تؤثر على الاقتصاد أما الهدف الثاني وهو الأسوأ فهو استغلال احتياطيات القطع الأجنبي في المصرف المركزي لدعم الليرة السورية وإظهارها بمظهر القوي مقابل الدولار وبالتالي السماح لعملاء النظام وأزلامه من تحويل أموالهم وممتلكاتهم في سوريا للبنوك الخارجية بسعر جيد وبعد ذلك سيكون الانهيار المفاجئ لليرة السورية، وأخيراً لجأ النظام لتعويم العملة في خطوة ارتجالية كان لابد من دراستها ودراسة آثارها المضرة بالنظام المالي كونها طبقت بشكل ارتجالي غير مدروس.

- منع الناس من سحب أموالهم وودائعهم بالعملات الأجنبية: في حال كنت تملك دولار أو أي عملة أجنبية فإنك لن تضعها في البنوك أو المؤسسات المالية السورية لأن البنوك لن تعطيك أموالك بالقطع الأجنبي بل بالليرة السورية فقط، وهذا ما يدل على وجود أزمة بالقطع الأجنبي لدى الحكومة السورية وقد تعالت مؤخراً شكاوي الناس والمواطنين من عدم إمكانية سحب أرصدتهم المالية بالعملات الأجنبية كما أودعوها، بل بالليرة السورية وحتى من المصارف الخاصة، وقد أتحفنا حاكم مصرف سوريا المركزي السيد أديب ميالة بأتاوة 7 ٪ على كل عملية سحب نقدي بالدولار في سابقة لم يعرفها لا نظام رأسمالي ولا نظام اشتراكي ولا أي نظام بالعالم طبعاً، طبعاً الحصول على الدولار أو القطع الأجنبي من البنوك السورية مستحيل الآن مهما كانت حاجتك له نظامية.

- هبوط حجم الودائع في البنوك السورية: طبعاً من المستحيل معرفة حجم السحوبات من الودائع في البنوك العامة السورية وهي التي يتركز فيها معظم الأموال في سوريا ولكن نظرة بسيطة للميزانيات والقوائم المالية للبنوك الخاصة في نهاية شهر حزيران 2011 نجد أن هناك هبوطاً واضحاً في حجم الودائع مقارنة بالوضع قبل اندلاع الثورة السورية في نهاية عام 2010 لدى معظم المصارف الخاصة فمقدار الهبوط في حجم الودائع يعادل حوالي 97 مليار ليرة سورية أي ما يقارب ربع أرصدة الودائع في عام 2010 قد تم سحبها من البنوك الآن، وهذا ما أشارت إليه بعض الصحف مثل القدس العربي الذي تحدثت عن سحب 2. 6 مليار دولار من الودائع المصرفية في سوريا

- امتناع المصارف عن الإقراض: حيث عادت المصارف إلى نقطة الصفر في السوق السورية فهي ترى أن المقترضين لا قدرة لهم على سداد القروض في الوقت الراهن ما عدا المقترض الذي يضع أضعاف ما اقترضه كضمان للقرض الذي يحصل عليه لذلك توقفت المصارف عن إعطاء القروض وخاصة القروض الصغيرة الموجهة للموظفين وعامة الشعب.

- الهبوط في بورصة دمشق: حيث لم تفرح سوق دمشق للأوراق المالية بمرور عامها الأول حتى بدأت بالهبوط منذ بداية الأحداث في أواسط شهر آذار (مارس) حيث سيطر اللون الأحمر على مؤشر البورصة ولا تزال أوامر البيع تتوالى مع عدم وجود إقبال على الشراء، وبالرغم من جميع الإجراءات التي اتخذتها إدارة السوق لوقف الهبوط، ولكنها باءت بالفشل والخوف من القادم أكبر خاصة مع تردي الوضع الاقتصادي في سوريا واضطرار بعد المالكين في البورصة للبيع بأي سعر ولو جصل هذا فسوف يكون الهبوط مخيفاً فيها على المدى المنظور، خاصة مع إصرار إدارة البورصة على عدم وقف التداول مما يعني المزيد من الخسائر والمزيد من الهبوط.

- الإمتناع عن تداول الليرة السورية عالمياً: حيث بدأت البنوك اللبنانية بالامتناع عن قبول الليرة السورية حيث لم تعد تقبل فئة الألف ليرة سورية وذلك على الرغم من علاقة التبعية التي تميز النظام اللبناني مع السوري، ويضاف إلى ذلك شركات الصرافة في كثير من دول الخليج العربي والتي امتنعت عن تصريف الليرة السورية.

- الانتقام من بعض الاقتصاديين ورجال الأعمال في سوريا: حيث قامت السلطات مؤخراً باعتقال رجل الأعمال محمود سليمان طلاس فرزات صاحب مجموعة فرزات وهو من كبار الصناعيين ورجال الأعمال في سوريا، كذلك فقد طال منع السفر الصناعي محمد كمال صباغ الشربتلي وهو رئيس الاتحاد العربي للصناعات النسيجية ورئيس غرفة صناعة سابق مع أنه لم يعرف عنه أي معارضة للنظام أو أي تصريحات معارضة.

- الضربة الأخيرة التي تلقاها الاقتصاد السوري والتي ستحد من إمكانيات التداول والتحويل بين سوريا والخارج هو إعلان كل من شركتي فيزا كارد وماستر كارد العالميتين تعليق أعمالهم في سوريا وبالتالي أصبحت البطاقات الائتمانية الصادرة في سوريا بدون قيمة فعلياً، وبالتالي هذا ما سيضطر الكثير من المواطنين للعودة إلى البنوك اللبنانية أو الأردنية أو الخليجية لفتح حساباتهم فيها للحصول على بطاقة الائتمان التي أصبحت ضرورية عند من الناس.

ما من ثورة أو حراك شعبي إلا وتظهر آثاره على الواقع الاقتصادي بصورة مباشرة ويدفع ذوو الدخل المحدود الثمن الأكبر دائماً ومع طول أمد الثورة وغياب الحسم لأكثر من عام يبدو أن مختلف شرائح المجتمع السوري تدفع الثمن، إلا أن إلقاء اللائمة على الثورة في تدهور الحالة الاقتصادية أمر مناف للدقة فسوريا كانت على حافة أزمة اقتصادية وأتت الثورة لتعجل بوقوعها، السبب الأصل لهذه الأزمة هو الفساد السرطاني المنتشر في جسد الدولة، عن الشاعر

> **أظهرت دراسة البنك الدولي أن اقتصاد سوريا الأكثر انخفاضاً في دول الشرق الأوسط**

من آثار الدمار في حمص - بلال عمرو

من آثار الدمار في حمص - بانا عمرو

الكبير "أحمد فؤاد نجم" وهن قصيدته "موسم الحرائق" تنقل:

سريقة سريقة سريقة سريقة

سرقوا المخزن

حريقة حريقة حريقة حريقة

حرقوا المصنع.. سرقوا القوت والنور والقدره... حرقوا الأرض البور والخضره

اللي سرقها.. واللي حرقها.. بكرة الشعب حيخرب بيته

كما يلح تساؤل مشروع في الشارع السوري حول وهم النظام الممانع وقلعة الصمود والتصدي التي تفترض أننا دولة محاطة بوسط معادي، فأين الخطط البديلة التي كان يجب على نظام يمتلك حدوداً مشتركة مع العدو الإسرائيلي ومهدد بالحرب دائماً إعدادها، وهل يمكن لمجموعة من العصابات المسلحة وفق رواية النظام إركاع الاقتصاد السوري.

هناك العديد من المؤشرات التي تبين أن سوريا كانت وقبل الثورة على أبواب أزمة اقتصادية خطيرة، ولن يتكون لدينا معرفة موضوعية حول الأزمة الاقتصادية في سوريا إلا بالاستنارة بالمؤشرات الإحصائية والدراسات، وبات من السهولة تلمسها من خلال الأرقام التي تدل عليها.

فتدل الإحصائيات والدراسات على أن متوسط نمو نصيب الفرد من الناتج المحلي انخفض من 7.6 ٪ لأعوام 1953-1965 إلى أقل من 1 ٪ لعامي 1998 - 1999، مع وجود تقديرات أخرى تقول أنه كان سالبا، في هذه السنة.

وبالنظر إلى إحصائيات البنك الدولي، يتبين أنه وفي حين أنه لم يكن هناك ديون على سوريا في العام 1999، إلا أن قيمة الدين ارتفعت في العام 2003 لتصل إلى 21. 4 بليون $.

كما تشير معطيات هيئة الأمم المتحدة عن التقدم البشري في العالم إلى أن 60 ٪ من المواطنين السوريين يعيشون في حدود خط الفقر (أي من دولار واحد إلى دولارين في اليوم)، وأن (ما بين) 25 - 27 ٪ يعيشون تحت خط الفقر (أي بأقل من دولار في اليوم).

وأظهرت دراسة البنك الدولي أن اقتصاد سوريا الأكثر انخفاضا في دول الشرق الأوسط وبلغ (معدل دخل الفرد 1.020 $ في اليوم الواحد)، علما أن القطاع النفطي يزوّد نصف الإيرادات الحكومية وحوالي الثلثين من إيصالات التصدير؛ فيما يساهم قطاع الزراعة حوالي 30 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي والتوظيف.

بعد النمو الذي شهده الاقتصاد السوري بنسبة 5 - 7 ٪ خلال الأعوام 1990 - 1995 (بفضل إجراءات الإصلاح التي حدثت في أوائل التسعينيات واكتشاف النفط)، عاد الاقتصاد للتباطؤ مرة أخرى بشكل ملحوظ، بالرغم من عدد من إجراءات الإصلاح الاقتصادية الهامة، والتي شملت تحرير سعر الصرف والتجارة وترخيص البنوك الخاصة، لكن بقي الأداء الاقتصادي السوري ضعيفا في الجزء الأكبر منه بسبب تشوهات رئيسية، حيث لا زال النظام المالي مملوك للدولة التي لم تستطع أن تلبث كفاءتها في الحاجة المستعجلة للتحديث؛ ويلحظ هيمنة المشاريع المملوكة للدولة. فيما لم تعتبر الخصخصة بعد خياراً سياسياً. حيث أعلنت الصحف الحكومية مؤخرا «عن ارتفاع الأسعار بنسبة 15 ٪، مما يعني أن الحكومة قررت ترك المواطن تحت قبضة السوق. وتعلن الحكومة على لسان وزرائها وكبار موظفيها أنها حسمت أمرها باتجاه اقتصاد السوق وبأنها لا تنوي بيع القطاع العام».

وقد آل الاقتصاد السوري إلى حال غير منتج لابتلائه بفساد منتشر وصناعات دولة تقادم عهدها، وقطاع زراعي متقلب ومنخفض الأداء، ونفاذ سريع للموارد النفطية، بالإضافة إلى هجرة الرساميل ونقص الاستثمار الأجنبي. لقد استطاعت سورية في السابق أن تعوض عن كل ذلك عبر ما يمكن أن يسمى «عائدات السياسة الخارجية»، أي الدخل الذي درته مساعدات إيرانية في الثمانينيات وخليجية في أوائل التسعينيات (في كلتا الحالتين كانت المساعدات ثمنا للدور السوري المضاد للعراق)، «الناتج التصديري الرئيس في سوريا هو السياسة الخارجية للنظام» أما الآن فلا وجود لصمام الأمان هذا، والأكثر من ذلك أن مصادر النفط ستنضب في الأمد القريب.

وتشير بعض الدراسات أن القطاع الزراعي أصبح مهددا بسبب التصحر، حيث أدى التصحر الذي شهدته سوريا في السنوات الماضية، إلى تراجع مساحة الأرضي الزراعية المزروعة وارتفاع معدل الملوحة في الأراضي فتكاليف التدهور البيئي المتوقع في سوريا الذي يؤثر في الإنتاج الاقتصادي والموارد الطبيعية حتى العام2005 يتراوح بين 1225-1730 مليون دولار بينما تراوح عام1997 بين 690-880 مليون دولار. حيث أن 50 ٪ من الأراضي الزراعية المنتجة تعاني من التدهور وخرجت مساحات كبيرة من الإستخدام نتيجة التوسع المدني. وتتوزع الأراضي حسب نوعيتها إلى 23 ٪ للزراعة و2 ٪ غابات و20 ٪ أراضي صخرية و45 ٪ بادية وتقدر نسبة المساحات الزراعية غير المروية بـ 82 ٪ والمساحات المزروعة ب 18 ٪.

وأظهرت دراسة عن البطالة أن معدل النمو الاقتصادي منخفض جدا بالمقارنة مع معدل النمو السكاني، وإن نسبة الزيادة السنوية لعدد العاطلين عن العمل أكثر من 200 ألف، أما عدد العاطلين عن العمل (بطالة ظاهرة فقط) فهو بحدود مليون، و تشكل البطالة بين الفئة الشبابية دون 30 عام حوالي 90 ٪ من إجمالي العاطلين عن العمل، كما أن نسبة البطالة بين النساء أكثر من الرجال وفي الريف أكثر من المدن، وهي مرتفعة بشكل كبير لدى الفئات ذات المستوى التعليمي المنخفض بالمقارنة مع الفئات ذات المستوى التعليمي الأعلى، ولكن نسبة البطالة لدى حملة الشهادات العليا سوف ترتفع سيما أن الدولة لم تعد ملزمة بتعيين المهندسين.

تزداد الصورة قتامةً سوءا إذا علمنا أنّ 5 % من السكان يتمتعون بـ 50 % من الدخل الوطني

ويشير «الموقف الديمقراطي» في عدده الثالث والثمانون إلى وجود أزمة اقتصادية يعيشها النظام، وتجلت هذه الأزمة الاقتصادية بشكل واضح عقب قرار الانسحاب من لبنان، حيث ازدياد نسبة من يعيشون تحت خط الفقر، إضافة إلى مئات الآلاف من السوريين الذين يبحثون عن لقمة العيش في لبنان. لدرجة أن أصبحت ظاهرة البطالة مستفحلة لتصل إلى أكثر من 20 ٪ من قوى العمل، عدا عن البطالة المقنعة. وكذلك فإن حصة الفرد من الدخل القومي لا تزيد بسبب عدم زيادة الإنتاج الاجتماعي، وهي تبلغ ربع حصة الفرد في لبنان، الذي لا يملك لا نفطاولا زراعة واسعة أو صناعة متطورة.

كما وتزداد الصورة قتامةً سوءا إذا علمنا أنّ 5 ٪ من السكان يتمتعون بـ 50 ٪ من الدخل الوطني. أما بالنسبة لمؤشر الحرية الاقتصادية فقد احتلت سوريا المرتبة 140 عالميا من أصل 180 دولة، وتكون كل من جيبوتي وموريتانيا أكثر حرية اقتصادية من سوريا.

وإذا كانت سوريا اعتمدت في السابق على عائدات السياسة الخارجة فإن هذا الأمر قد توقف الآن بعد أن انتهاء الدور الذي لعبته في حربي الخليج الأولى والثانية، ولن يكون بالإمكان أن تستعيد سوريا هذه العائدات إلا إذا أنيط بها دور جديد لتلعبه، وهو غير متوقع بالوقت الحالي، أما النفط وهو المصدر الآخر الذي تعتمد عليه سوريا، فتتوقع الدراسات أن ينضب السوري عام 2012. ففي خبر أوردته وكالة أكي الإيطالية نقلاً عن رئيس الوزراء السوري أن الاقتصاد السوري بدأ يواجه مشكلة نضوب آبار النفط، وأن المؤشرات والمعطيات السائدة تشير إلى أن سورية ستصبح عام 2015 دولة مستوردة للنفط بعد أن كانت مصدرة له، وأرجع الأسباب إلى «الاستنزاف الجائر للاحتياطي النفطي خلال السنوات الماضية».

ويظهر تحليل الوضع الاقتصادي الكلي انخفاض معدل النمو الاقتصادي خلال الـ 15 سنة الماضية، وإذا استمر بهذا الشكل حتى عام 2015 فلن يتجاوز معدل النمو 3. ٪5، وهذا لا يسمح بتحقيق أساسيات التنمية ولا امتصاص البطالة التي تشهد تزايدا سنويا كبيرا جدا (250 ألف داخل جديد إلى سوق العمل). كما أن هناك تراجعا في حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، ومن المتوقع أن لا تزيد عن ٪1 سنويا حتى عام 2015.

هنا يبرز ويشكل ملح دور المعارضة في طرح مشروع لسوريا المرتقبة اقتصاديا، والعمل على إيجاد مشروع إنقاذ وطني يعتمد على الخبرات والموارد المحلية حصرا، بعيدا عن منطوعة صندوق النقد الدولي والاستدانة من الخارج التي أثبتت فشلها، إنها سوريا الحلم ووجودها في الحلم ليس أقل حقيقة من وجودها في الواقع.

من آثار الدمار في حمص - بانا عمرو

جدلية الحداثة والتصوف في الثورة السورية

■ منير الخطيب

في معارضة بعض المثقفين «الحداثيين»، الذين ينتسبون إلى «أوليغارشية نخبوية» مقطوعة الصلة مع مفهوم الشعب، والذين وصفوا الثورة السورية منذ انطلاقها بالسلفية والبعد عن المدنية، ودليلهم على هذا خروج التظاهرات من الجوامع والأرياف، وكذلك شعاراتها الدينية... إلخ: أقول بالتعارض مع هؤلاء: إن الثورة السورية اقتحمت مضامين الحداثة اقتحاماً.

وضعت الثورة السوريين، بقوة، على خط التظاهر السلمي، وفتحت المجال واسعاً أمام عودة السياسة، بصفتها فاعلية مجتمعية ومدنية، إلى المجتمع السوري، بعدما نسي هذا المجتمع التظاهر السلمي، حيث كانت «السياسة» في العقود الماضية تولّف على الخيارات الأيديولوجية والحزبوية، وتقوم على احتكار السلطة للمجال العام احتكاراً جامعاً مانعاً، وقتل الروح الفردية لدى البشر، وتحويلهم مجرد كم عددي مهمل. فنمت في بلادنا الأحزاب الايديولوجية، أحزاب «الثورة» والثوران، أحزاب الحرب والسلاح، التي لم يكن لها من وظيفة فعلية إلا نزع السياسة من المجتمع، وحقن النسيج المجتمعي بالعنف وعوامل الحرب الأهلية. ذلك لأن «السياسة» بالنسبة الى هذه الأحزاب تقوم على مبدأ «الغلبة» وجعل الآخرين متساوين في منسوب التهميش والسديمية (التساوي في العبودية). لذا سجن البعثيون وقتلوا: البعثيين والاسلاميين واليساريين، ونوّب الناصريون الشيوعيين بالأسيد، واغتال الإسلاميون البعثيين والشيوعيين، فنكص مجتمعنا إلى ما قبل تاريخه الكولونيالي، وعادت «السياسة» ترتدي سحنة مملوكية – سلطانية.

الثورة السورية التي أنمت عامها الأول على خط مغاير لهذه الحقبة، التظاهر السلمي والإضراب في مواجهة عسكرة الحياة السياسية، التظاهر السلمي يعيد الاعتبار الى مفهوم الشعب، الكتل المهمشة تعود إلى مسرح التاريخ كذات فاعلة، يترنح أمام دخولها مفهوم الطليعة، وفكرة الحزب القائد، وكل المنظومات الايديولوجية المغلقة، المعارضة والموالية، تتساقط على حواف الثورة.

الثورة السورية، ثورة أطفال المدارس، وحنجرة المغنّي، وأصابع الفنّان، وعيّن المصور، يحكمها توق «بروميثيوسي» لإنتاج وطنية سورية مفتوحة على آفاق إنسانية رحبة، تحررها من أعباء «الدور الإقليمي»، وشعارات ما فوق الوطنية وممارسات ما تحتها.

كانت الشعارات المتصلة بقضية الدولة هي الأبرز في شعارات الثورة: «لا سلفية ولا أخوان بدنا دولة مدنية»، «لا إيران ولا حزب الله، بدنا دولة تخاف الله». التظاهر السلمي يرفض «الدولة» الدينية، و«دولة» الحزب القائد، ويرفض كل «أدلوجات الدولة»، ويعود إلى التمسك بعموميتها، ونزع الصفة الجزئية عنها، كباقي شعوب الأرض. أليست نظرية الدولة وتطبيقاتها هي ذروة الحداثة؟

هذا الانحياز، انحياز الثورة لقضية الدولة، يترافق مع انحياز آخر لمفهوم الشعب بالمعنى السياسي، بما يحلم إلى تجاوز حالة الرعوية والسديمية، وحالة «المخلوطة الاجتماعية»، ويطمح إلى فكفكة تعشّق الاستبداد مع تحاجزات النسيج المجتمعي. تالياً، تأكيد الحراك الشبابي على شعارات: الحرية، الكرامة، المواطنة، «الشعب السوري واحد واحد»، «لا للطائفية»...

يؤسس ذلك مقدمات لصوغ عقد اجتماعي جديد، بين مواطنين أحرار متساوين أمام القانون. أليس تشكيل عقد اجتماعي جديد، على أساس مبدأي الحرية والمواطنة، معلماً بارزاً من معالم الحداثة؟

إن اندماج مفاهيم الدولة، الشعب، العقد الاجتماعي، الوطنية السورية، الحرية، المساواة، مع الانتفاضة الشعبية، يجعل «الحداثة» الهجينة والنغلة المنجدلة على حبال الاستبداد، تتهافت وتزداد هامشية واستلاباً.

هذا المستوى الحداثي من الشعارات المندمج مع الحركة الشعبية، يتعالق ويتجادل مع مستوى آخر من الشعارات، له بعد صوفي وأخلاقي: «الله أكبر»، «الله وسوريا وحرية وبس»، «يا لله مالنا غيرك يا لله»، «بدنا دولة تخاف الله». الانتفاضة الشعبية لم تردد هذه الشعارات في سياق ديني دوغمائي، بل ردّدها شباب الـ«فايسبوك» في المدن والمهمشون في الأرياف أطفال المدارس وطلبة الجامعات، صبايا محجبات وغير محجبات، من مختلف التيارات والانتماءات.

رددت حناجر الشباب هذه الشعارات، لإعادة تأسيس «المطلق الأخلاقي» في مجتمعنا، بتعبيرات الراحل إلياس مرقص: «من ليس عنده في روحه وفي فكره المطلق، يحوّل نسبيه إلى مطلق وذلكم هو الاستبداد».

مع غياب الدولة والقانون والحرية في الحقبة الماضية، غابت فكرة «المطلق الأخلاقي»، الذي يشكل حداً على نسبيات المستبدين وعلى أوهامهم وأوثانهم. لذا صار القائد «مطلقاً»، والحزب «مطلقاً»، والقومية الفارغة «مطلقاً»، والسلطة مطلقة. فكان التوقد الصوفي في صيحات المتظاهرين لشعار «الله أكبر»، ضرورياً، لمواجهة تغوّل الاستبداد ومواجهة ذلك الكم العاري من العنف، وشحن إرادات المتظاهرين، وتقوية عزائمهم، ومواجهة التركز الكثيف للمصالح الإقليمية والدولية في سوريا. الله أكبر من الاستبداد والمستبدين، وأكبر من القادة التاريخيين، وأكبر من الإيديولوجيات جميعها. يصير للسياسة، مع الثورة، حظوظ راهنة، بأن تنعتق من أسر الإيديولوجيا، وتتقدم صعوداً نحو العمومية، ونحو الاندماج مع المجال الأخلاقي، ونقل التعارضات الاجتماعية من ميدان الصراع والاحتراب إلى ميدان التسويات السلمية في إطار القانون. كذلك فإننا نلحظ في شعارات، «الله وسوريا وحرية وبس»، «لا إيران ولا حزب الله بدنا دولة تخاف الله»، ذات الملمح الصوفي، الذي يعي بمعنى أو بآخر أن سمو الله يجب أن يكون مؤسساً لسمو الدولة، وسمو القانون، وسمو الحرية، أيضاً كما يقول الراحل إلياس مرقص، فالشعوب التي لا تعرف الدولة والقانون والحرية، لا معنى لحضور الله في حياتها، ولا معنى لإيمانها الذي غالباً ما يكون إيماناً دوغمائياً، يفتقر إلى الجوهر الروحي والبعد الأخلاقي.

الثورة السورية أفصحت عن هذين البعدين، البعد الروحي والأخلاقي، والبعد المدني. لا يغير هذه الحقيقة قيام ظاهرة «الجيش السوري الحر»، التي كانت نتيجة لوضع الجيش النظامي في مواجهة الشعب. هذان البعدان مؤسسان على اعتدال السوريين وتسامحهم، فالسوريون، مثلاً، لا يعرفون قبر ابن تيمية الموجود في دمشق، لكنهم يزورون قبر محيي الدين بن عربي الموجود في حي كبير باسمه في عاصمتهم.

لذا تتنازع الوضع السوري بعد عام من انطلاق الثورة جدليتان:

أ - جدلية الحداثة والتصوف التي تشكّل خطاً مميزاً في الثورة، وتعني التكور حول الوطنية السورية، بما يعني ذلك: وضع الدولة – الأمة، وإعادة صوغ العقد الاجتماعي على أساس الحرية والمواطنة وسيادة القانون، والانتقال إلى السياسة بصفتها العامة والمؤسسة على الأخلاق، أفقاً للانتفاضة السورية.

ب - جدلية تعالق الاستبداد وتشابكه مع ظاهرة نقص الاندماج الوطني، ومع الأوضاع الإقليمية، ومع التنظيمات والتيارات المذهبية والظلامية، ومع المصالح الخاصة الأسطورية، التي تفتح الوضع الداخلي على التعفن واحتمالات الحرب الداخلية.

السوريون، حقاً، منحازون إلى الجدلية الأولى، التي نأمل أن يسمع التاريخ بتحقيقها.

ملحق النهار 10 / 3 / 2012

ليدين من حجر وزعتر

■ د. عبد الوهاب الافندي

(1)

«كانت السنة انفصال البحر عن مدن الرماد». وفي زمان صحوة العرب من موتهم، كانت امرأة أمريكية المولد (من نيويورك)، بريطانية المقام والمهنة، تعيش مع أهل حي بابا عمرو في حمص وقائع فيلم رعب يتحدى موهبة هيتشكوك في استكشاف الشرور الكامنة في أعماق البشر. تماما كما يواجه بطل الفيلم ابنه الذي رباه وأسبغ عليه الحب كل عمره، وحشا تقمصته الشياطين، أو حين يرى الطفل أمه، وقد أصيبت بمس من الجنون، فانحنت عليه... تذبحه. تماما كما يستيقظ الشعب ليجد نفسه محاصراً بوحوش كاسرة تنكرت في زي «حماة الديار».

(2)

غير بعيد، في بيروت التي شهدت أولى انتفاضات ربيع العرب، تجمعت ثلة من الخلق (عرب؟ بشر؟)، يحملون صور «دراكيولا»، ويهتفون للذبح والقتل، لقطع الماء والغذاء والدواء عن الناس، لقصف المدن من قبل جيش لا يريد أن يقاتل، بل أن يقتل. يقول هؤلاء للعالم كله: نحن مع الإجرام، نحن مع التعذيب، مع رئيس يجبر الناس على أن يركعوا له ويسبحوا بحمده، مع إرهاب لم تبتل أمة بمثله في زمان غابر أو ماثل. هذا أيضا فيلم رعب آخر.

(3)

غير بعيد عن هؤلاء أيضاً، هناك يقف موقع الجريمة الأولى، شاهداً على أن حماة لم تكن هي اللقاء الأول بين قابيل وأخيه هابيل، بل كان «تل الزعتر، الخيمة»، في شرق بيروت، هو ذاك المكان. هناك، وحتى 12 اب/أغسطس عام 1976، استهدف الجيش السوري وحلفاؤه من الميليشيات المخيم طوال خمسة أشهر، قبل أن يطبقوا عليه بعد ذلك في حصار كامل لمدة 52 يوماً. قطع عن المخيم الماء والكهرباء، ومنع الغذاء والدواء، تماما كما يفعلون اليوم في حمص وإدلب وغيرهما.

(4)

تماماً كما هو الحال في حمص اليوم، لم تكن هناك شفقة ولا رحمة، ولكن الجبن كان سيد الموقف. فبحسب الروايات، لم يزد عدد من قضى من المقاتلين الفلسطينيين بعد قرابة شهرين من القصف والحصار على عشرة أفراد. انسحب المقاتلون عبر طرق وعرة قبيل اجتياح المخيم. ولكن أعداد من قتل من المدنيين بالقصف والتجويع، ثم ذبحا وتنكيلا بعد الاجتياح، ناهز الثلاثة آلاف. وهكذا سنت السنة: الإرهاب ضد المدنيين من قبل قوات لا تجرؤ على مواجهة المقاتلين، ولكنها تريد ابتزازهم عبر أسرهم وذويهم.

(5)

قبل بضعة أيام، قتل شقيق أحمد رمضان، أحد قياديي المجلس الوطني، من قبل «مجهولين» معروفين، حيث أطلقت على سيارته 27 طلقة. ولم تكن «العصابات المسلحة» التي ارتكبت هذا الجرم بخافية ولا متنكرة. زارت الأجهزة الأمنية أسرة رمضان، وهددت ووالدته باستهداف أفراد الأسرة ما لم يتوقف ابنهم عن المعارضة. وقبل ذلك وبعده أبيدت أسر بكاملها لضباط انشقوا، ويحتفظ بأسر كثير من الدبلوماسيين وكبار المسؤولين رهائن. فنحن إذن أمام نظام لا يستخدم الإرهاب وسيلة فحسب، بل يجسد الإرهاب منهجا وعقلية.

(6)

في السجال الذي يدور حول انحدار سوريا ونظامها إلى قاع القاع أخلاقيا وسياسيا وعسكريا، يغفل كثير من أنصار النظام وحتى بعض خصومه- عن جوهر القضية. فالأمر لا يتعلق هنا بحجم المعارضة للنظام أو عدد أنصاره. فقد كان غالبية الألمان يؤيدون أدولف هتلر، وأيدت غالبية الهوتو في رواندا المجازر ضد أقلية التوتسي، بل وشاركت فيها. فليس حجم المشاركين في الجرائم ضد الإنسانية هو الفيصل، لأن الله سبحانه وتعالى أهلك من قبل أمما بكاملها لمجرد التردد في إنكار إجرام المجرمين.

(7)

لا بد هنا من أن ننوه بأن النازيين في ألمانيا كانوا يعاملون أسرى الأعداء بكل احترام، ووفقا للمعاهدات الدولية، وإنما كان جل إجرامهم موجها ضد اليهود وخصومهم السياسيين وأقليات أخرى. وفي هجمات إسرائيل الأخيرة على غزة وجنوب لبنان، لم تكن تستهدف المدنيين جملة، أو تقطع الماء والدواء عن مدن بكاملها، كما أنها لم تعدم الأسرى أو تجهز على الجرحى وتمنع العلاج عن المصابين، وبالقطع لم تمثل بجثث الأطفال بعد تعذيبهم حتى الموت. فهذا إجرام لم يسبق عليه العصابات الحاكمة في سوريا أحد من العالمين.

(8)

إجرام وانحطاط بهذا الحجم، وهذا الإصرار عليه، لا يخرج أصحابه فقط من دائرة الإنسانية أدعنا في هذا المقام من الإسلام والعروبة)، بل يطرح أسئلة مقلقة حول إنسانية من يجهدون لإيجاد العذر له، بل وحتى من يسكتون عنه. مفارقة مؤلمة إذن أن تطالب سوريا بعد مقتل المصور الفرنسي والصحفية الأمريكية بحماية المواطنين الأجانب، لأنها تذكرنا بالموقف المقابل للنظام السوري الذي ينازع العالم ليس في مسؤولية حماية مواطنيه، بل في الحق الحصري في إهلاكهم وإخضاعهم بالعنف والإرهاب.

(9)

نحن هنا أمام نظام يسابق نفسه للتجرد من كل ذرة إنسانية، ولن «ينتصر» إلا عندما يعري نفسه تماما أمام العالم كوحش شيطاني لا مكان له في عالم البشر، على علاته. وكما حدث مع الهوتو والنازيين، فإن هذا «الانتصار» سيورث أجيالا قادمة عبئا ثقيلا من الإثم والاعتذار والملاحقة والتشرد.

(10)

تبينت وأنا أراجع رائعة محمود درويش، «أحمد الزعتر»، التي خلدت الام مأساة تل الزعتر، حجم الخلل الذي ساد تفكيرنا معشر المثقفين العرب. فمحور تلك المأساة لم يكن «أحمد، المقاتل، بل كانت الطفلة «مريم»، و«أم أحمد» وبقية سكان المخيم ممن لا ذنب لهم في المواجهة. فللمقاتل سلاحه، ولكن الإنسانية جمعاء هي خط الدفاع الأول والأخير عن الآلاف الذين أحصروا في حمص كما في تل الزعتر، لا يسمح لهم بالخروج، ولا يسمح بإغاثتهم. فمن واجب البشرية النهوض لإنقاذ هؤلاء، وألا تسامح المجرم أبدا، أبدا.

القدس العربي 23 / 2 / 2012

ماري كولفين : نعيش في هلع من حدوث مجزرة

التقرير الأخير الذي أرسلته الصحافية ماري كولفين الى الصنداي تايمز البريطانية

■ ترجمة: فرمز حسين

صحافية أمريكية الولادة عملت لمدة 20 عاما في صحيفة صنداي تايمز البريطانية حصلت على العديد من الجوائز غطت بتقاريرها الصحفية معظم المناطق التي نشبت فيها حروب : سيراليون، البلقان، الشيشان، تيمور الشرقية، الشرق الأوسط فقدت إحدى عينيها في كمين أثناء تغطيتها لأحداث الحرب الأهلية في سريلانكا. قتلت في مدينة حمص حي بابا عمرو جراء القصف على المدينة من قبل القوات السورية الحكومية

نعيش في هلع من حدوث مجزرة

بسمى القبو بملجأ الأرامل، فيها تكدس النساء والأطفال جنبا إلى جنب مع بعض الأسرة المؤقتة وبعض الأمتعة مبعثرة هنا وهناك. يجلسون مقرفصين بقلوب مليئة بالخوف مسجونين في مدينة الرعب، حمص المدينة التي ترزح تحت قصف وحشي لا رحمة فيه.

واحدة من هؤلاء الثلاثمائة شخص القابعين في معمل الخشب، ذلك المكان الواقع في حي بابا عمرو هي: أنور(ذات العشرين سنة فقدت زوجها أثناء القصف بقذائف الهاون من قبل الجيش الحكومي.

كانت القذائف الصاروخية قد أصابت بيتنا ولذلك كنا 17 شخصا في غرفة واحدة، تقول نور بينما ابنتها ميمي 3 سنوات وابنها محمد 5 سنوات يتشبثون بأطراف عباءتها (الحجاب الكامل).

لم يكن لدينا شيئا من الطعام سوى الماء والسكر لمدة يومين بلياليها، فخرج زوجي بحثا عن بعض الطعام لنا. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي ترى فيها نور زوجها مزيد 30 عاما الذي كان يعمل في محل لصيانة الهواتف الخلوية. تقطع جسده إلى أشلاء من الشظايا. بالنسبة لنور كانت المأساة مزدوجة حيث قتل أخاها عدنان 27 سنة في نفس المكان مع مزيد.

الجميع في هذا الملجأ لهم قصص مماثلة من المعاناة والموت. اختاروا هذا القبو لأنه من الملاجئ القليلة في بابا عمرو. فرش الإسفنج ممددة بمحاذاة الجدران والأطفال لم يروا ضوء النهار منذ بداية الحصار في 4 شباط. أغلب العائلات هربوا من منازلهم بالملابس التي كانت على أجسادهم.

المواد الغذائية نفذت تقريبا من المدينة، كل ما تبقى هو الرز والشاي وبعض معلبات الكونسروة من السمك أحضرها أحد رجال الدين من مخلفات إحدى محلات السمانة التي تعرضت للقصف.

إحدى الأطفال الخدج التي ولدت الأسبوع الماضي، بدت على سماتها هلع شبيه بتلك التي على وجه والتها فاطمة ذي ال19 سنة التي هربت من منزلها المكون من طابق واحد، والتي تساوى مع الأرض من جراء القصف العشوائي. لقد نجونا بمعجزة تقول بنبرة خافتة. فاطمة مذعورة من هول الصدمة، لدرجة أنها لم تعد قادرة على أن ترضع طفلها، فالطفل يعيش فقط على الماء والسكر.

فاطمة ربما تكون أرملة وربما لا. زوجها يعمل راعيا وقد كان في الريف عندما بدأ الحصار بحاجز عليف من النيران. ومن حينها لم تسمع عنه أي خبر.

ملجأ الأرامل ذلك يعكس المال والمصير الصعب لـ28000 شخصا نساء أطفالا، ورجالا يتشبثون بالحياة في بابا عمرو، الحي المؤلف من بيوتا إسمنتية منخفضة والمحاصر من جميع أطرافها من القوات العسكرية السورية.

الجيش يقصفهم بصواريخ الكاتيوشا وقذائف الهاون والدبابات. في الوقت الذي يتمركز القناصة على سطح بناء جامعة البعث وعلى الأسطح الأخرى العالية التي تحيط بباب عمرو يطلقون النار على كل مدني يصبح في مرمى قناصتهم. في الأيام الأولى من الحصار سقط الكثير من الأهالي قتلى برصاصهم. الآن أصبحوا يعرفون مكان تواجد القناصة، ويركضون من الأماكن التي قد يكونون فيها عرضة للقنص

ظاهرة في كل بناية، قذائف الدبابات قد اخترقت جدران الاسمنت المسلح ونفذت إلى داخلها، أو قذائف الهاون قد أحدثت فجوات كبيرة في الأجزاء العلوية من المنازل. في بعض الشوارع هناك العديد من البنايات التي هدمت تهديما كاملا. كل ما يستطيع المرء رؤيته هي قطع من الملابس المهترئة وبقايا موبيليا محطمة.

أنها مدينة البرد والجوع لا يسمع فيها سوى صدى القنابل وطلقات البنادق، لا يوجد هواتف، والكهرباء قد تم قطعها عن المدينة، القليل من المنازل لديها الوقود للمدافئ التي هم بأمس الحاجة إليها، في واحدة من أشد الشتاءات بردا على الإطلاق.

الأمطار المتجمدة تملئ حفر الشوارع، والثلج يدخل النافذة التي لم يعد عليها أي زجاج، لا توجد محلات مفتوحة

العائلات تتقاسم ما لديها مع الجيران والأقارب. الكثيرون من الذين قتلوا هم من الذين خرجوا للبحث عن الطعام لعائلاتهم. الجيش يحاول بكل ما أوتي من وحشية أن يسحق المقاومة في حمص، حماة، والمدن الأخرى التي انتفضت ضد حكم الرئيس السوري بشار الأسد. العائلة التي حكمت سورية لمدة 42 سنة.

في بابا عمرو هناك الجيش السوري الحر والذي يمثل المعارضة المسلحة. يحظى بتأييد شعبي شبه كامل بين السكان المدنيين، كما يعتبرهم السكان حماة لهم.

لكنها معركة غير متكافئة، دبابات الأسد والأسلحة الثقيلة في مواجهة الجيش السوري الحر، الذي يقاتل ببنادق الكلاشينكوف.

ما يقارب 5000 جندي يتواجدون في أطراف باب عمرو، والجيش السوري الحر ينتظر الهجوم الأرضي. نخاف أن يترك الجيش السوري الحر المدينة تقول حميدة 43 سنة، التي تختبئ مع أطفالها وعائلة أختها في شقة مهجورة بعد أن تم قصف

منزلها. سوف تحدث مجزرة.

السؤال الذي على ألسنة الجميع: لماذا تخلى العالم عنا؟!!!!!

عبد المجيد الذي ساعد الجرحى بالخروج من المنازل التي تعرضت للقصف، جاء بنداء وطلب بسيط: من فضلك اخبري العالم بأن عليهم أن يساعدونا، قالها بأعين مترقبة، أوقفوا القصف رجاءا، أوقفوا إطلاق النار.

أهالي المدينة يعيشون في رعب حقيقي. تقريبا كل عائلة قد أصابها فاجعة فقدان أحد من أفرادها قتيلا أو جريحا.

خالد أبو صلاح، ناشط شارك في أوائل التظاهرات ضد الأسد في آذار العام الماضي، كان جالسا على الأرض في إحدى المكاتب بيد مكسورة وملفوفة بالضماد، وجروح الشظايا في قدميه و كتفيه. خالد طالب جامعي عمره 25 سنة، خاطر بحياته عندما قام بتصوير الفيديو عن المذابح والانتهاكات التي حدثت بأهالي باب عمرو.

أصيب خالد حين كان يساعد اثنين من الجرحى لنقلهم إلى عيادة مؤقتة، التي يعمل فيها طبيب وطبيب أسنان، هو وثلاثة من رفاقه. عندما كنا نهم بالخروج سقطت قذيفة على المكان، أدت إلى مقتل رفاقي الثلاثة على الفور، والشخصين الآخرين أيضا.

أبو عمار 48 سنة سائق سيارة، خرج في الصباح الباكر ليأتي ببعض الخبز الأسبوع الفائت، هو وزوجته وابنته بالتبني كانوا قد لجئوا إلى منزل شقيقتين مسنتين وذلك بعد أن تعرض بيتهم للقصف.

يقول: عندما رجعت كان البيت قد تحول إلى حطام. لم يتبقى منه إلا جدار واحد لم يسقط. من بين الأنقاض ظهر شالا نسائيا احمر اللون وبعض علب كونسروة الخضار التي لم تتحطم لسبب ما!

دكتور علي، طبيب أسنان يمارس عمل الطبيب البشري قال: لقد وصلت إحدى هؤلاء النسوة إلى هنا، أي المشفى الميداني وكانت قد فقدت قدميها الاثنتين، ولكنها فارقت الحياة.

علي بدأ بقص اللباس عن العريني على سرير العمليات، في المشفى الميداني.الشظايا كانت قد قطعت أجزاء كبيرة من فخذه، نزف الدم الغزير عندها أخرج علي إحدى الشظايا بملقط معدني من تحت عينه اليسرى. حرك العريني رجليه ثم فارق الحياة على الطاولة. صهره الذي كان يرافقه أجهش بالبكاء. لقد كنا نلعب (الورق (الشدة) عندما سقطت قذيفة على البيت، قالها وعيناه تغرق بالدموع. أخذوا العريني إلى مستودع مؤقت للجثث، في مكان كانت سابقا غرفة نوم. عاري الجسم موضوعا في كيس بلاستيكي عليه فقط الأحرف الأولى من اسمه.

لا يوجد نهاية لهذا الوضع

خالد أبو كمالي فارق الحياة قبل أن يلحق الطبيب بنزع ملابسه عنه. كان قد أصيب بشظية قنبلة، عندما كان في بيته. صلاح 26 سنة اخترق صدره قضيب من أثر القصف. لم يتوفر مادة تخدير لكنه بقي يتكلم بينما أدخل علي أنبوبا معدنيا في ظهره لكي يخفف من الضغط الناتج عن الدم المتراكم في صدره.

أم عمار 45 سنة أم لسبعة أطفال كانت موجودة للمساعدة بتضميد الجراح لقد قدمت بنفسها لكي تساعد في التمريض بعد أن تعرض منزل جيرانها للقصف، كانت تلبس في يديها قفازات بلاستيكية متسخة تبكي وتقول ماذا علي أن افعل ؟ أنا ملزمة بهذا الشيء لأن الشباب الذين يجلبونهم إلى هنا هم كلهم أبنائي.

أحمد محمد طبيب عسكري انشق عن قوات جيش الأسد، يقول منادياً : أين حقوق الإنسان ؟؟ هل يوجد ذلك؟؟

أين الأمم المتحدة؟؟؟

كان يوجد فقط سريرين للمعالجة في العيادة على إحداها كان احمد خالد مستلقيا قال بأنه قد أصيب عندما سقطت قنبلة على الجامع بينما كان يؤدي فريضة الصلاة. لقد اضطروا إلى استئصال الجزء الأيمن من خصيتيه باستعمال بالراسيتامول فقط كمسكن للآلام، وأدان ادعاءات نظام

الأسد بأن الثوار هم من المتطرفين الإسلاميين!

. قال: نحن نناشد كل البشر الذين يؤمنون بالله مسلمين، مسيحيين ويهود أن يساعدونا..... إذا أراد الجرحى مغادرة بابا عمرو، فيجب أن يتم حملهم وبعدئذ يمكن نقلهم بالدراجات النارية، والذين يحالفهم الحظ يتم تهريبهم إلى مكان آمن. الجرحى الذين إصاباتهم بليغة لا يمكن القيام بتهريبهم. مع أن السلطات السورية لا تسمح لأحد بالمغادرة إلا أن البعض قد توفق بدفع الرشوة.

مريم 32 عاما المتزوجة حديثا قرروا أن يهربوا حين سمعوا بأن ثلاثة عائلات قد قتلوا وامرأة تم اغتصابها من قبل ميليشيات الشبيحة المعروفة بوحشيتها والتابعة لشقيق الأسد -ماهر- حيث أعطت مريم خاتم زواجها لأحد المسئولين لكي تتمكن الخروج من بابا عمرو. إذا اقتحم الجيش السوري الحكومي باب عمرو فلن يكون للجيش السوري الحر أية فرصة للصمود في مواجهة الدبابات. سوف يستبسلون في القتال على الرغم من عدم التكافؤ، دفاعا عن أهلهم، فهم على دراية بوقوع مجزرة في حال الهزيمة

يقول: أبو سعيد 46 سنة ضابط برتبة رائد منشق عن الجيش الحكومي منذ 6 أشهر. يقول: لقد تم وضع عنصر من المخابرات في كل وحدة عسكرية، وهم من جهاز الأمن المخيف، ولديهم الصلاحيات بإعدام كل من يرفض الانصياع الأوامر إطلاق النار أو يشك بتفكيرهم في الفرار. الوضع حتى الآن والى أمد غير معلوم يبدوا قاتما مميتا، فالجيش الحر ليس له أمل في النصر وذخيرتهم بدأت تنفذ.

الأمل الحقيقي الوحيد في النجاح للذين يقاومون الأسد هو أن يقوم المجتمع الدولي بمساعدتهم، مثل الناتو وما فعله ضد القذافي في ليبيا. حتى الآن لا يبدو أن ذلك سيحدث في سورية. في الوقت التي تتذبذب فيها الدبلوماسية الدولية، يزداد اليأس في باب عمرو.

حميدة 30 عاما تختبئ مع أختها وأطفالهم ال13 في قبو، بعد أن سقط قذيفتين هاون على منزلهم. ثلاثة بنات صغار بين 16 شهرا وستة سنوات، ينامون على فرشة أسفنجية رقيقة وهترهة ممددة على الأرض. وثلاثة آخرون اشتركوا بفرشة أخرى.

أحمد ابن شقيقتها ذي ال16 ربيعا قتل من ضربة قذيفة صاروخية، عندما خرج بحثا عن بعض الخبز.

الأطفال يبكون طوال الوقت، وأنا أحس بأني عاجزة عن فعل أي شي، نحس بأننا متروكين لا أحد يهتم لحالنا.

لقد أعطوا بشار الضوء الأخضر لقتلنا

عن صيحفة داغنز نيهيتر السويدية
26 /2/ 2012

صحافة التبر وصحائف التراب

■ صبحي حديدي

مارس بعض الصحافيين العرب رياضة فاضلة، حميدة تماماً، رغم أنها ليست البتة رائجة في السلوك العربي، هي النقد الذاتي، في صدد غياب الصحافة العربية عن التغطية الميدانية لوقائع الانتفاضة السورية. الزميل حازم الأمين، على سبيل المثال، اعتبر أنّ الغياب 'فداحة'، وسؤاله 'يلامس الإهانة أحياناً'، بالنظر إلى أنّ الصحافي العربي لم تتوفر له فرصة التغطية، في جانب يحتمل مقداراً من العذر، أو أنه استجاب إرادياً لقرار النظام السوري بمنع التغطية. في المقابل، يتابع الأمين: 'لم يفعل غيرنا ذلك. فقد توجه إلى المدن السورية، وإلى أكثر النقاط سخونة عشرات من الصحافيين الغربيين الذين لا تمس' سورية قضاياهم على نحو ما تمس' قضايانا. وفي الوقت الذي كنا نقول إنهم يملكون حصانات تحميهم هناك لا نملكها، قضى منهم أربعة صحافيين وجرح آخرون'.

والحال أنّ أمثال ماري كولفن، ريمي أوشليك، أنتوني شديد، إديت بوفييه، وليام دانييلس، بول كونروي، خافيير إسبينوسا، شون ماكالستر، راميتا نافائي، دوروثي بارفاز، صوفيا عمارة، وآخرين أقرب إلى الجنود المجهولين، بين مصوّر ومنتج وتقني؛ وضعوا سلامتهم الشخصية على المحك'، فعلياً، لكي ينقلوا شذرات من الحقائق على الأرض. 'الحصانة'، اعتماداً على الجنسية، لم تكن عامل ترجيح لصالح المغامر، كما اتضح، إذْ قُتل البعض بقذائف الفرقة الرابعة (كولفن وأوشليك)، وقضى البعض بسبب ملابسات التسلل (شديد، الذي جازف بركوب الخيل لعبور الحدود التركية ـ السورية، رغم أنه كان مصاباً بطراز من الربو ذي حساسية قاتلة ضدّ الخيل)، واعتُقل البعض الآخر في زنازين أجهزة النظام الأشدّ وحشية (بارفاز وماكالستر)، ونجح آخرون في مغادرة البلد بعون من كوادر الانتفاضة...

ومع تقدير المرء لرغبة عشرات الصحافيين العرب في تغطية الانتفاضة على نحو يليق بالتضحيات الجسام التي بذلها ويبذلها الشعب السوري، وبالتاريخ اليومي الملحمي المجيد الذي تصنعه مئات القرى والبلدات والمدن؛ فإنّ الغياب العربي له أسباب أخرى، ذاتية وموضوعية، تُبقي الرغبة في إسارها الرغبوي الصرف، وتضع من العوائق ما يكفي لكي تتعثر الخطوة عند المتر الأخير قبيل عبور الحدود خلسة، لكي لا يقول المرء بأسى: حتى قبل أن تُخطى الخطوة! صحيح، كذلك، أنّ الصحافي العربي قد يلقى من أجهزة النظام السوري تنكيلاً أقسى من ذاك الذي يُخصص للصحافي الأجنبي، وليس من المرجح أن ترسل له بلاده طائرة طبية خاصة تنقله معززاً مكرّماً، أو أن ينتظر رئيس الدولة مواطنه الصحافي نصف ساعة على مهبط المطار لكي يحظى منه بمصافحة يتيمة، إذا شاء الأخير منحها أصلاً!

الصحيح، من جانب آخر، هو أنّ الغالبية الساحقة من الصحافيين العرب لم يتعودوا على هذه السوية الخاصة من حسّ' المغامرة، حيث يمتزج الأداء العالي بالمجازفة القصوى، والضمير الحيّ' بالعقل المتيقظ، والانحياز الأخلاقي بالموضوعية المهنية. وحين تتوفر استثناءات، وهي لامعة حقاً وجديرة بالإعجاب، فإنها في الأغلب لا تكسر القاعدة العامة؛ كما يحدث أنْ يكون ميدان التغطية محفوفاً بمخاطر أخرى سياسية وعقائدية، غير تلك الأمنية: كأنْ يجد أحدهم أن تغطية جرائم معمّر القذافي في ليبيا، لا تتناقض مع مناهضة تدخّل الحلف الأطلسي هناك؛ ولكنه يتحرّج من تغطية جرائم بشار وماهر الأسد في بابا عمرو، لأنه من أنصار 'حزب الله'.

ذلك لا يعني غياب 'ثقافة حربجية'، وعذراً لهذا النحت الخشن، قديمة ومتأصلة لدى العديد من الصحافيين العرب، مُورست وتُمارس عن يقين وانخراط تارة، وعن تملّق وزلفى تارة أخرى، وإنْ ظلت في معظم الأطوار واهية الصلة بميزان الذهب الذي يفرز الفوارق بين الحقيقة والضلال، وبين صحائف التبر وصحائف التراب. ولعل الكثيرين يتذكرون 'ثقافة' لطيف نصيف جاسم، وزير الإعلام العراقي الأسبق، الذي كان يسوق الصحافيين العرب، والكتّاب من ضيوف مهرجان 'المربد' أيضاً، إلى خطوط القتال العراقية ـ الإيرانية، وهم في الثياب العسكرية؛ وكيف، للمفارقة، أنّ البعض منهم كان يتسابق على التقاط صور 'تذكارية' أمام دبابة أو مدفع، يشفع بها ما سيدبج من 'تغطيات'.

وأمّا الطرافة السوداء، فهي أنّ الكثيرين من أبطال تلك الصور انقلبوا رأساً على عقب بعد حرب الخليج الثانية، أي بعد انقلاب العراق من بئر نفط إلى بئر فاقة وجوع وحصار، فتبارزوا في شتم البلد والشعب والحضارة قبل ـ وأحياناً دون الإحساس بالحاجة إلى ـ شتم النظام نفسه. التتمة الأنكى، إذْ لا بدّ من هذه أيضاً، أنّ بعض البعض عاد إلى حاضنة النظام تائباً، حين اخترعت الأمم المتحدة حكاية 'العقوبات الذكية'، وصار في الوسع التكسب مجدداً، عبر 'يونات' النفط التي افتُضحت قوائمها بعدئذ. وصدّقوا أنّ جمهرة من هؤلاء هم اليوم أنصار النظام السوري، على سبيل 'الممانعة' كما يعلنون، ولكن لأنّ لهم في السرّ' صرّة من 'المال الطاهر' الشهير، دون سواه!

وهكذا، أي مشاعر يمكن أن تنتاب الصحافي العربي الذي يقرأ، اليوم، شهادات بوفييه وكونروي وإسبينوسا وماكالستر، أو الدقائق الأخيرة من حياة شديد كما رواها زميله المصوّر تايلور هيكس؟ سؤال أهمّ: ما الذي سيتغيّر في باطن ضميره غداً، عندما تتكرر بابا عمرو في أيّ، وكلّ، بقعة سورية؟

القدس العربي 4 / 3 / 2012

لنسوّ الصفوف ونوحّدها

■ مشاركة من: Happy Creative

ها قد مضت سنة كاملة وفي كل يوم مصاب ولا توجد عائلة واحدة نجت تماما من أن يكون لها معتقل أو شهيد أو جريح فإلى متى ستبقون خائفين من التغلب على خوفكم؟ إلى متى ستبقى صفوف الثوار أيضا معوجة؟؟

الله بدلا من عنده أحسن شي... والله ما عم نعرف الحقيقة وين... هو طالع بإيدنا شي)

جمل نسمعها كل يوم من أهل الشام.. جمل تؤلمنا كثيرا وتسبب لنا اليأس أن ما زال بيننا حائرين لا يعلمون: هل يقومون ؟؟

إن كنت لا تزال محتاراً في أي صف تقف.. وإن كنت لا تزال جاهلا بدورك فابدأ من هذه اللحظة.. ربما تأخر الوقت لكن لا بأس.. سيتقبل الله مشاركتك في أي ساعة تقبل عليه.. وهن بدري، وربما نحن في بداية الطريق.

فأنقذ نفسك من العار والحق يركب القائمين الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وقتش عن دورك بين ازدحام الأحداث والآلام.. فلا بدّ من دور لك ووظيفة وإلا لما خلقك الله في هذا الزمان.

ألم تتساءل مرة: لماذا خلقت في هذا الزمان ؟ اسمح لي بالإجابة: خلقك الله في هذا الزمان لتكون من أبطاله فلا تجعل نفسك عبئا وكلا على من حولك. اسمع الآية:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

سنقول لي: واجبي الدعاء فقط ! أعلم أن الدعاء هو أول واجباتك لكن النصر لا يأتي إذا لزمت فقط سجادة الصلاة.

جرب أن تترك الجامعة وتدعو ليلاً نهاراً: يارب صير دكتور... يارب صير دكتور... يارب صير دكتور... وبعدين؟ بتصير دكتور ؟

هذا هو حال الثورة.. الله معنا وهو يسمع دعاءنا ويستجيب لنا لكن إن بقي الخوف في قلوبنا فعلام يأتي النصر؟

فتش أرجوك عن دورك فقد آن للصفوف أن تستقيم... أرجوك قف معنا وساند بكتفك كتف أخيك...

احمل معنا قسما من التعب كي نفرح بالنصر جميعنا.. وإن كنت تؤمن بذاتك.. فآمن أن لك دورا ولا تجعل من نفسك سرابا.

نريد للصفوف أن تكتمل... هيا !! نحن بانتظارك

الجرائم التي تمس الأسرة في التشريع السوري

■ ياسر مرزوق

الأسرة لغةً مشتقة في أصلها من الأسر، ويعني القيد، والأسر هنا اختياري ارتضاه المرء لنفسه ومنه اشتقت كلمة «الأسرة»، ولن نأتي بجديد إذا تحدثنا عن أهمية الأسرة على اعتبار تطورها وتقدمها انعكاس لتطور المجتمعات، وتطور أي مجتمع أو رقيه ينعكس بالدرجة الأولى على الأسرة في جدلية لا تنتهي، من هنا سنعرض اليوم للنصوص التي حمى بها المشرع السوري كيان الأسرة بفصل من قانون العقوبات أتى تحت عنوان «الجرائم التي تمس الأسرة».

اعتمد المشرع السوري نصوصاً توفيقية في تحديد سن الزواج، في حين أن الأصل هو منع تزويج من هم دون (18)من العمر، إلا أن المشرع وبضغط من العادات والتقاليد رأى المشرع بنفسه عن التطبيق الصارم لمنع تزويج القاصر وترك الأمر معلقا بيد الولي مع ما لهذا النص من انتهاك لحقوق القاصر، نصت المادة /469/ من قانون العقوبات على ما يلي: «إذا عقد أحد رجال الدين زواج قاصر لم يتم الثامنة عشرة من عمره دون أن يدون في العقد رضى من له الولاية على القاصر أو أن يستعاض عنه بإذن القاضي عوقب بالغرامة من مائة إلى مائتين وخمسين ليرة». كما نصت المواد /470، 471، 472/ على ما يلي :

«يستحق العقوبة نفسها رجل الدين الذي يعقد زواجا قبل أن يتم الإعلانات وسائر المعاملات التي ينص عليها القانون أو الأحوال الشخصية أو يتولى زواج امرأة قبل انقضاء عدتها».

«من تزوج بطريقة شرعية مع علمه ببطلان زواجه بسبب زواج سابق عوقب بالحبس من شهر إلى سنة، ويستهدف للعقوبة نفسها رجل الدين الذي يتولى عقد الزواج المذكور مع علمه بالرابطة الزوجية السابقة».

«ينزل منزلة رجال الدين لتطبيق الأحكام السابقة المتعاقدون وممثلوهم والشهود الذين حضروا الزواج بصفتهم هذه».

أما عن موضوع الزنا فقد ميز المشرع وبمخالفة دستورية واضحة بين المرأة والرجل في العقوبة،وقد ناقشنا هذا الموضوع مطولا في ملف المرأة وقد نصت المواد /473، 474، 475/ على ما يلي :

«تعاقب المرأة الزانية بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين، ويقضي بالعقوبة نفسها على شريك الزانية إذا كان متزوجا وإلا فالحبس من شهر إلى سنة، فيما خلا الإقرار القضائي والجنحة المشهودة لا يقبل من أدلة الثبوت على الشريك إلا ما نشأ منها عن الرسائل والوثائق الخطية التي كتبها».

«يعاقب الزوج بالحبس من شهر إلى سنة إذا ارتكب الزنا في البيت الزوجي أو اتخذ له خليلة جهارا في أي مكان كان وتنزل العقوبة نفسها بالمرأة الشريك».

«لا يجوز ملاحقة فعل الزنا إلا بشكوى الزوج واتخاذه صفة المدعي الشخصي «وعند عدم قيام الزوجية فتتوقف الملاحقة على شكوى الولي على عمود النسب واتخاذه صفة المدعي الشخصي، لا يلاحق المحرض والشريك والمتدخل إلا والزوج معا. و إذا رضي الرجل باستئناف الحياة المشتركة تسقط الشكوى».

وتحت عنوان الجرائم التي تمس الأسرة، تعرض المشرع لجريمة سفاح القربى بعقوبات تعتبر هزيلة قياسا لخطورة هذه الجريمة على مختلف الصعد، نصت المادة /47677/ من قانون العقوبات على ما يلي :

«السفاح بين الأصول والفروع، شرعيين كانوا أو غير شرعيين، أو بين الأشقاء والشقيقات والأخوة والأخوات لأب أو لأم أو من هم بمنزلة هؤلاء جميعا من الأصهار، يعاقب عليه بالحبس «من سنة إلى ثلاث سنوات»، إذا كان لأحد المجرمين على الآخر سلطة قانونية أو فعلية «فلا تنقص العقوبة عن سنتين»، يمنع المجرم من حق الولاية».

كما نصت المادتان /478، 479/ على ما يلي :

«من خطف أو خبأ ولداً دون السابعة من عمره أو بدل ولدا بآخر أو نسب إلى امرأة ولدا لم تلده، عوقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى ثلاث سنوات. ولا تنقص العقوبة عن سنة إذا كان الغرض من الجريمة، أو كانت نتيجتها، إزالة أو تحريف البينة المتعلقة بأحوال الولد الشخصية أو تدوين أحوال شخصية صورية في السجلات الرسمية».

«من أودع ولداً مأوى اللقطاء وكتم هويته حال كونه مقيدا في سجلات النفوس ولدا شرعياً أو غير شرعي معترف به عوقب بالحبس من شهرين إلى سنتين». تظهر مشكلة التطبيق العملي للمواد سابقة الذكر، فحتى الآن لم يقر المشرع تحليل الحمض النووي كوسيلة لإثبات النسب وبقي عملية الإثبات محكومة بالبينات التقليدية.

كما تنص المواد التالية على عقوبة الخطف للقاصر، والتي غالبا ما تكون في حالات تنازع الحضانة بين المطلقين

«من خطف أو أبعد قاصراً لم يكمل الثامنة عشرة من عمره ولو برضاه بقصد نزعه عن سلطة من له عليه الولاية أو الحراسة عوقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبالغرامة مائة ليرة. وإذا لم يكن القاصر قد أتم الثانية عشرة من عمره أو خطف أو أبعد بالحيلة أو القوة كانت العقوبة الأشغال الشاقة الموقتة».

«الأب والأم وكل شخص آخر لا يمتثل أمر القاضي فيرفض أو يؤخر إحضار قاصر لم يتم الثامنة عشرة من عمره يعاقب بالحبس من ثلاثة اشهر إلى سنتين وبالغرامة مائة ليرة».

كما عاقب المشرع على تسييب القاصر بالمواد التالية، إلا أن الواقع العملي يثبت عدم نجاعة هذه النصوص وعجزها عن حل المشكلة فظاهرة التسيب ينبغي علاجها من الجذور بخطة اقتصادية واجتماعية تلغي الأسباب الحقيقية لظاهرة تسييب القصر.

«من طرح أو سيب ولداً دون السابعة من عمره أو أي شخص آخر عاجز عن حماية نفسه بسبب حالة جسدية أو نفسية عوقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنة. و إذا طرح الولد أو العاجز أو سيب في مكان فقر كان العقاب من سنة إلى ثلاث سنوات».

«إذا كان المجرم أحد أصول الولد أو العاجز أو أحد الأشخاص المولين حراسته أو مراقبته أو معالجته أو تربيته شددت العقوبة على نحو ما نصت عليه المادة 247. و لا يطبق هذا النص على الوالدة التي أقدمت محرضة أو فاعلة أو متدخلة على طرح مولودها أو تسييبه صيانة لشرفها».

كما تنبه المشرع للحفاظ على حق القاصر الأساسي في الإعالة وسن عقوبات رادعة لكل من يمتنع عنها، ويطرح تساؤل عن سبب تضمين المشرع نص المادة /487/ بندا خاصا بالتبني رغم منعه قانونا في سوريا

«إن الأب والأم اللذين يتركان في حالة احتياج ولدهما الشرعي أو غير الشرعي أو ولدا تبنياه سواء رفضا تنفيذ موجب الإعالة الذي يقع على عاتقهما أو أهملا الحصول على الوسائل التي تمكنهما من قضائه يعاقبان بالحبس مع التشغيل ثلاثة أشهر على الأكثر وبغرامة لا تتجاوز المائة ليرة».

يا أرضنا.. شهداؤنا: نوصيك بهم خيرا

الشهداء الأطفال حوري وقمر جنيات وابنة خالتهم قمر أبو حمد

استشهد الأطفال في قصف بالصواريخ على بيتهم في حي الملعب البلدي بحمص، بتاريخ 20 / 2 / 2012.

الرحمة للشهيد البطل.. الرحمة لكل الشهداء

الشهيد سعود ممدوح الدندشي

عثر على جثته في قرية حالات الحدودية التابعة لتلخ في النهر من قبل شباب القرية.. يذكر أن الشهيد غرق بينما كان يساعد العائلات النازحة إلى لبنان بتاريخ 9 / 3 / 2012

الرحمة للشهيد البطل..
الرحمة لكل الشهداء

الشهيدة البطلة ديمة قلفوني

من مدينة حمص – القصور، استشهدت برصاص قناص بمنطقة القصور بتاريخ 10 / 3 2012، عندما عادت الاتصالات في حمص صعدت على سطح المنزل لتتمكن الاتصال بأهلها في عمان بعد انقطاع دائم للخطوط المحولة لأكثر من شهر، وإذ بقناص ينهي حياتها، وهي أم لطفلين في الثلاثين من عمرها.

الرحمة للشهيد البطل.. الرحمة لكل الشهداء

شمعات الحرية . . معتقلونا

المعتقلة بهراء حجازي

اعتقلتها قوى الأمن منذ تاريخ 2 / 2 / 2012، دون أي تهمة واضحة ودون أي معلومات عنها..

يذكرى أن بهراء ابنة الروائي والإعلامي عبد الغني حجازي، وهي طالبة في كلية الفنون الجميلة، وتعمل في مجال التصميم والرسوم المتحركة.. ولها فيلم رسوم متحركة بعنوان تموجات القلب، وكانت تحضر لفيلمها الوثائقي الأول عن المرأة السورية، والذي اختير ضمن عشرة أفلام أخرى في برنامج دوك عبد الأوروبي 2011

الحرية لبهراء.. الحرية للوطن

المعتقلة عتاب لباد

اعتقلت من قبل الأمن بتاريخ 7 / 3 / 2012، وتحدثت مصادر عن وجودها لدى فرع التحقيق المخابرات الجوية.

يشار إلى أن الصحفية عتاب لباد طالبة بكلية الصحافة بجامعة دمشق، وتمارس العمل الصحفي منذ ست سنوات، كما رشحت لجائزة إيلاريا ألبي، الإيطالية التي تحمل اسم الصحفية الإيطالية التي قتلت في الصومال العام 1994.

الحرية لعتاب.. الحرية للوطن

المعتقلة يارا شماس

الأمن السوري يعتقل 12 شابا وصبية من مقهى في دمشق

أقدم عناصر من الأمن على اعتقال 12 شابا وشابة من أحد مقاهي دمشق بتاريخ 9 / 3 / 2012، واقتادتهم إلى جهة مجهولة، بعد أن امتنعوا عن الافصاح عن هوية الفرع الذي يتبعونه والمكان الذي يأخذونهم إليه.. كان من بينهم يارا شماس ابنة المحامي والناشط الحقوقي ميشال شماس.

الحرية ليارا.. الحرية للوطن

يا نحن

8 آذار يوم المرأة السورية

انطلاقاً من أهداف ثورتنا والتي تجسد ثورة الكرامة والحرية والديمقراطية فإننا نتمنى أن نعمل سوية على دعم حملتنا عن ثورة المرأة السورية وذلك في يوم الثامن من آذار.

... فالثامن من آذار لسنوات طويلة مضت مثل يوم استيلاء حزب البعث على السلطة، وبمجرد تذكر هذا التاريخ يجعلنا نعود إلى سلسلة من الإجراءات التي اتخذت في حق المواطنين السوريين من بينها: قانون الطوارئ الذي استخدم ذريعة لقتل آلاف الأبرياء، وسُجن من خلاله العديد لعقود طويلة.

الثامن من آذار هو أيضاً يوم المرأة العالمي.

وهو ثورة الكرامة والحرية للشعب السوري، يجب أن لا يمر هذا اليوم مرور الكرام ... سيكون ممثلا للمرأة السورية.

الثامن من آذار منذ هذه السنة، سنة 2012هو يوم المرأة السورية.

سيبقى الدال ولكن الذي سيختلف هو المدلول. هو فرصة لكي نقول إن الثورة هي ثورة حرية ... ثورة اجتماعية... ثورة على كل التقاليد البالية والصور النمطية التي أسرت كلاً من المرأة والرجل في سوريا الحبيبة.

سنجعل هذا اليوم يوم المرأة بكل همومها، من حقها في منح الجنسية لأطفالها ... إلى دورها السياسي وأهمية انخراطها في جوانب الحياة كافة.

وهو ما يجب أن نؤكد عليه خلال الثورة ...

ولاختيار هذا اليوم بالذات لجعله يوماً خاصاً بثورة المرأة السورية عدة أبعاد أهمها:

البعد السياسي: يتمثل في إنهاء كافة المناسبات التي يحتفل بها النظام وتحويلها إلى يوم لاحتفال الثورة. وفي اعتقادنا فإن هذا الأمر لا خلاف حوله حيث أنه يندرج ضمن أعمال العصيان والحراك المدني من حيث هو مقاومة للنظام.

البعد النضالي النسوي: حيث كان لحضور المرأة السورية خلال الثورة حضوراً لافتاً وعلى كافة الأصعدة، من مشاركة بالمظاهرات والتنسيق والتحضير لمشاريع الحراك السلمي، والدعوة إلى العصيان المدني، وتدوين لقصص معاناة الشعب السوري المنتفض خلال حملة قمع نظام الأسد، ومساعدة العائلات المنكوبة من غذاء ودواء وإيواء... وغيرها من المشاركات التي لا يتسع ذكرها في هذا المقام.

ورغم أننا في هذه المناسبة نود التركيز على كافة النساء المجهولات اللواتي لم نسمع بهن وكن قد قدمن بطولات حقيقة كثيرة ... إلا أننا لن ننسى أبداً رموزاً نسائية من مثل رزان زيتونة وفدوى سليمان وغيرهن كثيرات ممن كان لهن الأثر الكبير في نفوس النساء الثائرات بل وفي نفوس الرجال على حد سواء.

البعد الاجتماعي لما بعد الثورة: يتعلق بتخصيص يوم لموضوع نضال المرأة جنبا إلى جنب الرجل في مواجهة الاستبداد...مما سيمنحنا نقطة انطلاق تبدأ منها المرأة السورية نضالها في مجتمعها والذي عانى طويلاً من مفاهيم استبدادية قمعية وحرمان من أبسط حقوق المواطنة في الحرية والكرامة. والحديث هنا عن نضال لنيل الحقوق سيبقى لما بعد انتصار الثورة السورية، لأن النضال مسيرة حياة، والمرأة لا بد وأن تتخذ من ثورة الحرية والكرامة محركا لها كلما ركدت أنهار الحياة واستكانت.

الثورة أنثى..

عن صفحة نساء سوريات لدعم الانتفاضة السورية

أنا حر أكتب بلغة حرة دون تكلف أعبر عن أفكاري بدون قيود أو معوقات تلغي بسيطة وهدفي واضح كلمة حق تصل مباشرة لكل من يعيش معاناتي ويحلم نفس حلمي .. أنا مواطن سوري حر.. حبر حر، مساحة رأي تنشر بالتزامن على المواقع التالية،
سوريا فوق الجميع | كيريت | المندسة السورية | صفحة الشعب السوري عارف طريقه | صفحة حركة شباب 17 نيسان | راديو واحد زائد واحد | مجلة سوريتنا | مجلة سوريا بدها حرية | صبايا وشباب المجتمع المدني

الثـــورة أنثـــى

خود مشوح | نساء الربيع العربي

إذا كان لابد يوما أن نعيد الاعتبار و نرفع لواء الاعتراف بفضل أروع و أنبل و أجمل ما لدى السوريين، علينا أن نبدأ بتلك السيدة التي حفظت لنا ما نستطيع الفخر به. المرأة التي حفظت لنا بعضا من قيمنا الإنسانية و الأخلاقية، حفظت لنا الجمال غير المنضوب وسط شراهية القبح، والابتسامة النضرة من لدن رحم الأوجاع السورية الكثيرة، إنها المرأة السورية بصفتها جندي مجهول يعرفه الجميع

بعد استلام العسكر للحكم تحول وجود المرأة لواجهة تجميلية، كان الظهور الواضح فقط لبعض النساء التابعات سياسياً لهذا النظام، ويبدو أن هذه هي المساحة الوحيدة التي ساوى فيها النظام المرأة بالرجل و هي سلب القرار أساسا من كل شخص غير تابع له سواء كان ذكراً أو أنثى

إذا بحثنا عن تلك الأسماء التي حفرت عميقا في الوجدان السوري من السيدات الناصعات الحضور سنحصي الكثير وسيبقى الأكثر.

ماري عجمي، عادلة الجزائري، نديمة المنقاري، و الأديبة ألفة الإدلبي، و ثريا الحافظ، و سلمى الحفار الكزبري .. وغيرهن الكثيرات اللائذات في صمت الذاكرة. الاف الطبيبات و المهندسات و المحاميات و المدرسات أعلين من حضور الأنوثة السورية الباهرة، اجترحن معجزات التساوي وانتزعن الحضور بلا غرور

لقد أقر السوريون جميعا بحضور المرأة في حياتهم ليس لأن حزب البعث حرر المرأة السورية، بل لأنها حررت نفسها بنفسها. فثورة البعث، الذي ابتلع بذكرى انقلابه يوم المرأة العالمية و السورية أسوة بابتلاعه كل طاقة حيوية خلاقة في سوريا، لم تقدم إلا مزيدا من الشعارات البلهاء و الجوفاء للمرأة.

كانت المرأة السورية تكافح في الحقول و المنازل وتجترح معجزة البقاء و حماية الأسرة مبتكرة بذلك نظاما اقتصاديا متكاملا، واصلة الليل بالنهار في أرجاء سوريا لتربي وتبني و تحفظ و تبتكر أساليب البقاء لها و لأسرتها. في المدن حولت المرأة العاملة مكان سكناها إلى جنتها، و في عملها شاركت الرجل بقوة و تفوقت عليه بالكثير

إن المرأة السورية عرفت كيف تتكيف وتنتزع الكثير من الحضور و بالطبع كل هذا غير كاف. فهي ما زالت في بداية الطريق

الثورة السورية والمرأة

أسقطت الثورة الكثير من المخلفات الفكرية للنظام الذي يتستر وراء عباءة العلمانية الكاذبة، و أسقطت القناع عنه فكان استخدام النظام للرجل الذكر و سلاحه و أدواته القمعية العنيفة لثني المرأة عن التظاهر أكبر دليل على زيف إدعائه في التعامل مع المرأة كمربية و نصف المجتمع كما كان يصفها بخطاباته الرنانة. بل زاد على ذلك و وصفها تارة بالسلفية و تارة أخرى بالرجعية و المخربة فقط لأنها طالبت بالحرية

بكل اليقين نقول: لولا مشاركة المرأة السورية في هذه الثورة المباركة لما كان لها أن تستمر، فهي التي باركت لأبنائها خروجهم و لم تحبط عزيمتهم و مدتهم بالدعم و الدعوات، و هي التي زغردت لهم حين سقطوا مضرجين، و هي التي ساهمت برعاية الجرحى، و هي التي مدت الثوار بالغذاء و العزيمة. لقد كانت تلك الأم الجميلة التي وصفها درويش حين قال: (أجمل الأمهات التي انتظرت ابنها فعاد مستشهدا فبكت دمعتين و وردة و لم تنزوي في ثياب الحداد). هي الأخت المتحمسة و الرائعة المشاركة الصابرة المعتقلة الشهيدة أيضا، و هي التي أضفت على كل قسوة الثورة ذلك الحضور البهي المغموس بالأنوثة الجليلة

برز دور المرأة "المناضلة" ضد النظام قبل و بعد الثورة فمن سهير أتاسي التي أخذت على عاتقها رفع صورة طل الملوحي يوم كان الصمت يلف الذكورة و الرجولة في البلد، إلى حضور رزان زيتونة و مي سكاف و فدوى سليمان و منتهى الأطرش الذي صاغ البدايات و البوصلة للثورة. ولن نغفل ذكر ظهور الكثير من الفتيات كناشطات سياسيات في الثورة كن فيما مضى من غير المهتمات بالأمور السياسية أو الوطنية.

إذا كانت سهير و طل و رزان و مي و فدوى صوت الثورة، فان أم محمد و أم احمد و أم حسام و أم عبدو و أم خلدون هن" قلب الثورة و ضميرها، لم تبدأ الثورة في درعا إلا عندما سمعنا اول زغرودة للشهيد، كانت النساء تحيط بالمتظاهرين من على شرفات البيوت بالزغاريد و بعد كل زغرودة يتضاعف الهتاف حتى يصل السماء، كان الجميع ينظر بعين خائفة الى و الد الشهيد و اخوته و كأنهم هم اصحاب الحق في اجتماعاتهم، يخافوا ان يروا التراجع في عيونهم، لكن عندما رأوا أمهات الشهداء يزغردن ما عادوا ابهين أو خائفين على مستقبل الثورة. شكل النسوة في درعا لجان لحماية المظاهرات و المتظاهرين من الاعتقال و الكثير من الشباب يحفظ لهن" انقاذ حياته

و في النهاية، لا يسعنا كسوريين إلا أن نكن كل الفضل و الاعتزاز لكل من هزّت مهد طفل بيمينها، حاملة راية الثورة بيسارها، لكل من تركت قلمها في منبر العلم لتشارك بكل ما أوتيت من زاد الكلام في رفع مستوى حرية الرأي و التعبير، لكل من أطعمت سوري، خبزا أو كرامة، لكل من أغاثت ملهوف كإبن أو أوت شريد كأخ قريب كان أم غريب، لكل من كانت في مقدمة الحشود معلنة بأعلى الصوت أن الصمت عورة، أو كانت من على شرفات المنازل تمطر ثوار الوطن بزغاريدها ودعواتها.

لهن جميعاً نقول:
كل عام و أنتن ثورة

أســـس الحكـــم الشـــمولي

■ ياسر مرزوق

لم يكن استخدام مصطلح «توتاليتارية» أي حكم شمولي، بالأمر الجديد في سنة 1945. ذلك أن هذا المصطلح السياسي كان يستخدم، في الكتابة الفكرية كما في اللغة السياسية، منذ زمن بعيد، ومع هذا كان من نوع التجديد أن تستخدمه الكاتبة والمفكرة الألمانية الأصل حنة آرندت، في ذلك العام لتتحدث من خلاله، وبشكل مقارن، عن النازية والستالينية في آن معاً. ففي سنة 1951 حتى حين كان المفكرون يندون بالستالينية، فإنهم لم يكونوا قد قطعوا بعد الخطوة التي تماثل بين فكر وارث ماركس ولينين، بحسب زعم ستالين وجماعته، الذي يحكم في واحدة من أكبر الإمبراطوريات في العالم، وبين ذلك الوباء النازي الذي كان قد كف عن الحكم، بعد أن جر على الإنسانية طوال عقود من السنين ويلات كثيرة. حنة آرندت قطعت تلك الخطوة لتنشر في ذلك العام كتابها «جذور التوتاليتارية» الذي صار منذ ذلك الحين مرجعاً معتمداً في الفكر السياسي، ناهيك عن كونه قد صار أيضاً واحداً من أهم كتب تلك المفكرة الألمانية اليهودية ، التي وجهت أول ضربة فكرية عميقة إلى السلطات الإسرائيلية من قبل مفكرة يهودية.

إن كتاب «جذور التوتاليتارية» تميز بعمقه في دراسة ظواهر سياسية على مستوى الدول والجماعات، ليصبح من فوره واحداً من كلاسيكيات الفكر السياسي، إضافة إلى أن المفكرين لم يعودوا من بعده قادرين على استبعاد فكرة المقارنة والتقارب بين الظاهرتين الفاشيتين الأكثر حضوراً في القرن العشرين: النازية والستالينية. علماً أن الكتاب يتناول، كذلك كجزء مكمل لهاتين الظاهرتين مسألة معاداة السامية، ليس كظاهرة سياسية، بل كمفهوم فكري. ومن هنا اكتملت لهذا الكتاب العناصر التي جعلت منه، محاولة أولى وجريئة لـ «التأريخ الفكري للنصف الأول من القرن العشرين» على الأقل.

ومع هذا، سنلاحظ بسرعة أن الكتاب يبدأ بدراسة ظاهرة نشوء معاداة السامية وتطورها في وسط أوروبا وغربها، منذ أواسط القرن التاسع عشر، رابطة إياها في شكل أو آخر، في فصل تال، بصعود الإمبريالية خلال الفترة الفاصلة بين منتصف ذلك القرن واندلاع الحرب العالمية الأولى. ولعل الجديد الذي أتت به آرندت في هذا المجال، هنا، هو التحليل العميق الذي أوصلها إلى التأكيد على أن التمييز العنصري إنما كان في ذلك الحين السلاح الإيديولوجي الأكثر قوة ومَضاء في يد الإمبريالية الناشئة. ومن هنا، وكما تشير آرندت، صار ذلك التمييز، إضافة إلى البيروقراطية (التي تفيدنا آرندت هنا بأنها اختبرت بأفضل ما اختبرت في مصر خاصة من قبل اللورد كرومر)، صارا معاً السمة الرئيسية للنزعة الكولونيالية الإمبريالية، التي اتسمت في الوقت نفسه بنزعة توسعية لا تعرف حدوداً. ولقد قامت هذه النزعة بالتعارض المطلق مع مفهوم الدولة - الأمة، الذي كان من مقوماته الأساسية انحصاره في جغرافية أرضية محددة. وفي هذا الإطار نلاحظ كيف أن آرندت تهتم هنا بدراسة نمو وتراكم الرأسمال في الأمة - الدولة الأوروبية (فرنسا، بريطانيا، ألمانيا...) خلال القرن التاسع عشر، لتقول لنا، إن هذا الرأسمال كان في حاجة إلى أن يستثمر خارج الأرض الأوروبية المحدودة، كي يصبح مثمراً، ما تطلب في الوقت نفسه توسيع الرقابة والسيطرة السياسيتين على مناطق عدة خارج القارة الأوروبية، من أجل توظيف الرساميل وحمايتها في شكل دائم. وانطلاقاً من هنا تنتقل آرندت لدراسة ما سمته بـ «الإمبريالية القارية»، عبر دراسة النزعة الجرمانية والنزعة السلافية، ونشوء حركات في البلدان المركزية للشعوب المرتبطة بهذه النزعة، حركات سرعان ما تحولت إلى أحزاب سياسية. وتقول آرندت هنا إن هذه الأحزاب أتت جميعها معادية للفكرة البرلمانية، وجعلت من نفسها بسرعة قوى تستخدم التمييز العنصري ومعاداة السامية أداة لتمكين نفسها. ومن أجل ذلك كان لا بد لها كلها من أن تكون مناهضة لفكرة الدولة، حيث تحل أسطورة العرف لديها مكان هذه الدولة. واللافت هنا هو أن آرندت بعد أن تشرح هذا كله تتوقف لتقول لنا إن ثمة فارقاً كبيراً بين النازية والستالينية «كتعبيرين على سطوة النزعة الجرمانية لدى الأولى، والنزعة السلافية لدى الثانية وحلولهما مكان الدولة الحديثة»، وبين الفاشية الإيطالية من ناحية أخرى، حين تقول لنا إن الفاشية في إيطاليا هي على العكس من ذلك «حركة تمجد فكرة الدولة وتاريخها، حتى وإن ظلت حركة قومية تسلطية».

وآرندت تنطلق من تفسير هذا، لتقول إن الستالينية أقرب إلى النازية الهتلرية من الفاشية الموسولينية، طالما أن الستالينية والنازية، بدتا حركتين همهما وهدفهما الرئيسي تدمير الدولة. وعطفاً على هذا تتوقف حنة آرندت في هذا القسم من كتابها، عند ظهور وتفجر مشكلة الأقليات العرقية والأنزياحات الشعبية (اللجوء) خلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى مباشرة.

أما في القسم الأخير من كتابها، فإن حنة آرندت تدرس وتناقش كل ما يرتبط بالحركات الشمولية من مؤسسات وممارسات، مركزة هنا على ما ترى أنه كان التجلي الأكثر بروزاً للتوتاليتارية خلال النصف الأول من القرن العشرين أي ألمانيا النازية وروسيا الستالينية، فتدرس أول ما تدرس، تحول الطبقات إلى جماهير، ودور الدعاية السياسية في تعامل هذين النظامين مع العالم الخارجي، ناهيك عن استخدام الإرهاب ولا سيما إرهاب الدولة. وهنا بحسب دارسيها تقول آرندت، وبإسهاب، كيف أن الأنظمة التوتاليتارية تختلف عن أنظمة الحكم الفردي الأوتوقراطي، من حيث أن هذه الأنظمة الأخيرة تسعى للهيمنة على السلطة السياسية المطلقة وجعل المعارضة خارج القانون لإلغائها بعد اضطهادها، بينما تسعى الأنظمة التوتاليتارية إلى السيطرة الشاملة على حياة كل فرد وكل إنسان، كخطوة أولى على طريق السيطرة على العالم.

وفي هذا الإطار تدرس حنة آرندت، وبتعمق، الدور الذي تلعبه في هذا المجال ممارسات مثل إنشاء الجبهات السياسية الوهمية والتي تستخدم كواجهة للحكم، وتأسيس المنظمات الحكومية الوهمية، ونشر النظريات الغيبية كوسيلة للتوفيق بين الطبيعة الجذرية للأهداف التوتاليتارية، والعالم الخارجي.

وأخيراً في الفصل الختامي، والذي أضافته آرندت إلى طبعة العام 1958 من هذا الكتاب، تسعى الكاتبة إلى دراسة طبيعة عزل الأفراد عن بعضهم البعض كوسيلة ضرورية لسيادة مبدأ السيطرة الشاملة على المجتمع.

كما أشرنا، تعتبر هذه الدراسة (التي لا شك في أن مفكرين كثراً تبعوا خطاها وتجاوزوها لاحقاً) واحداً من أهم الأعمال الفكرية التي درست ظاهرة التوتاليتارية، مميزة إياها بخاصة عن الإمبريالية من ناحية، وعن الحكم الفردي من ناحية ثانية. وصاحبة الدراسة حنة آرندت (1906 - 1975)، فهي الفيلسوفة والمفكرة السياسية الألمانية الأصل والتي عاشت لاحقاً وكتبت في أميركا، وعرفت بمواقفها التقدمية، ناهيك عن صداقتها للفيلسوف مارتن هايدغر. ومن أعمال آرندت الأساسية الأخرى: حياة العقل، الشرط الإنساني، الإنسان في الأزمان المظلمة، واليهودي كمنبوذ.

صدر الكتاب عن دار الساقي بعنوان أسس التوتاليتارية.

عبد الرحمن باشا اليوسف 1865 - 1920

■ ياسر مرزوق

ولد عبد الرحمن ابن محمد باشا اليوسف في دمشق عام 1865، لآل اليوسف الأسرة القديمة الشهيرة بالمجد والفضل، والتي أفرد المؤرخ عبد القادر ابن بدران كتابا سماه (الكواكب الدرية)، ذكر فيه تراجم مشاهير رجالها، وذكر سبب سكناهم في دمشق، وقال :كان جدهم محمد بك ابن يوسف (1250 هـ / 1843 م) من أعيان أكراد ديار بكر، من عشيرة الزركلي، أمتهن تجارة المواشي، واختار دمشق موضعا لتجارته، فاتسعت ثروته، وجعل منزله منهلاً للقاصد والوارد.

تلقى علومه في المدرسة الملكية في الأستانة ونال الثانوية عام 1883، عاد إلى دمشق ليلقى كل العناية من جده سعيد باشا شمدين "أمير الحج" الذي تخلى له عن جميع ثروته الطائلة من بعده وأراض واسعة في "الجولان، وبرزة، الكيارة وزبدين" وداره الشهيرة في ساروجا التي أعاد بنائها ابراهيم باشا المصري على هيئة تشبه دار ابراهيم باشا في مصر واعتنى بتعليمه إلى أن تقلد وظيفة جده المذكور بعد عجزه عنها.

كان موسم الحج في مدينة دمشق يعدّ في طليعة موارد العيش، حيث يدرّ الأرباح الطائلة على جميع أهلها طيلة العام وكانت دمشق أثناء حكم العثمانيين تنعم بأهمية خاصة جداً على اعتبارها (باباً للكعبة) كما دعوها آنذاك، وكانت الطريق المؤدية من الشام إلى المدينة المنورة فمكة المكرمة هي الأقصر مسافة والأكثر سلوكا من سائر البلاد المؤدية إلى الحجاز من جميع الأقطار الإسلامية الشاسعة. ولذلك دأب السّلاطين العثمانيون على ترميم هذه الطريق وتعميرها وتوفير الأمن في ربوعها، فجعلوا في كل منزلة من منازلها قلعة لها جند معينون لحراستها ولتأمين المياه للحجّاج في ذهابهم وإيابهم. وبوجه الخصوص، نال الحج ومعه دمشق عناية خاصة من السلطان عبد الحميد، ولذلك لا نعجب أن منصب محافظ الحج كان لا يقل عن منصب الوالي.

وكانت دمشق نقطة التقاء الحجاج الذي يفدون إليها بطريق البر منذ شهر رجب من كل عام من بلاد ما وراء النهر وإيران والأفغان والسند والعراق والأناضول وسواها، فيجتمعون في هذه المدينة إلى منتصف شهر شوال. وفي خلال هذه المدة يزورون الأماكن المقدسة، ويتاجرون مع أهل الشام فيبيعون ما حملوه معهم من مختلف المتاع، ويشترون لقاءه من المنتوجات الشامية ما يروق لهم للاستعمال والمتاجرة. وكان البعض من تجار حمص وحماه وحلب يأتون إلى دمشق في موسم الحج ويشتركون بهذه التجارة ثم يضاف إلى هؤلاء الحجاج من يريد أداء الفريضة من السوريين أيضا، فيبلغون في بعض السنين زهاء خمسة آلاف حاج بين رجال ونساء وخدّام يؤلفون الركب الشامي الذي يسير بانتظام ويقوده محافظ الحج (أو أمير الحج) الذي كان يعيّن من قبل السلطان شخصياً، لتأمين راحة الحجاج. و شغل اليوسف هذا المنصب خلال الفترة الواقعة بين عام 1892-1918.

وتقلد عبد الرحمن باشا عضوية مجلس إدارة الولاية، ونال عددا من الرتب لما قام به من الخدمات تجاه قاصدي بيت الله الحرام، وانتخب نائبا على دمشق في مجلس الأمة، ثم عين عضوا في مجلس الشيوخ زمن العثمانيين.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى وحكم جمال باشا السفاح لدمشق عمد الأخير للتنكيل برجالات سوريا إلا أنه لم يكن له الاقتراب من اليوسف كونه نائبا في البرلمان العثماني ولعلاقاته القوية مع الاتحاديين الأتراك، بل على العكس ومع اندلاع الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، طلب جمال باشا من اليوسف وفوزي باشا العظم والشيخ الشقيري التوجه إلى المدينة المنورة لإقناع العشائر العربية وضمان ولائهم للأتراك.

عام 1918 دخل الجيش العربي دمشق تحت قيادة الأمير فيصل ابن الحسين وتم تعيين حكومة عربية في دمشق برئاسة فيصل، وتعيين رضا باشا الركابي كأول رئيس وزراء لسوريا ، وأعلن عن انتخابات للمؤتمر السوري اشترك فيها اليوسف وفاز بثاني أعلى نسبة من أصوات المقترعين وانتخب نائباً لرئيس المؤتمر.

وقف اليوسف مع الملك فيصل داعماً اتفاقه مع كليمنصو، وفي عام 1920 دعم اليوسف تتويج فيصل ملكاً على سوريا ومع إنذار غورو انحاز و بما يملك من حنكة سياسية للرأي القائل بقبول الإنذار حفاظا على المملكة السورية وللتخفيف من سطوة الانتداب، عن "الدكتور عبد الرحمن الكيالي" ومن كتابه "المراحل" الجزء الثالث ننقل "كان قبول الملك فيصل بمثل هذا الاتفاق حكمة منه، وتقييما سليما للظرف الدولي الذي يجتازه العالم والبلاد العربية آنذاك "ورغم معارضة الشارع القوية بدافع المشاعر الوطنية قبل الملك بتنفيذ شروط الإنذار إلا أن غورو ادّعى بعدم وصول الرد وتهيأ لاحتلال سوريا. وعلى أثر موقفه السابق تعرض اليوسف لهجوم عنيف من رجالات سوريا المخالفين له بالرأي فاعتزل الحياة العامة واعتكف في داره.

الصورة من موقع متحف سوريا لتاريخ سوريا

إثر فاجعة ميسلون عهد الملك فيصل إلى علاء الدين الدروبي بتأليف وزارة جديدة تضمن التفاهم مع الفرنسيين فشكلها في 25 تموز 1920 واختار عبد الرحمن باشا اليوسف لرئاسة مجلس الشورى، غير أن نوايا الفرنسيين الحقيقية عادت فظهرت، فتلقى الملك فيصل كتابا باسم حكومة فرنسا يدعوه لمغادرة البلاد في 28 تموز، فغادر دمشق إلى درعا حيث التف حوله شيوخ حوران مما أقلق الفرنسيين فأنذروا أهل حوران بقصفهم بالقنابل إن لم يغادرها الملك في غضون عشر ساعات، مما اضطره لمغادرتها حقناً للدماء وتوجه نحو أوروبا

أثار رحيل الملك فيصل نقمة العشائر العربية الموالية له في حوران مما دعى برئيس الوزارة الدروبي ورئيس مجلس الشورى اليوسف للتوجه إلى حوران لتهدئة الزعماء هناك، فقتل الاثنان في حادثة (خربة غزالة) في حوران عام 1920 فقد هاجت الجموع الغاضبة يدفعها اعتقاد خاطئ باعتبار اليوسف ورفيقه موفدان من حكومة الاحتلال الفرنسي شيع اليوسف في دمشق ودفن في الدحداح.

قال عنه المؤرخ محمود الحصني : كان مثال الشهامة والكرم، والأخلاق الحسنة، والشجاعة، يداري الكبير والصغير، والغني والفقير وقديما قيل : من اكبر الأشياء شهادة على عقل الرجل، حسن مداراته للناس، وان حسن المدارة يشهد لصاحبه بالتوفيق.

وقد أعقب أولاداً ووجهاء هم : محمد سعيد بك محافظ مدينة دمشق الممتازة، والذي كان يجيد خمسة لغات "العربية، التركية، الفرنسية، الإنكليزية، الألمانية".

وعمر بك، ورائب بك، وفؤاد بك : من ملاك الأراضي.

وزهراء بنت محمد سعيد زوجة محمد علي العابد "أول رئيس للجمهورية السورية سنة 1939م"، من رائدات العمل النسائي، رئيسة جمعية "نقطة الحليب، الهلال الأحمر، و حلقة الزهراء، و الندوة الثقافية النسائية".

ناشطات سوريات يخرجن على حماية الذكور لـ «الحرائر»

■ زينة ارحيم

«نساؤنا لا بعثُهم»، «وراء كل ثورة عظيمة..امرأة»، «الكرامة أنثى، العدالة أنثى، الثورة أنثى»... عبارات من حملة بلغت ذروتها أول من أمس، أطلقها ناشطون وناشطات على الإنترنت وفي الشوارع السورية للاحتفال باليوم العالمي للمرأة كيوم للمرأة السورية، وهو اليوم ذاته الذي اعتاد النظام إحياءه كذكرى «ثورة حزب البعث» في الثامن من آذار (مارس) من كل عام.

وأعدّ الناشطون لهذه الحملة مجموعة من أشرطة الفيديو والأغاني والتصاميم البصريّة واللوحات الفنيّة، إضافة إلى التنسيق مع مجموعات وصفحات عدّة على «فايسبوك» ليكون يوماً لتكريم المرأة ودورها في الثورة، شهيدة ومعتقلة وثكلى.

حياتي ليست أغلى

سقطت نحو 300 شهيدة منذ انطلاقة الثورة وفق موقع توثيق الانتهاكات في سورية، ومرت الآلاف بتجربة الاعتقال، وإن تباينت مدّتها بين ساعات وأشهر، وكانت أولى المعتقلات عشر نساء شاركن في اعتصام أمام وزارة الداخلية في دمشق للمطالبة بإطلاق المعتقلين السياسيين في 16 آذار (مارس) الماضي، بينهن سهير الأتاسي وناهد بدوية وميمونة معمار ودانا الجوابرة. وإلى جانب التظاهر شكّلت النساء مجموعات لجمع التبرعات ومساعدة عائلات الشهداء والمعتقلين والملاحقين، إضافة إلى عملهن في المستشفيات الميدانية ومساعدة الجرحى وتهريب المطلوبين.

ثورة مزدوجة

تقف بين مئات الرجال في حي الميدان وسط دمشق، جفرا تهتف عاليا: «الموت ولا المذلة». يُطلق الأمن النار على التظاهرة، يلتفت الرجال إليهن ويصرخ أحدهم: «تراجعن! عُدن الآن!»، فترد جفرا بأعلى صوتها: «لم أت حتى أرجع، حياتي ليست أغلى من حياتك».

وجفرا واحدة من آلاف السوريات اللواتي رفضن أدوار الحياد والسلبية المرسّخة في الأعراف الاجتماعية، وثرن مرتيْن: على ذكورية مجتمعهن وعلى النظام في الوقت ذاته. تتجنب ذكر الرصاصة التي أصابتها في قدمها خلال تظاهرة البرامكة، وتقول: «كلها رصاصة، ليست بالحدث الجلل ولا تستحق الذكر مقارنة بما يحصل للجرحى والمعتقلين».

أما «داهية»، كما تُلقّب نفسها، وهي من طلائع الناشطات اللواتي تظاهرن وعملن في مجال المساعدات الإنسانية وتوزيع المناشير في مدينة حلب، فتشير إلى أن رفيقاتها لعبن دوراً كبيراً في تحريك الشارع الحلبي، قدر الإمكان: «كنّا منذ البداية نشكل نصف تعداد المتظاهرين، وكان من يعرفني يستغرب أنني أشارك في التظاهرة، فصورة المتظاهر في أذهانهم هي: رجل ومتديّن وفقير!». وتضيف: «العديد من الرجال كانوا ينضمون إلى التظاهرة للدفاع عنّا عندما يهاجم رجال الأمن النساء ويضربوننا، ويعتصمون للمطالبة بحريتنا عندما نُعتقل، وأنا أشخصياً أطلق سراحي مرتين بفضل اعتصاماتهم».

بعيداً من «العاصمتين» دمشق وحلب، تكمل السوريات ثورتهن بصمت فرضه الانقطاع الطويل للاتصالات. أم حسام خرجت للتظاهر في مدينة إدلب المحافظة، من دون أن يكون لديها معتقل أو شهيد كما الأخريات. ومغامرتها بخسارة وظيفتها، وهي المصدر الوحيد للدخل لديها، أثرتْ كثيراً في سيدات أصبحن لاحقاً «معالم» ثابتة في تظاهرات المدينة. «كل الشهداء أولادي وكل المعتقلين يخصّونني»، تقول أم حسام، «هم ذهبوا ليؤمّنوا لأحفادي مستقبلاً أفضل لا ظلم فيه ولا سجون».

ومع انتشار «الجيش الحر» في المدينة، شكّلت أم حسام، مع مجموعة من السيدات، فريقاً لإعداد الطعام للعناصر ولحياكة ملابس تدفئهم في هذا البرد: «هم شبان كانوا، قبل سنة واحدة، يعاكسون الصبايا على أبواب المدارس، واليوم يضعون أرواحهم على كفوفهم ويحملون هموم البلد، أقل شيء أن نعتني بهم»، تقول أم حسام.

زغرودة «داهية»

«أنا سعيدة بأنني فتاة الآن أكثر من أي وقت مضى»، تقول جفرا لـ«الحياة»، مضيفة: «تنقلي أسهل من تنقّل الرجال، لا سيما على حواجز الأمن، وهذا ما ساعدني في تمرير مساعدات إلى مناطق تحت القصف ما كان لشاب أن يصل إليها».

وتوافقها «داهية» مضيفة: «لأنني فتاة استطعت تخليص العديد من الشبّان من أيدي الأمن، وحين أرافق الشبان بعد التظاهرة، يتمكنون من الانسحاب بشيء من الأمان، كما أننا نخبئ أعلام الاستقلال واللافتات تحت ملابسنا وننجو بها، وأستطيع كفتاة أن أخفف ضغط التفتيش على الحواجز الأمنية عندما تكون سيارتنا محمّلة بالأدوية أو المساعدات». ولا تغفل «داهية» الحديث بشغف عن دور «الزغرودة النسائية» في التظاهرات، إذ تبعث الحماسة في حناجر المتظاهرين وتجذب الواقفين، «الزغرودة لها تأثير ساحر في التظاهرة، لا أستطيع وصفه». غير أنّ الإيجابيات التي تستغلها الثائرات السوريات بذكاء لا تخفف من عناء تصدّيهن للخوف الذكوري عليهن وحرص أسرهن عليهن. تقول جفرا: «العديد من الشبان يصدونني عن أماكن وأشياء لأنني فتاة، يقولون: لا تذهبي معنا في تظاهرة الزبداني لأن الوضع خطر، ولا تدخلي في قصة تهريب أكياس الدم لأنها مغامرة... وكأننا ننزل إلى التظاهرة لنتسلى! هذا عدا عن دعوة «الحرائر» إلى الوقوف جانباً أثناء مرور مواكب التشييع والتظاهرات الكبرى».

أما «داهية» فتخبر كيف يندفع الشبان دائماً إلى حماية الفتيات في التظاهرات، وعلى رغم جمال هذه «النخوة»، فإنها «تربك المتظاهرين وتزيد فرص اعتقالهم لأنهم يقلقون علينا وينسون أنفسهم وهذا سلبي وخطير على الجميع، نساء ورجالاً». وتضيف أنها، كونها فتاة، لا تتمكن دائما من المشاركة في تظاهرات الأحياء الشعبية، لكنها وصديقتها لم تيأسا: «ما زلنا نحاول مع بعض شبّان هذه المناطق ليقبلوا مشاركتنا في تظاهراتهم».

أم حسام أيضاً تعرضّت لضغوط من المتظاهرين الخائفين عليها من الاعتقال أو الضرب، ما دفعها في بعض الأحيان إلى التجادل معهم وسط التظاهرة: «عندما فاض بي الكيل من عنايتهم المفرطة بسلامتي، وكأنني طفلة، صرخت فيهم: تريدون الحرية وتقمعونني! لكنني لا أغضب منهم فخوفهم علينا مبرر»، كما تقول.

لا تخاف «داهية» الاعتقال والضرب بالهراوات والأيدي، وحتى بالعصي الكهربائية. فقد جربّت الطرق كلها، «إلا أنني أخاف كثيراً الاغتصاب»، كما تقول: «لكن المخاطرة تستحق، صوتي الآن يضمن مكاني في سورية الغد».

دار الحياة 10 / 3 / 2012

حنان معروف

يومي كان أقل حزناً.. كنت اقرب بمسافة ساعة عن وطني.. ناديته.. هتفت له.. دعيت له.. و لقد سمعني و حدثني.. و قال لي بأنني سأكون بخير.. و هو كذلك سيكون بألف خير.. أطمأنت... أثق بك يا وطني!

ندى الغش

نريدها دولة مدنية بيمقراطية عادلة...
دولة مواطنة وقانون..
دولة لجميع السوريين..
نحن من سيرسم مستقبل سوريا..
... ونشكر المجتمع الدولي على قلقه المزعوم بالحرص على وحدة سوريا..!!!
ولكن هل التغاضي عن العنف غير المسبوق تاريخيا واستمرار العون لهذا العنف هو عنوان هذا القلق؟؟
عجبا وألف عجب

غسان ياسين

بالنسبة للنقاط الخمسة...
هاي نقطة من أول السطر
الشعب يريد إسقاط النظام

وائل عبد المجيد

بيالكتيك ثوري أحلوي بخبوي تعبوي:
إذا هتفوا الله أكبر.. قالوا هؤلاء أتباع العرعور و سلفيّين تكفيريين
إذا هتفوا حريّة و بس.. قالوا يساريّين عملاء كلاب أتباع غليون
إذا هتفوا واحد واحد الشّعب السّوري واحد.. قالوا كذّابين منافقين طائفيّين
إذا هتفوا ما لنا غيرك يا الله.. قالوا يائسين خانعين قليلي العدد
بناءً على ما تقدّم سنطلب من الثّوار التعاقد مع أليسا و نانسي عجرم و روبي لغناء هتافات الثورة و إرضاء من سبق ذكرهم أعلى شي..

محمود محمود

أنا ما بلعب طاولة، بس بعرف كتير منيح شو يعني يكون الواحد بلا معنى! مدحوش بخانة أليك.
أنت هالواحد المدحوش دحش بخانة أليك هلق.

زويا بستان

منيح أنو لهلأ عم يقولو عليها أرملة، لأنو بس يصير اسمها قضية بترجلا شي خمسين سنة وهلأ يا شخير

دلبار يوسف

اليوم يوم الثوار، فكن رجلاً
لا يرضى بغير النصر بديلا
وإذا ثرت مع الثائرين ابتسم
فغداً تسير إلى الردى محمولا..
سيراك الناس فوق الأكتاف طلع
ويروا أمامك الجمع ضئيلا
هذه ثورة لا توسّط فيها
يبقى الثائر شامخاً وجليلا

ريما القاق

بمناسبة عيد المرأة العالمي
لابد من تجريم زواج القاصرات في بلادنا

دلشاد عثمان

عزيزي المغترب الي بتتكلم لغات أجنبية
شو رأيك تترجم كل يوم قصة عن شهيد، قصة عن دبابة، قصة نضالو واستشهادو و تنشرها على مدونة..
بتعرفوا كتير منيح أنو المجتمع الغربي مجتمع يقرأ على العكس منا..

هديل كوكي

ربيع آخر أتى.. و القمر في سوريا مكسور و حزين.

غيداء العودات

أعطني شعباً صادقاً مخلصاً شجاعاً أعطيك وطناً حراً

خلود زغير

كم كنا نحن السوريون نعوّل على الإعلام وننق بالضمير الإنساني حين بدأنا ثورتنا غير متوقعين أن يكرر النظام ما فعله بنا في الثمانينات!!

فرح أتاسي

شهيدات سوريا.. أمهات وزوجات وأخوات وبنات الشهداء.. معتقلات سوريا.. حرائر سوريا.. أنتن في القلب والفكر والذاكرة والبال.. أينهن الماجدات عهدا أننا لن ننسى العهد وسنكمل المشوار حتى رحيل وزوال النظام.. ويرونه بعيدا ونراه قريباً جداً جداً وأقرب من اي وقت كان.. الصبر مفتاح النصر

حامد دندشي

الدابي...
كوفي عنان...
فاليري أموس...
أولا: ما أضحكم..
ثانياً: ابتساماتكم البشعة مع عناصر السلطة تشعرنا بالقلبان.

عزة البحرة

إلى جميع نساء بلدي.. إلى أمهات الشهداء والمعتقلين.. الأمهات العظيمات.. الأمهات السوريات.. كل عام وأنتن حرات.. حرات.. المستقبل لنا.. وعسى أن تكون الأيام القادمة أجمل.. سنتذوق طعم الحرية معاً في وطننا الغالي.. وسنتعلم معا كيف تؤخذ الحرية.

تانيا برغلي

لقد قلتها صراحة في دستورك الجديد: أنك لا تفهم كلمة الإصلاح و كنت كاتبا في كل مرة ذكرت فيها هذه الكلمة، لذلك فأنت لست ساقطا فقط بل مُبدأ مثل غبار متراكم على أسطح أشيائنا التي نسينا تنظيفها منذ بعض الوقت

نيثار حسن

كما قال ياسين حاج صالح
خاين يللي يضرب مرتو

غسان ياسين

يوم واحد بالسنة قليل عليكي ياسيدتي الثائرة.. أنت لازم أيام السنة كلها تكون عيدك

يامن حسن

ثلاثة أيادي تقيل..
يدي الأمهات.. كل الأمهات
يدي ثائرة صرخت لا للديكتاتور
يدي امرأة فلسطينية تقطف زيتون في كروم نابلس أو يافا..

عارف حمزة

التجار حسابهم مش بعدين
التجار حسابهم كمان هلأ
واحد بقتل المقهور
و الآخر بمص دم إللي بنجو..

إلى أهلي السوريين في حمص:

عندما كنت بينكم قلتها لكم أنني ضد السلاح لأنه سيزيد من القتل وسيعطي النظام مبررات على مبررات لقتلنا وهذا ما حصل فعلا زادت المجازر وزاد العنف. فما بالكم يا أحبتي اليوم تعلنون الجهاد وتتوعدون بقتل العلويين؟؟ وأنا التي عرفتكم سوريين أصيلين لا تريدون إلا الحرية والكرامة والعدالة..

فهل نحصل عليها بإعلان الجهاد الذي سيجلب كل جيوش العالم لتقتلنا مع النظام؟؟وهل بث الذعر اليوم بين صفوف العلويين سينهي نظام بشار الأسد؟؟ ونحن الذين خرجنا من أجل دولة قانون نحاكم أمامه بالعدل سنقوم اليوم بتهديد الأقليات ومتلهم فقط لأنهم ينتمون إلى نفس طائفة الأسد؟؟ بهكل هذه الشعارات لن تختلف أخلاقنا عن أخلاق النظام.. ولن تكون هناك ثورة أساساً..

أناشدكم يا أهلي في حمص وفي كل مكان من سوريا أن تعوا أن هناك من يدفعكم دفعا لحمل السلاح ويريد التضحية بالجميع بخلق حرب أهلية ليكسب هو..

النظام يضحي بالسوريين الذين معه ليبقى هو وبالتالي من يريدنا أن نحمل سلاحا يريد لنا أن نقتل أيضا..

عندنا فرصة أخيرة لتصحيح مسار الثورة وتفويت الفرصة على من يريد قتلنا واغتيال ثورتنا الآن وبالأخص لأنني لم ألمس في نفوسكم نزعة طائفية.. وتمنيتم لو يسقط النظام دون حرب..

مازالت الفرصة أمامنا لنعود إلى سوريتنا وهويتنا.. وليسقط كل من يريد إشعال ثورتنا وتوريطنا بالمزيد من الدم.. عاشت سوريا حرة موحدة بأبنائها الموحدين..

غدوى سليمان في رسالة إلى أهل حمص ردا على فيديو المحطة الفرنسية

| بالإشارة إلى ما يحدث في سورية اليوم، كيف ترى مساهمتك في صحوة مجتمع كان نائماً وخائفاً وفي إزالة الخوف عنه؟

| | لم تكن مساهمتي في صحوة المجتمع وليدة لحظة الانتفاضة، فأنا – كفنان كاريكاتور – كنت أنتظر ما يجري الآن وأرى ما يحدث قبل وقوعه بسنين. كنت أتوقع سقوط صدام حسين ونظامه في فترة مبكرة، كما أني تلمست رياح التغيير القادمة قبل ولادة الربيع العربي بمدة ليست بالقصيرة.

ومع احترامي للجميع، لا يمكن أحداً أن يزايد عليّ" وعلى دوري كمواطن وفنان في كسر حاجز الخوف، فقد تناولت في أعمالي الفساد ورموزه بأسمائهم المعروفة وشخوصهم منذ البداية، ورسالتي كانت واضحة جداً، فالربيع العربي لا يحتمل الرمزية، بل علينا أن نلبسه اللباس الميداني الذي يتماشى مع واقع الانتفاضات. وقد دفعت ثمن موقفي الصريح هذا، لكن محبة الناس ومشاعرهم الطيبة التي عبروا عنها بعد الاعتداء عليّ" أنستني ألمي وزادت في" الأمل والإصرار على موقفي، لا سيما بعدما استطاع هذا التواصل الاجتماعي الحديث أن يخترق الجدران العازلة لتصل الرسائل والمعلومة إلى داخل كل بيت. وأرفع لمن أسس هذه التكنولوجيا القبعة، وأضع «الثورة التكنولوجية» في صدارة الإنجازات الحضارية.

| ما أهداف رسومك؟ أهي تحريضية أم ذات رسالة؟

| | أهداف رسومي تحريضية ضد الظواهر الخاطئة الراسخة في أذهاننا الدنيوية والدينية، وكل أشكال القمع، ولا اختلاف هنا بين أي شكل من أشكال القمع.

لا أحب أن يقسم لي أحد حياتي غرسالي صادقة، والصدق يتأتى من التجربة، فأنا أنغمس كما أغمس بـ «أكلة العلة»، وأفكاري تأتي من خلال مشاعري والتفاعل معها، ويمكنني أن أشبه حياتي بالشجرة، الناس غصونها، والأفكار أوراقها، والطموح جذعها، وأنا أنتج الثمرة.

| ماذا تعني لك كلمة «الحرية»؟

| | «الحرية» هي ممارسة حمل رسالة لك ولغيرك، تفاعل مع الناس والحياة، جوهرها أن تحاور بالحق والعدالة. ولكي تكون حراً يجب أن يكون الآخر حراً، وبذلك نصل إلى ما يشبه الكمال. فالحرية ليست مكسباً شخصياً، وعليّ أن أناضل من أجل الآخر لأنال حريتي، هي مسؤولية أخلاقية، مسؤولية صعبة ولها فواتيرها وضرائبها. وللأسف فإن هناك بعض الناس ينتظرون الآخرين ليدفعوا ضريبة الحرية ثم يسرقونها. وكما قبل فإن الثورة يحلم بها الحالمون وينفذها الشجعان ويسرقها الأوغاد.

لا أريد للتضحيات التي يقدمها الشباب لنيل الحرية أن تُستغل وتُستخدم كحصان طروادة من جماعات أخرى للوصول إلى أهداف سلطوية، كما أنني أرفض أن يستغل الدين في ركب العفوية الثورية، فأنا إنسان مؤمن، ولكن هذا الأمر بيني وبين خالقي، والحرية هبة غالية وعظيمة من عند الله، ومن حقي أن أسمع صوتي وتُصان حريتي في هذه الحياة، ولكي أنال ذلك علي أن أقرن سلوكي بالفكر وأعتبر أن هذا أمر أخلاقي.

| كيف تنظر إلى مستقبل سورية؟

| | الأمور تسير في اتجاهها الصحيح في سورية، ظلم متفاقم يمشي في شوارعها، نريد أن نُسمع هذا النبض الحقيقي الوطني والأخلاقي، نريد أن نبني وطننا على أسس صحيحة، لأنه لا يصح إلا الصحيح. ولن نقبل بالمساواة بين الضحية والجلاد، ولتأسيس سورية المستقبل يجب أن يتطابق فكرنا مع سلوكنا، وإذا كان منهجنا صحيحاً منذ البداية فستكون النتيجة سليمة.

السؤال والجواب: لقاء مع الفنان السوري علي فرزان | في حوار مع سمية العظم جريدة الحياة اللندنية 19 / 2 / 2012

ملحق خاص

بالذكرى الأولى لثورة الكرامة السورية

عاشت سوريا حرة كريمة لجميع أبنائها

تجليات للحظة الثورية

■ فارس البحرة

منذ اتضحت الطبيعة الثورية للحراك السوري الذي ابتدأ في درعا قبل عام أيقنت شخصياً بفوات أي فرصة للتفاوض أو الحوار أو لانتظار حل أو إصلاح يأتي من طرف نظام أوصل مجتمعه إلى الثورة، لا بثور مجتمع على طبقة حاكمة مهابة لشراستها الاستثنائية وللتوافق الدولي عليها إلا بعد أن يستنفد كل فرص المصالحة معها. و ما انفك رد فعل النظام و خياره الأمني الإجرامي المفكك للحمة الوطنية يعزز صحة هذا الرأي، إلى أن بلغ نقطة اللاعودة قاطعاً على نفسه إمكانية أي مصالحة من أي نوع و ذلك بتعميمه لظاهرة زج الجيش الوطني في حالة عداء و مواجهة عسكرية مع المجتمع، النقطة التي تشكل لقيمتها الرمزية العالية مرتكزاً هاما لمقالتي.

تشكل هذه المواجهة مأزقاً للمجند، إذ تقتضي منه أن يختار بين الانشقاق عن مؤسسة الجيش الوطني؛ التي يفترض أن يدين لها بالولاء المطلق، و بين الانصياع للأوامر العسكرية؛ و بالتالي قتل مواطنين واجبه كعسكري حمايتهم. محاصراً بمشاعر الخوف و المسؤولية و الواجب و الذنب تجاه مصيره الفردي و مصير أهله و مصير شعبه يجد الجندي السوري نفسه أمام السؤال عن الماهية الأعمق للانتماء، سؤال يفترض أن يصدر جوابه عن أعمق نقطة من وجوده الفردي. أثر هذه اللحظة لا يقتصر على العسكريين، بل ينسحب على المدنيين من أقاربهم و معارفهم الذين يشكلون بيئتهم الأهلية، أو يجدون أنفسهم على تماس مباشر معهم، كونهم يشكلون أهدافاً نارية محتملة لهم، أو من حيث هم مجيروهم المؤقتون أو مساعدون على انشقاقهم، أو راغبون بالانضمام إلى سراياهم المنشقة أو دعمها. و تنسحب هذه المواجهة على المجتمع ككل و تطاله بشكل مباشر أو غير مباشر. فهي تطرح المواطنين كمستهدفين من الجيش الوطني، فتطابقهم بذلك مع صورة عدو الوطن. و تجعل في الوقت نفسه من الجيش الوطني مطابقاً لصورة هذا العدو الذي يتوقع منه أن يهاجم المواطنين. خطورة هذه اللحظة و أهميتها تنبعان إذا من خلخلة المفاهيم البديهية المعتادة عن المواطنة، عن الجيش، و حتى عن صورة العدو نفسه و الإطار الذي تجري عادة معاداته ضمنه. لذلك أعتقد أن إقحام النظام للمجتمع بشقيه المدني و العسكري في هذه اللحظة أكبر تخريب يطال سوريا في العصر الحديث، و ربما أكبر تخريب يمكن أن يطرأ على مفهوم علاقة الحاكم بالمحكوم. هي لحظة تمزيق للكيان السوري. علينا أن نعيها كذلك كي نحولها إلى لحظة سلخ لهذا النظام عن الجسد الوطني.

شاعت بين السوريين منذ حرب العراق، أي منذ أن عاد التدخل الأجنبي ليصير خياراً مطروحاً في المنطقة، بديهية تعتبره شراً مطلقاً تهون قبالته الديكتاتورية، ليكتشفوا خلال العام المنصرم أنهم في قبضة نظام ينافس في إجرامه بحقهم العدو الإسرائيلي الذي يدعي (ممانعته) و حماية المجتمع و المنطقة من أذاه. اكتشفوا أن النظام الذي يطرح نفسه كضمانة للسلم الأهلي هو التهديد الأكبر لتعايش السوريين. و أسوأ من ذلك أن الأجنبي الذي يقبلون المستبد دونه والغ فيهم، فليس النظام الذي يحكمهم إلا ممثلاً لمصالح معسكر يرى سوريا بأرضها و مجتمعها رهينة لديه، و يقوم بتأمين الحماية الدولية للنظام كحارس لهذا الارتهان. وجد السوريون أنهم كي يتخلصوا من العبودية عليهم أن يغيروا وجه العالم.

أدى خراب البديهيات السابقة إلى تغيير كبير في مرجعيات وعي الثوار، فلم يعد الهدف من وراء إسقاط النظام مقتصراً على إزالة عائق يحول دون بناء مجتمع الديمقراطية و الحرية و العدالة فحسب و إنما ضرورة وطنية بل انسانية و وجودية. فلا تعايش مع من أثبت بممارساته عبر سنة كاملة أنه مبتكر معظم الأخطار التي يدّعي حماية المجتمع منها و المُخرج لما تبقى منها أو واضع اللمسات الأخيرة. كما تغيرت إلى حد بعيد النظرة إلى أساليب إسقاط النظام، فقد أضعفت المواجهة بين الجيش و المجتمع الحماس لتوسع التظاهر السلمي و تطوره إلى اعتصام على الطريقة المصرية، إذ جعل النظام هذا الاحتجاج المدني المشروع أشبه بمغامرة انتحارية يواجه فيها الجسد الأسلحة من أخفها إلى أثقلها، و من جهة أخرى دفع النظام الجيش عبر مواجهته بالمجتمع إلى الانشقاق و تكوين كتائب المنشقين التي عليها بالحد الأدنى واجب الدفاع عن النفس ضد القتل الذي ينزله النظام بأفرادها بلا حساب. الرفض المبدئي لتكون هذه الكتائب هو رفض لانشقاق الجيش و بالتالي هو دعوة للمجندين لقتل الأهالي. و الإصرار على السلمية المطلقة بات يكافئ في كثير من الحالات تقديم المتظاهرين كأهداف يسهل تصيدها من قبل نظام لا يشكل له استنكار الرأي العام العالمي إحراجاً يذكر.

ليس مستغرباً أن تتزامن لحظة الثورة بذروة الفعل اللاوطني متجلياً بتخريب النظام العمد للجيش و مفهوم الدولة و المواطنة، فلامبالاة النظام و التوازنات العالمية _المتوافقة بدرجات و طرق مختلفة على استمرار وجوده_ بمؤشرات اقتراب المجتمع من لحظة الانفجار يحمل بذاته دلالات على دوافع تخريب ذاتي و غيري عميقة. فإذا كانت الثورة مرتبطة بانحسار القدرة على استشعار الواقع من قبل الفئة المتسببة بها، فهي على العكس مرتبطة بنموها و نمو القدرة على تخيل و اختراع واقع بديل لدى الفئة الثائرة. لذلك ينتظر من اللحظة الثورية أن تجعل من لحظة تفكك و انحلال البديهيات الوطنية لحظة لاختراع البدائل أيضاً.

من اللافت بعد عام من الثورة محدودية نفوذية الساحة السياسية العلنية للثوريين الشباب، فمازالت معارضة النظام التقليدية في الواجهة، رغم تجربة عام كامل أظهرت أن ما لها من خبرة لا يفي اللحظة حاجتها و أنها عاجزة عن التلمس التفاعلي لحاجات الواقع الراهن، و لتحقيق ما تتطلبه اللحظة من ثورة تنسيقية تربط الثوار على الأرض بالمعارضين السياسيين بالعسكريين المنشقين بالمثقفين الذين أصبح اضطلاعهم بدور ثوري أكبر و أكثر بروزاً حاجة ملحة بعدما طفت على السطح أخطاء و ممارسات تشير إلى أثر المبالغة بالاتكال على الفطرة الشعبية و إلى ضرورة تفاعل عالي التبادلية بين الحس الشعبي و الطروحات العقلانية و الفكرية.

تحتاج الثورة إلى طرح سياسي فكري ثوري حقاً و فعلاً و مناسب للعصر، أن يقتحم مشهدها الشباب الذي لم يترسخ النظام في وعيه كشر لا بد منه، الأجيال التي ما زال أمامها نظرياً على الأقل عشرات السنين لتعيشها و لديها بذلك حاجة واقعية لتتحرر داخليا من النظام و تتخيل شكل البلد في غيابه. أجيال لم تبعدها غربة المنفى الطويلة عن الواقع السوري، قادرة على إعادة اختراع صورة الحلفاء و الأعداء بما يناسب اللحظة، و غير متورطة تورطاً لا شفاء منه بعقلية الحرب الباردة و دونكيشوتيات الأنا.

وجود هذا النظام مرتبط بتوازنات عالمية لم تحسب يوماً حساباً لوجود الشعب السوري. تغير السوريون، و تغير وعيهم لذاتهم و لقيمة حياتهم و نوعيتها. لكن ارتفاع سعر دمهم العالمي لم يصل بعد إلى بورصات العالم. بدل التشاؤم علينا في هذه اللحظة أن نعي ما لم يبلغ العالم من وعينا بالتغيير، و نثور على الثورة بشكلها الراهن.

عام من الثورة و مازال الشعب السوري عارف طريقه

■ شيرين الحايك

قبل أيام من دخول الثورة السورية عامها الأول، ناهت مدينة حمص على مجزرة نوعية من المجازر التي يرتكبها النظام برجاله - الرسميون، من جيش، وغير الرسميين، من شبيحة - من استهداف مباشر للأطفال والنساء بالقتل والاعتداء، وسط سوريا، وتشكيل الجيش الكوردي في شمال سوريا. أما دمشق العاصمة فما زالت غارقة بالمحاولات.

بالعودة عاما إلى الوراء، أذكر كيف كان الاحتقان على أشده والثورة تغلي تحت الجلد في كل مكان، في دمشق خاصة، أذكر سهرة مع أحد الأصدقاء، المعتقلين حاليا ، نحلم فيها باليوم الذي سنستطيع فيه احتلال الشوارع والاعتصام والإطاحة بالنظام، اليوم الذي نثور فيه وننقض عن مستقبلنا ومستقبل أطفالنا العفن الملتصق بتفاصيل حياة سورية عاشت أربعين عاما ونيف تحت ظل النظام الرطب، العفن هو نفسه أيضا. في تلك الليلة كان كل شيء يبدو بعيدا جدا ومستحيل جدا ؛ البلدان المحيطة تنتفض وفي سوريا لا شيء، لا سلبا ولا إيجابا، أذكر كيف كنا وحتى ذلك اليوم نخشى أن نبوح بأشياء أصبحت مع الوقت جزء من برنامج الثورة اليومي المعتاد والبديهي. أذكر الوقفات الخجولة أمام السفارات، الوقفة أمام السفارة الليبية على وجه الخصوص، هتافاتها التي كانت موجهة للنظام الأسدي باسم نظام القذافي، الغضب الأمني، كل الأشياء كانت محاولات متخبطة لكن الثورة كانت حلما بعيدا مستحيلا من منظور تلك المرحلة. ثم وعندما كانت أعيننا على دمشق، فاجأتنا درعا، أطفال درعا، وأصبحنا على ثورة مفاجئة لم تكن كما خطط لها أحد أو تمناها أحد أو رسم لها أحد، ثورة بدأت على جدران المدارس. حتى ذلك الوقت كان بإمكان النظام أن يسيطر على الوضع ويضع حد للثورة بأن يستمع للمطالب - أو بعضا منها -، التي لم تكن قد وصلت إلى إسقاط النظام بعد، لكنه فضل الاستهزاء بالشارع ولم يأخذه على محمل الجد بل أرسل رسالة واضحة عن طريق خطاب بشار الأسد الأول بأنه لا يعمل تحت الضغط !!

وهكذا فقد النظام قدرة احتواء الشارع وفضل ان يضحي بكل من يخالفه الرأي أو يطالبه بواجباته بحقه سواء بالقتل أو بالاعتقال على أن يسمع لأصوات وحناجر نادته مطالبة بتغييرات تضمن لها ولأطفالها مستقبلا أفضل كما تراه هي، وليس كما يقرر هو أنه يجب أن يكون. وعلى الرغم من أن النظام واجه المظاهرات بالرصاص منذ اليوم الأول، إلا أن المظاهرات استمرت سلمية تعتمد مبدأ الصدور العارية لأشهر طويلة جدا لكن عندما بدأ الرصاص يدخل البيوت وبدأ النظام يوجه رصاصه إلى المدنيين في بيوتهم قبل المتظاهرين في الطرقات، عندما وجه النظام رسالته إلى السوريين بأنه سيبدأ بالإبادة الجماعية والعشوائية للمدن والأحياء المنتفضة فأتت مجزرة حماه في الليلة الأولى من رمضان وبهذا أرسل النظام رسالته عن طريق حماه التي أخرجت، وبالرغم من الذاكرة المشوهة، مظاهره بالورود ضمت معظم سكان هذه المدينة الجريحة منذ الثمانيات وأوضح بأنه لم يعد يهتم إلى كون الرصاصة تستقر في صدر امرأة عجوز أو طفل صغير، فالمسألة بالنسبة له باتت مسألة ضغط وقتل عشوائي لإرهاب الشعب وكبح جماح الثورة والغضب وربما دفع المتظاهرين نحو الهاوية لحمل السلاح فعلا والتصدي له بالدفاع عن النفس وبذلك تصبح نظريته الأولى صحيحة ويجمل موقفه عالميا ليكسب المعركة، في الواقع لا تهم فعلا أهدافه هذه كلها، فمهما كانت هذه الأهداف خبيثة أو عشوائية فقد استطاع بأسلوبه ذلك أن يدفع الشارع نحو السلاح: الجيش الحر.

بدأ التسلح العلني يظهر بعد شهر رمضان الذي لم يوفر فيه النظام مجزرة دموية والذي هو بطبيعته الشهر الذي يلجأ فيه معظم السوريين إلى دور العبادة والتجمع والصلاة، فكانت هذه الصلاة وهذه التجمعات هي المنفس الوحيد والمكان الذي يشعر فيه الجميع بأنهم ينتمون إلى بعض بخوفهم وثورتهم وكل هذه التفاصيل التي يحرمهم النظام منها، اختلطت دماء الفقير بالغني والكبير بالصغير وأصبحت كل تلك الفوارق ضعيفة مقارنة بالفوارق الأخرى ولا نستطيع أن ننكر بأنه في هذه المرحلة كان الدور الأكبر للدين بأن يؤثر بالثوار على الأرض ومشاعرهم.

لن أتطرق للحديث عن المعارضة (بكل فروعها)، لأنها وببساطه لم تقدم شيئا يستحق الذكر، تأملنا منها الكثير وهي مازالت مشغولة بخلافات يبدو أنها ترى أنها أهم من التحرك بشكل أكثر وعيا كي تستطيع أن تدعم الثورة بالجانب السياسي، على أقل تقدير. لم تتوجه للشعب بخطاب مباشر، لم تتوجه له برسالة واضحة لذلك هي ليست جزءا من الثورة، برأيي، ولا تستحق أن يكون لها حديث ضمن الحديث عن الثورة، حتى تثبت العكس!

أما الآن، وبعد عام، فأرى بأن الحال على كل تعقيداته يشبه لحد كبير الوضع السوري منذ عام، هناك محاولات كبيرة واحتقان عام وتخوف كبير، وإحباط عام يجعل من فكرة إسقاط النظام والبدء بالسير نحو دولة مدنية ديمقراطية أمرا مستحيلا. وبناء على تشابه الحال الذي أراه ، فأعتقد بأنه علينا أن ننتظر المفاجأة من حيث لا نتوقع (تماما كمفاجأة شرارة الثورة في درعا). لا أريد أن أبدو بأنني بعيدة جدا عن الواقع، نعم أنا متفائلة لكنني لست منفصلة عن الواقع، الحال لا يطمئن. السلاح، الطائفية، الغضب، الخوف أرى كل ذلك وأعرف أن الصورة الحالية غير مطمئنة أبدا حتى وإن كان من ضمنها سقوط النظام، لكن ما أستطيع أن أقرأه من الإصرار ومن العام الأول من الثورة هو أن شعبي في سوريا أكثر وعيا مما كان أي يتوقع، أكثر وعيا من نظامه ومن معارضته والكثير من الشخصيات والمؤسسات العالمية، فلقد استطاع الاستمرار بثورته وحيدا يتيما عاما كاملا لم يتلقى دعما أو تعليمات من أحد كي يستطيع أن ينظم تسلحه (الذي بالرغم من كل شيء أكثر تنظيما من تسليح الناتو للثوار في ليبيا) أو حتى آليات الإغاثة والمساعدات. وعلى مر عام كامل لم يرتكب من الأغلاط شيئا بالمقارنة مع تاريخ أي شعب تعرض لهذا الكم من العنف في عام واحد، وإن كان الغضب والمشاعر تسيطر على الخطاب اليوم، فأنا مازلت واثقة بأن هذا الشعب الذي مر بكل هذا في عام واحد ومازال لديه ذات الإصرار وذات العزيمة على الإطاحة بالنظام، لن يكون لقمة سائغة يقم أي كان، بما فيها الاقتتال الأهلي والطائفي.

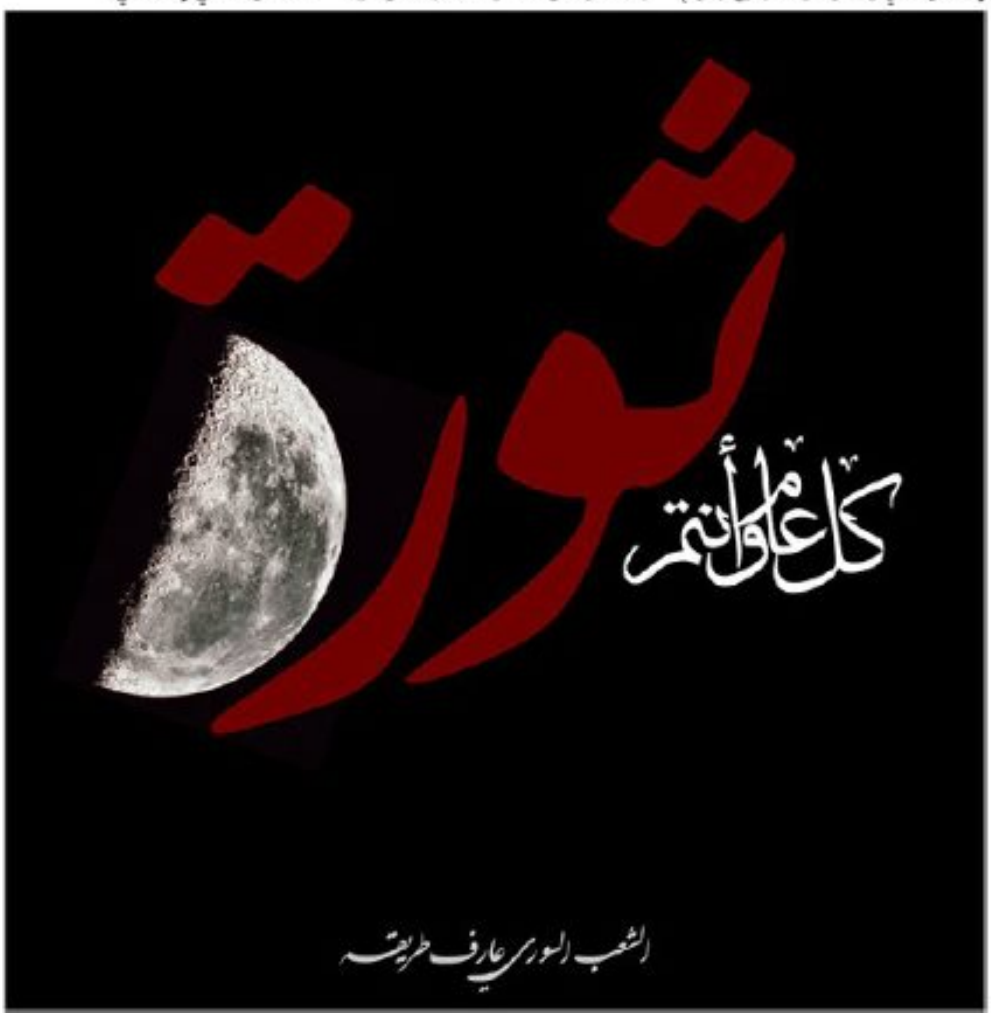

قراءة في الثورة السورية

(المفهوم - الواقع - المصير)

■ خلود الزغير
شاعرة وباحثة في جامعة السوربون الجديدة - باريس

الثورة فعل اجتماعي..

حركة مجتمع بكامل شرائحه وتنوعات أمزجتها ونشاطاتها في انتقالها من وضع لآخر وتفاعلها مع هذا التغيير، الثورة عبر التاريخ لم تُنجز يوماً على يد شريحة واحدة فقط وفشلت حين ساد التمزق والخصام بين ركائزها وحين عجزت احدى شرائحها عن مواكبة تضحيات ونشاط الشرائح الأخرى.

الثورة مجتمع متكامل مع فارق أنه يتفاعل ويتحرك بأسرع من الحركة الاعتيادية للتاريخ، لأن مهمتها تغيير حركة التاريخ. نجد فيها الشعب (القاعدة الجمعية الدافعة لصناعة التغيير)، السياسيين (بتنوع أيديولوجياتهم ومصالحهم)، المثقفين والمنظرين، النشطاء الميدانيين (النخب الميدانية المنظمة والضابطة والمحركة)، الإعلام، الجناح العسكري المقاوم والمدافع عن المدنيين والثورة في حال قمعت الثورة، التجار والبرجوازيين والممولين للثورة، المغتربين الداعمين مادياً وإعلامياً بتحريك الرأي العام العالمي وأيضا النظام ذاته والموالون له والمحايدون هم جزء من نسيج الثورة وأحد مشاهدها مع فارق أنهم جزؤها الوقح.

مقاومة جديدة..

قد لا تكون الثورة السورية هي من ابتكر المقاومة باللاعنف والسلمية، وهو ما اختارته نهجا منذ البدء وتستمر به إلى جانب المقاومة العسكرية ببعض المناطق، إلا أنها بالتأكيد قدمت نموذجا جديدا عن مقاومة الموت بالغناء ومقاومة القهر والظلم بالتهكم والابتسامة. سنة كاملة والمشهد السوري يتكرر، شعب يدفن شهداءه بالنهار ويقيم لهم أعراسا في الليل ليغني للوطن وللشهيد وللحرية القادمة. صفحات لا تعد ولا تحصى من التهكم والسخرية والرصد لكل حركات وتصريحات النظام وشبيحته الإعلاميين ومسؤوليه لا يمكن لأي مختص في علم نفس الحروب أن ينكر أثرها السلبي على النظام وجماعته وما تخلفه من تحطيم لصورة الأب/الديكتاتور ومن أثر إيجابي لروح الثورة المشتعلة.

سنة واحدة كانت كفيلة بكشف ابداعات شباب سوري مغمور، كان يمكن أن يبقى كذلك، خرج عن صمته ومن خوفه ليقاوم الهمجية إما بكاميرته أو بفنه عبر رسومات وفيديوهات مبتكرة وهادفة لتنظيم حملات وإضرابات أو بتخطيط لافتات وطباعة بروشورات ومناشير وصور الشهداء ونشر حملات الإغاثة وتوصيل المساعدات.

بعد انهيار «رموز المقاومة» في لبنان وسوريا والمنطقة وفضح حقيقتها المصلحية والطائفية وزيف مقولاتها، بعد خيبة الأمل فيها من أقصى اليمين لأقصى اليسار يؤسس السوريون اليوم نموذجا وطنيا وعربيا وانسانيا في المقاومة لأجل الإنسان ولأجل الحرية ولأجل الكرامة.

السلمية .. والتسلح

لأنها سوريا.. ولأن الثورة فعل اجتماعي كان لابد من الخيارين معا. السلمية، وبفضلها، وصلت القضية السورية لشعوب العالم كقضية أخلاقية وقانونية وإنسانية شرعية وبفضلها أيضا فقد النظام حجته بالدفاع عن نفسه أمام المجالس العالمية والعربية سياسية كانت أم حقوقية. السلمية واستمرارها للآن وقمعها الوحشي، وحده، شرعن أحقية وجود الجيش الحر وبدأ المقاومة المسلحة بعد عجز اللافتة والأغنية عن الصمود بوجه الرشاش. السلمية باقية وللآن وهي سلاح المدن المكتظة كدمشق وحلب وباقي المدن الغير مؤهلة للقتال ولايزال حلم الوصول للأمويين والعباسيين يرفرف كل صباح من قاسيون.

الجيش السوري الحر واقع وحقيقة لا ينفع تجاهلها ولم يعد بالإمكان إنكارها، يمكن الحديث ومناقشة مسألة التسلح الفوضوي أو ضعف التنسيق بين ضباط الجيش الحر أو تشكيل جماعات تحمل السلاح وتقوم بعمليات باسم الجيش الحر ودون علمه ولا يرضى عنها لتشويه سمعته. يتوجب النقاش، ويبدو ضرورياً اليوم، في كيفية التنسيق بين القرار السياسي والقرار العسكري لضمان الالتزام بأهداف الثورة ومبادئها، التنسيق بين القطعات والكتائب العسكرية المنتشرة في الأراضي السورية من جيش حر ومتطوعين لربطها ببعض ومع قياداتها لهدفين. الأول: تحقيق الخطط والأوامر المطلوبة حاليا وفق مستجدات الأحداث لضمان سلامتهم وسلامة المدنيين وعلى رأسها إعادة النظر بالإعلان عن مدن وبلدات «محررة» في ظل الإمكانيات الحالية للجيش الحر وكذلك إعادة النظر بالمقاومة من داخل البلدات والأحياء المدنية. ثانياً: ضمان تسليم الجميع وخاصة المتطوعين لسلاحهم بعد انتهاء الثورة.

الجيش الحر قام لحماية المدنيين أي المتظاهرين السلميين، والسلمية لم ولن تتوقف فالمظاهرات قلت عدداً (حشداً) وزادت كماً في اليوم والاسبوع ونقاط التظاهر والحراك السلمي من إضراب وعصيان وأغانٍ ثورية وفيديوهات ومقالات وصحف وجرائد لا تكف عن الانبثاق من بين كل هذا الدمار الذي تخلفه المدافع.

الأسلمة والتنوع..

خطابان في هذه المسألة يتوجب الإشارة لهما، الأول من السوريين غير الإسلاميين والعلمانيين والكورد أولئك الذين شاركوا بالثورة واعتقلوا وعذبوا قبلها وبعدها أو تعاطفوا معها ودعموها بصمت، لكنهم اليوم يواجهون بخطاب تخويني أو تكفيري أو إقصائي تحت شعار «ثورة أهل السنة» مثلاً وأن من قتل وشرد هم المسلمون السنة وليس غيرهم! هذا صحيح ظاهرياً

لكن مثل هكذا كلام هو بنفس الوقت مصادقة واقرار للنظام بنجاح مخططه بتحويل الثورة من ثورة سياسية شعبية للتغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي ولتحقيق دولة مدنية ديمقراطية تعددية تقوم على القانون والدستور إلى حرب طائفية وصراع هويات وجودية. حيث كانت خطة النظام لتحقيق هذا الهدف طوال السنة الماضية ضبط النفس في التعامل مع مظاهرات الكورد ومدينة السلمية والسويداء والأحياء والنشطاء ذوي الخلفية العلمانية أو غير الإسلامية بحيث لا يسفك الدم.. هم يعرفون أنهم لو فعلوا ما فعلوه بأهالي درعا وحمص وباقي المدن المنكوبة في تلك المناطق «غير السنيّة» لن يلقوا سوى اشتعالا ثوريا شبه إجماعيا ولايقل عما حدث بباقي المدن ولخسروا فزاعة "السلفيين".

صوت" مخنوق" يكاد يسمع من هؤلاء السوريين "غير السنيين" نفديكم بدمنا وروحنا ولكن ما ذنبنا إذا تظاهرنا وكتبنا واحتججنا ولم يقتلنا النظام المجرم معكم؟

الخطاب الثاني مشابه للأول من ناحيه مصدره، أي السوريين غير الإسلاميين والعلمانيين، لكن يختلف عنه من حيث شريحته فمطلقه ليس الشعب الثائر والنشطاء بل رجال الدين والمثقفون. هم يتخوفون حينا ويعترضون حينا آخر على أسلمة الشارع الثائر، يعترضون فقط، دون التساؤل عن السبب وكيفية تغيير هذا الواقع أو يجيبون بإجابات استشراقية فارغة. لو أن رجال الدين في هذه الطوائف والملل ومثقفون كبار لهم جمهورهم العالمي قبل السوري والعربي دعوا طوائفهم وقراءهم ومستمعيهم ومشاهديهم للانخراط بثورة الحرية والكرامة وشاركوا معهم بالشعارات التي يحبون ويتمنون لمستقبل سوريا ترى هل كان الشارع اليوم «اسلاميا»؟ أعتقد جازما لا.

رغم بعض هذه الطروحات الإقصائية والإتهامية بين الحين والآخر إلا أن الثورة السورية تعرف جيّدا أبناءها الأبرار كما تراقب اليوم بحزن وغصّة أبناءها العاقين.

الزعامة .. ومحاكم التفتيش

يكشف تاريخ سوريا الحديث، ما بعد الاستقلال، أن أحد أبرز مشاكل القيادة السياسية-العسكرية فيها كانت مشكلة «الزعامة»، لقد قاد التنافس المجنون على السلطة ولعبة المصالح وتصفية الرفاق لمرحلة من الانقلابات العسكرية ومن ثم للارتماء بحضن عبد الناصر الذي أسس لفكرة الزعيم الأوحد ولقوانين الطوارئ وحل الأحزاب التي راقت للبعثيين وعسكرهم بعدها.

لنا في تاريخنا الحديث عبرة، ولنا من تجربة اثنين وأربعين عاما تحت الاستبداد وثورة عام لأجل الديمقراطية وحرية التعبير أن ندرك أن مصلحة الوطن أولا قبل مصلحة الأيديولوجية مهما كانت مقدسة، وأن الوطن يتسع للجميع والكرسي مداولة بيننا جميعاً. لدينا من السجون والحروب والانقلابات والقمع ما يكفي لندرك أنه من حق الجميع الاختلاف بالنظر للمسائل وأن الرأي الآخر ليس خيانة طالما لا يحمل بندقية ولا يطالب بقتلنا أو يكفرنا أو يخوننا. من حقنا أن نختلف على مستقبل سوريا لكن ليس من حقنا أن ننصب محاكم تفتيش لبعضنا البعض مديرين ظهورنا عن النظام القاتل والشعب المقتول.

من مفارقات الثورة "المطمئنة" هو الفرق بين خطاب نشطاء الثورة بالداخل وبعض نشطائها ومؤيديها ومعارضيها من الخارج، ترى لماذا يبدو كلام النشطاء من الداخل أكثر توازنا ونبلا وعقلانية من القادة السياسين للثورة في الخارج وأكثر رحمة وحكمة وتسامحا وإيمانا من شبوخها؟ لماذا يتكلم هؤلاء المفجوعون بأهلهم وأبنائهم وأصدقائهم وأرزاقهم بكل هذا الهدوء والوعي بأهداف الثورة وغايتها؟ وكيف لازالوا يتذكرون بعد كل التعذيب في المعتقلات مبادئ الثورة ولماذا قامت؟ بينما من هم في الخارج أو وراء شاشاتهم وفنادقهم يولولون ويستصرخون داعين للثأر والتقطيع والإبادة مخونين ومكفرين الأخضر واليابس دون أن يروا نقطة دم واحدة أو تصلهم صفعة؟

الثورة في سوريا لم تعد خيارا .. بل قدرا

كما أنّ الولادة والموت قدر لا يمكن الفرار منه هكذا أصبحت الثورة في سوريا. ما يجري اليوم بسوريا ليس اختيارا بين سلطة وأخرى، وليس رغبة بتغيير نظام ولا احتجاج على وضع سياسي واقتصادي..الخ السوريون يعيشون موتهم اليومي ليثأروا للحياة فيهم وللأمل وللحب وللحرية والكرامة التي امتهنت، لا يمكن لأحد أن يقنع عشرات آلاف الأمهات والآباء بالتصفيق لقاتل أبنائهم ولا مئات الآلاف من الشبان والشابات الذين اعتقلوا وعذّبوا واغتصبوا بانتخاب أحد أزلام هذا النظام يوما. لا يمكن لمن صرخ بصوت عال في الشارع أن يعود «للوشوشة»، ولمن كسر وداس تماثيل وصور الطاغية أن يقبلها ويسجد لها. من عرف نشوة الحرية لن يعود لعذريته ومن عرف طعم الموت لن يخشاه مجددا.

السوريون اليوم لا يعيشون بسوريا بل بالثورة وكل ما عليهم فعله أن يحافظوا عليها وعلى أنفسهم فيها من جنون وهمجية العصابة ونهجها. أن يتذكروا، وإن كان يصعب أحيانا تحت الهجمة البربرية، أنه إذا كان النظام طائفياً ليس علينا أن نتحول إلى طائفيين لنسقطه.. إذا كان النظام شبيحا ليس علينا التحول لشبيحة لنسقطه .. إذا كان النظام قاتلا ومجرماً وسفاحاً ليس علينا أن نقتل ونقطع ونغتصب لنسقطه .. إذا كان النظام إقصائيا ويميز بين جماعته وباقي الناس ليس علينا أن نكون إقصائيين وعنصريين ونميز بين جماعتنا وباقي الشعب السوري لنسقطه .. وإلا كيف سنكون ثواراً وكيف ستكون ثورتنا للشعب السوري وكيف سنسقط العصابة لنبني الدولة.

سنسقط النظام يوماً لكن لنحاول أن لا ننتهي كأشباه لمن ثرنا عليهم..

عام على الثورة السورية

الأطفال والشباب أيقونة الثورة وسرها

على عجائز المعارضة الإنصات جيداً لصوت الطفل عمر

■ أكاسيا العاصي

في مثل هذه الأيام من العام الماضي، كانت سوريا تتململ على وقع تداعيات اعتقال أطفال درعا، بينما كان الدبلوماسيون الغربيون غارقين مع موظفي سفارات بلدانهم، في دراسة احتمال انتقال شرارة الثورة التونسية التي ألهبت مصر واليمن وليبيا إلى دمشق.

ورغم النجاح المفاجئ للثورتين في تونس ومصر في إسقاط رأس النظام إلا أن غالبية الآراء والتوقعات فيما يخص سوريا أجمعت على استحالة انتقال الثورة إليها، وانتشارها على نطاق شعبي واسع. كانت معطيات الواقع تؤكد على أن سوريا ليست تونس ولا مصر ولا ليبيا ولا اليمن.

سوريا حالة خاصة، وهذا ما حاول رأس النظام استباق الأحداث وتأكيده من خلال تحذير المجتمع الدولي من مغبة تشجيع أي تحرك محتمل في سوريا، فعدا تصريحات الرئيس بشار الأسد لصحيفة أمريكية عن الاستثناء السوري، قالها صراحة ابن خاله رجل الأعمال رامي مخلوف لصحيفة أمريكية أيضا: إن أمن سوريا مرتبط بأمن إسرائيل. وأوضحت الأحداث لاحقاً، بعد عام من التردد والتخاذل الدولي حيال الثورة السورية، أنه أمن سوريا ليس وحده المرتبط بأمن إسرائيل، بل أمن الأنظمة الشمولية العربية كافة. الأنظمة العربية لم تخف ذلك، بل وعند اشتداد الأزمة، جاهر به الرؤساء العرب المصري والليبي واليمني والسوري، لكن ذلك لم يمنع تقدم الثورات في تونس ومصر وليبيا واليمن، وإن حرف مساراتها وتلاعب بها، كما لم يمنع اشتعال الثورة في سوريا، ليضاف إلى تلك الوقائع حقيقة أخرى وهي أن الثورة السورية ليست كنظيرتها في الدول الأخرى بل هي حالة فريدة ومدهشة، نتيجة اختلاف الموقع الجغرافي وقربه من إسرائيل المتخوفة بدون شك من ولادة أنظمة ديمقراطية في محيط عربي معادي لوجودها، إذ طالما شكلت الأنظمة الدكتاتورية كوابح شديدة عملت على تقنين العداء لها، بما يضمن استمرار بقائها ومن دون تهديد حقيقي لوجودها. بل على العكس، خلال مسيرة الصراع العربي الإسرائيلي وبعد كل معركة يحقق فيها الشعب تقدما على الأرض بعناده وصموده، كانت دبلوماسية الدكتاتوريات العربية تفرغه من مضمونه وتجبره إلى فقاعات إعلامية، تفسح المجال لترسيخ الوجود الإسرائيلي أكثر وأكثر. وهذا ما يجعل العالم الذي يرى في إسرائيل قاعدة له في الشرق الأوسط، ينتهز الفرصة لعرقلة مسيرة الربيع العربي، والوقوف حجر عثرة أمام الثورة السورية، فهو وأن كان يصرح بانتهاء صلاحية بقاء نظام الأسد الدكتاتوري، لكنه واقعيا يريد بقاءه ويتخوف من سقوطه، ويشعر بالحرج كلما أوغل هذا النظام بالدم مضيعا الفرص والمهل التي تعطى له الواحدة تلو الأخرى، فتراها تستمر بالمماطلة على أمل نجاحه في قمع الثورة، وبالتالي بقاء سوريا الجارة لإسرائيل ضعيفة مفككة، مسلوبة الإرادة والسيادة سواء بوجود النظام أو عدمه. فما كشفت عنه الثورة السورية خلال عام كامل من وعي وشجاعة وقدرات مدهشة لدى الشعب السوري، لاشك أنها لا تطمئن دولا تسعى لأقتسام المصالح في هذه الرقعة الجغرافية الحساسة. فالمعجزة الأولى كانت باندلاع الثورة بعد أربعة عقود من الطغيان والدكتاتورية وتخريب المجتمع من الداخل وتفكيك بنيته التقليدية وسلبه كل وسائل منعته، وتلفيق مجتمع بديل بكل ما تعنيه الكلمة من معنى قيمي أخلاقي وثقافي، أطلق يد الفساد للتحكم بمقدرات البلاد. والمعجزة الثانية كانت في استمرار الثورة لنحو عام مرشح للتمديد رغم آلة القمع المتوحشة المنفلتة من أي رادع إنساني.

خلال عام من الثورة رأى العالم جيلا سوريا جديدا ينهض من تحت الرماد، وكأنه يولد من العدم ليصنع تاريخه بعد طول تهميش. مع أنه في الواقع لم يولد من العدم بل من جيل آباء نجحوا في تحرير الوطن من الاستعمار، وهو إن أنكسر في معركة المصالح الدولية، ورضخ مرغما لتسلط دكتاتوريات الفساد، فقد ربى أبناءه على قيم الحرية والكرامة وبصمت شديد إلى أن تكون تحت الهشيم خزان وقود هائل من الأطفال والشباب اشتعل مع انطلاق أول شرارة في الربيع العربي. فأول أول عبارة ثورية كتبها أطفال درعا على جدران مدرستهم، وأعظم شهداء الثورة كانوا أطفال وشباب بعمر الزهور، ومن تراهم يتدفقون إلى المظاهرات حاملين اللافتات بوجوه سافرة هم الأطفال والفتية، ومن يقوم بعمليات الإسعاف الميداني المعقدة، وإيصال المساعدات للمناطق المنكوبة شباب مغامرون يرعبون بشجاعتهم الطغاة. أما مراسلو الإعلام وموثقو يوميات الثورة فشباب غالبيتهم جنود مجهولون، أصبحوا نجوما تفوقوا على الإعلاميين المحترفين.. كلهم شباب متوقد متحرر من الأفكار المسبقة يندفع بوعي فطري نقي نحو نيل حريته ويبذل من أجلها روحه، ولعل هذا ما يجعل المتخوفين من التغيير وسقوط النظام يتذرعون ومن منطق الوصاية بصغر سن الثوار وانهاهم بأنهم يأخذون البلاد إلى المجهول أو حرب أهلية مجنونة.

السؤال الذي يطرح نفسه في حال صح ذلك التخوف، وذهبت البلاد إلى حرب أهلية، ترى من يتحمل المسؤولية عن ذلك الثوار الأطفال والشباب الذين حطموا الأصنام وجدران الخوف، بتوق فطري للحرية، أم عتاة السياسيين سواء من المعارضة أو السياسيين الدوليين اللاعبين بالبيضة والحجر؟

ولابد من كلمة حق تقال في هذا المقام، منذ اشتعال الثورة والى الآن يثبت الأطفال والشباب أنهم يعرفون الطريق نحو الحرية بوضوح أكثر بكثير من السياسيين المخضرمين، فأول هتاف صرخ به الشارع كان "الشعب السوري ما بينذل" والهتاف الثاني كان "الشعب يريد إسقاط النظام" المتلازم مع شعار "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد"، ولم يطلب التدخل الدولي إلا بعد اقتناعه باستحالة توقف النظام عن سفك الدماء، والمشكلة ليست بطلب الشارع التدخل الدولي، والتبعات السلبية لذلك، بل في المعارضة السياسة التي لم تتمكن من نيل ثقة الشارع، فظلت مقصرة عنه غير قادرة على تصويب اندفاعاته، ولم تتمكن من التوافق على برنامج قادر على اجتذاب الشارع نحو تكتلات وتيارات تنظم حركية الثورة الفتية. فالمعارضة لم تستفد من الشارع للتغلب على أمراضها التقليدية بل ظلت تعاني من التبعثر والاختراق. مقابل شارع يتلقى بصدر عار ضربات موجعة، لكنه قادر ورغم غياب القيادة المركزية والتباعد وصعوبة التواصل والتنسيق المباشر، على الالتزام بخطوط وطنية موحدة، يتمثل بشكل ما بالاتفاق على أسماء أيام الجمع، والشعارات الأسبوعية للتعبير عن الموقف الشعبي من الأحداث الخاصة بثورته. وهو توافق في الرؤى للأسف لم تنجح الشخصيات السياسة التي تحتل الشاشات في تحقيق حد أدنى منه، لأسباب كثيرة لا تتحمل وحدها المسؤولية عنه، دون أن يبرر ذلك بكل تأكيد عدم استحقاقها تمثيل الثورة في المحافل الدولية. إذ بقي الشباب والأطفال أيقونة الثورة وسرها، والمعبر الأصيل والوحيد عنها. ولعل عاما من القمع وسيول الدماء أنضجتهم، بينما المعارضة مازالت نيلة فاسية عصية على النضوج كلحم الدجاج الهرم. ورغم قسوة هذا الوصف لابد من القول ومن حيث المبدأ على عجائز المعارضة السورية أن يعترفوا بعدم إمكانية تهميش الشباب ولا الأطفال بعد عام من الثورة، فاصغر طفل سوري (عمر ابن محافظة إدلب الذي قتل النظام أمه)، يقود أروع المظاهرات في المنفى، وعلى تلك المعارضة المخضرمة الإنصات لصوته جيدا لأنه ورفاقه حمزة وهاجر وتامر وآية وإسراء.. وغيرهم كثر، هم من حطم جدار الخوف، وهم من اقتلع الجلاد أظافرهم وسلخ جلودهم وقطع أوصالهم وحرمهم من المدرسة والحياة الطبيعية، نقول ذلك مع كل الاحترام والتقدير للماضي السياسي والنضالي لكل المعارضين السوريين من جيل الآباء. ونظن الواجب الوطني يحتم عليهم الاعتراف أيضا أن مشاركتهم في الثورة اليوم تتطلب منهم تقديم تضحيات كبيرة لوجه الحرية وسلامة البلاد دون انتظار العائدات، ولا الحلم بالسلطة كأحد ثمار نضالهم الطويل، فالزمن مر، وثمة أجيال ناشئة تحتل الشارع اليوم وتقر أنها ليست خبيرة بالسياسة وأنها بحاجة لقيادة، لكنه لن يرضى بقيادة تستخف بها أو تقصيها أو حتى تعجز عن التنازل و التوافق من أجلها. فهي أجيال بحاجة لمن يرعاها لا من يستغلها، ويصعد على شهداءها، أجيال تبحث عن مفاتيح السياسة لتصنع مستقبلها بدون دماء. وهذا اضعف الإيمان إن شاءت المعارضة تحمل مسؤوليتها التاريخية في تجسير الفجوات بينها وبين الشارع، وتجاوز حالة التبعثر والانتظار في بازارات السياسات الدولية، كأكوام الملابس المستعملة كما هو حالها للأسف بعد عام من الثورة.

سنة من عمر الثورة السورية

■ لينا مولا

ينسى البعض أن الثوار في ليبيا وبعد أن حطموا مجسمات وتماثيل الكتاب الأخضر، بدؤوا مباشرة بتحرير المدن والبلدات الليبية من قوات القذافي وأن ذلك قد استغرق مدة طويلة، ينسون أن قوات هذا الأخير قد استغرقت وقتا يناهز عدة أسابيع لأجل تجميع قواتها والاستعانة بالكثير من المرتزقة، ومنهم للأسف قوات سورية، أرسلت لدعم القذافي في وأد الثورة الليبية، ولمحاولة مستميتة لعدم انتقالها إلى الأراضي السورية.

قاد أولاد القذافي شخصياً تلك القوات مرتكبين الفظائع، وبدأت المدن المحررة تسقط مجدداً بأيدي كتائب القذافي التي شارفت على تخوم بنغازي، التي كانت تسقط لولا تدخل قوات الأطلسي مدعومة بقوى دولة عربية، لتبدأ سلسلة ممن المعارك الشرسة والمكلفة، سقط فيها عشرات الآلاف من الثوار الليبيين، وشعر العرب جميعا في لحظات ثقيلة أن المعارك تراوح مكانها وأن الأطلسي لا يقدم عونا يذكر، أربعة شهور طويلة امتدت حتى حسم الثوار المعركة.. فانتصرت الثورة وتكللت بالنجاح، واستطاع المجلس الوطني الليبي بعد طول نضال وكثير من التضحيات أن يقيم دولته الفتية والتي ستستغرق زمنا طويلا لإرساء دعائم حكمها الرشيد، لكن المهم أنهم يمضون بطريقة صحيحة، وستصادفهم الكثير من العثرات كنتيجة منطقية لحكم الاستبداد الذي استمر 42 سنة كاملة.

في سوريا أيضاً.. لا شك أن معركة التحرير ستستغرق زمناً طويلاً، فبعد نضال سلمي ومظاهرات حاشدة والاف المواقف النبيلة، أمعن النظام بتفعيل آلة القتل لديه، مستفيداً من تلكؤ وتواطؤ دوليين، حتى أيقن الشعب السوري أنه لا مناص من حمل السلاح والدفاع عن مطالبه المشروعة، وبدأت الكثير من المناطق تخرج عن سيطرة النظام الأسدي، ولو توفر السلاح للثوار والدعم اللوجيستي لكانت المعركة حسمت بزمن قصير.

ولأن الربيع العربي يخيف أكثر دول العالم، دول تفضل دولاً عربية مجزأة متناحرة، تقوم عليها أنظمة تأتمر بأمر القوى العظمى، فقد تكالبوا لأجل تعطيل مسيرتها في المحطة السورية، فزرعوا جميع أنواع العراقيل في سيرورة ثورتنا، وسعوا لبذر حبات التفرقة، في حين كان بإمكانهم لو تحلوا بحسن نية إنهاء الصراع بتهديد جدي بروع قاتل دمشق.

سعوا لتجزئة سوريا المثخنة بالجراح، فأثاروا الفتن وأوعزوا للحثالة بأن تشعل الحروب الطائفية وبإيعاز من رأس النظام، وسوقوا لوقوعها متعللين أن الوضع في سوريا مختلف عن ليبيا، وكأن في ليبيا لا يوجد عشائر واختلاف من أي نوع. سوقوا أن القاعدة قد تسللت للمعارضة، وأوقعوا الشقاق بين قادتها وحاولوا عن طريق التمويل شرخ الصف وتشجيع الاقتتال بين الفصائل.

لكن الحقيقة لا يمكن إخفاؤها مهما حاول الإعلام تشويه الصورة، فلقد أثبت الشعب السوري أنه لا يخشى على وحدته، وهو واع لكل المؤامرات التي تحاك للنيل من عزته وتماسكه كما عيشه المشترك، بل أثبت أنه يزداد عزيمة في بناء مستقبله وإقامة دولة ديمقراطية حرة حداثية.

مرت سنة كاملة على شرارة هذه الثورة الخلاقة، وهي مدة طويلة لكنها أظهرت للسوريين معنى الحرية ومقدار توقهم للحصول عليها، سنة تسجل فيها ملايين المواقف المشرفة التي تعيد الثقة بضمائرنا الحية بعد أن يئس الناس من وجودها إثر استباحة نظام الأسد لها حتى شككنا بأنه دمرها.

سنة.. خرج منها الشعب أكثر جلادة وإصرارا على نيل استقلاله، والمثابرة على اقتناص لحظة النصر وسقوط النظام، غير آبه بالتضحيات لأن عيونه متسمرة إلى مشهد نهاية عصر الاستبداد.

لقد بات أكيداً وحتمياً أن إرادة الشعب الحر ستتغلب، وستتجاوز بحنكة ودراية جميع المطبات التي زرعت والتي ستزرع في مسيرتها الثابتة.

أقولها وبكل ثقة أننا شارفنا.. وأننا قادمون.

شرارة الأطفال؛ الثورة والبحث عن الزمن المفقود!!

■ د. جمال صبح

عمل لطارق يطيبي بعنوان الشهيدة "طفلة علا حلاوي"

إلى روح هاجر وحمزة وتامر وعُلا ومن لم نعرف أسمائهم بعد!..

بغض النظر عن الاختلاف في تفاصيل الروايات والحكايا حول السياقات الأولى التي مهّدت للثورة السورية، يبدو أن اعتقال بضعة من الأطفال والمراهقين في مدينة لم يعرف عنها تصدّرها للنشرات كان "الحدث الأبرز" الذي لا يكتنز الكثير من "الرمزية العالية" في دلالاته فحسب، بل و"الواقعية الحقّة" في تداعياته اللاحقة أيضاً. إذ اكتشف السوريون أمام "نظام البطش الشامل" أنهم وأطفالهم وحيدون وعزل في مواجهة غير متكافئة تكاد تنعدم فيها خطوط الممنوعات وحواجز المحرّمات التي تم "الإغلاق عليها" في أعمق طبقات المخيلة الجمعية وبشكل محكم.

فبرغم السمعة "الحسنة" التي اكتسبها النظام وعمل على مأسستها منذ عقود كأحد أهم وأعتى مطبّقي سياسة التعذيب المنهجي، وحشية الطابع في مواجهة جميع خصومه الفعليين والمتخيّلين وخاصة السياسيين منهم، إلا أن الأنباء الأولى التي رشحت عن تعرض الأطفال المعتقلين للتعذيب فعلت فعلها وعملت على تشكيل "تصور عام" يحمل الركائز الأساسية التي تبنى عليها الحوادث الصادمة: المفاجأة والذهول، الإحساس العميق بالرعب، والشعور الكبير بالعجز، لكن إلى حين!!

في مواجهة مواقف الخطر الكبير ليس هناك من مجال عريض للمناورة، هناك أحدّ الاحتمالين: إما المواجهة أو الانسحاب. في لحظة تاريخية حاسمة اختار أبناء درعا المواجهة، حتى يستردوا "أبنائهم" أولاً، وكي يأذنوا ببداية النهاية لحقبة مظلمة من تاريخ سوريا الحديث، تالياً. المواجهة التي شاءت لها رياح التغيير العاتية، وطبائع النظام في امتهان العنف وابتكاراته أن تكون "فاتحة" مشروع "التأهيل الوطني" للذات المصدومة، في وقائع ردّت للجاني بضاعته التي يليق بها الكساد: مفاجأة وذهول، مجبولة بالخوف الذي طالما كان أحد أمهر "وكلائه" المحليين والمناطقيين!!..

رغم تساوي جميع مكونات المجتمع وفئاته بكونها أهدافاً واضحة "للتدجين الممنهج" وبعدل نسبي لا بأس به، إلا أن الأطفال يعتبرون أهم الفئات الاجتماعية المستهدفة في الأنظمة الشمولية على الإطلاق، ذات مشاريع "تأليه القائد" الضرورة، طويلة الأمد وجيدة المردود. في أنظمة "القمع المنفلت من كل عقال" ليس هناك من طفولة ولا أطفال، إلا بوصفهم وقوداً متجدداً للهذيان الإيديولوجي الفعّال ومعيناً لا ينضب من "رفاق الغد" السائرين على طريق الأجيال "المجبولة" على الحب القسري للخالد.

لا يحتاج الأطفال أحدٌ كحاجة الديكتاتور لهم، إنهم مشاريعه المصغّرة، مرآة ذاته التي يرى فيها جبروته وسطوته، يرتدّ من خلالهم إحساسه الطاغي بأبوية وألوهية تكمّل صفاته وتتربع على عرشها: إن منظمة طلائع البعث كانت بحق أهم مشاريع الدكتاتور "المنسوخة" وأكثرها مدعاة للنظر، رغم شيوعها في أنظمة النموذج "الأصلي"، فاشستية الهوى.

في سعيه لإخماد الثورة، لم يتخل النظام عن "معاييره" و"هويته" في التعامل الشرس مع المتظاهرين العزّل، ولكن زاد عليها معياراً آخر: أطفالكم لم يعودا أمام فوهات بنادقنا فحسب، بل وفي ظلال سياطنا في أقبية الرعب، سادية الجدران. في عامها الأول تسجّل الثورة السورية في جداول بياناتها "المتجددة" أرقاماً مخيفة: الآلاف من الشهداء والجرحى والمعتقلين، فضلاً عن الآلاف الأخرى من النازحين واللاجئين والمطاردين، مدنا وبلدات وقرىً تنتظر دورها ونصيبها من مخصصات "راجمات الصواريخ" و"قاذفات النار". إلا أن أكثر ما يبعث على الأسى هي أعداد الأطفال التي تم قتلها بأبرع النظام الأمنية والعسكرية بلا رحمة، جرّاء القصف الهمجي للأحياء المدنية، فوق الطرقات أو داخل الأقبية (700 طفل ومراهق على أقل تقدير). إن قتل الأطفال والمراهقين بترصّد واستهداف لافتين، كان وما يزال أحد أهم "أساليب" النظام وأدواته في تطويع الثورة وتركيع المناطق الثائرة، في جبن لا مثيل له وخسّة ستحفظها له أزقة سوريا وشوارعها المدمية.

في مواجهتهم لاسترداد أطفالهم، كرامتهم وحريتهم، كان يخطو الثائرون السوريون على دروب لا تقل صعوبة عن درب الاستقلال الثاني، إنه درب البحث عن الزمن الضائع، عن الطفولة المهدورة لأجيال كانت تحتاج للصدمة حتى يتحرر مخيالها من كل مكبوت ومحجوز ومرصود بستائر الرعب والخوف. لأن احتاج "مارسيل بروست" إلى غيبوبة عميقة ليبحث عن زمنه المفقود في غياهب الطفولة، تكمّل الثورة السورية عامها الأول بحثاً عن أزمنة ضائعة، خطاً على عتباتها "أطفال ويُفع"، وأكملها شبّان وشابات، رجال ونساء، لا يميّزهم سوى أسطورة تكتب وشجاعة لا تلين. فتحية لأطفال سوريا الثائرة، التي توصينا بهم خيراً.

عشوش النحل.. في استقبال الراحلين عن حمص

■ خولة دنيا

من أقسى ما سمعته خلال الأيام الماضية، حكاية عائلة حمصية، تركت بابا عمرو، بحثاً عن ملاذ آمن، فلم يكن لديها ها البديل الذي تبحث عنه، بقت في السيارة لثلاثة أيام متتالية. أب وأم وأطفال سكنوا السيارة، وبنوها بيتاً مؤقتاً لثلاثة أيام!!

بانقضاء هذه الليالي، كان البيت مؤمن، فقد سمعت مجموعة من الناشطين في مخيم اليرموك عن وضعهم، وبحثوا عنهم حتى وجدوهم وأمنوا لهم البيت والفرش والطعام والملابس...

لن أحكي عن الـ30 ألف عائلة التي هجرت بيوتها في حمص بحثاً عن الأمان، ولا عن الـ500 عائلة التي توزعت بين المخيم والقدم والمحاديل والحجر الأسود وبيبلا وبلدا... وكذلك لن أقول ما حل بالـ 1500 عائلة التي اختارت النبك وبرود ودير عطية... لن أتحدث عن القرى التي امتلأت بالحماصنة.. ولا عن سبل الخروج الوعرة.. ولا عن الأولاد الذين فقدوا أهاليهم ووجدهم بعض أولاد الحلال ليجمعوهم في منزل كبير بانتظار قدوم الأهل!!

لا لن أتحدث عنهم، لأن هؤلاء 30 ألف حكاية، وكل حكاية تحتاج ليوم ، ولن تكفي أيام شهرزاد لتحكي ما حل بالراحلين عن حمص.

دعونا نتحدث قليلاً عن خلايا النحل، أعشاش النحل الرائعة التي هبت في كل مكان، في كل قرية، وحي، ومدينة، وتوزعت لتحل مشاكل الـ30 ألف مسافر عن حمص.

بداية لا يليق بنا ولا بأهالي حمص، أن نقول نازحين، فكيف نازحين؟ كل من قدم هربا بحثا عن مكان آمن، لا يخطر بباله غير أنه سيعود قريبا إلى حمص، هي رحلة مؤقتة، أيام فقط ويعودون، هذا ما نأمله ونعمل عليه... هذا ما يأملوه ويعملون عليه..

ولكن من أجمل ما لاحظناه خلال هذه الأيام، كيف تحولت دمشق وريفها إلى خلايا نحل حقيقية، رجال ونساء، ناشطين وأناس عاديين، الكل يساهم ويقدم ما يستطيعه لاستيعاب هذا الكم الهائل من العائلات التي قدمت لا تلوي على شيء، تطلب الأمان والخوف يملأ عيونها وقلوبها، وكأنها ستبقى مطاردة ومتهمة طوال الوقت..

خلايا نحل تعمل على كسب ثقة هؤلاء، وتأمين ما يلزمهم، بيوت بالمئات فتحت أبوابها، عائلات بالكامل أفرغت غرفا لديها كي تستقبل القادمين.

في دمشق، في المدن القريبة، في الأرياف، في الحارات، كلها ورشات حقيقية لتأمين ما يلزم، البيوت الفارغة التي تجهز على عجل، ثم المواد الغذائية التي تؤمن وجبات لأيام قادمة، الأطباء لمعالجة أمراض الروح والجسد.. ملابس، حليب أطفال، ثياب للأطفال القادمين للحياة بعد قليل..

من ريف حمص وحتى الوصول إلى دمشق، تدب النحلات العاملات يومياً بحثاً عن الرحيق، لتخزنه وتبني أعشاش النحل للقادمين..

نحاول أن لا نفزعهم بتواجدنا قربهم، كي لا يخافوا أزيزنا...

أن نكون بمنتهى التلاشي كي لا يحسوا بضغطنا عليهم..

أن نكون بلا ذاكرة كي لا نفتح جروح الذاكرة عليهم..

أن نقول لهم أهلاً بكم آن لكم أن ترتاحوا بعد طول عناء وغربة في الوطن.

عمل لـ أحمد علي | الثورة السورية

أطفال سوريا ستفتقدكم الطفولة، شهداء سوريا ستفتقدكم الحياة

■ فدوى روحانا

عمل لمحمد طيب | فلسطين

في أجمل أحلامي كنت أحيانا أرى قيامة الثورة السورية، في أكثرها رعبا لم أكن أرى كل هذه الدماء، كل هذا السيل من الشهداء وعن قصتي مع الثورة السورية أحدثكم...

كفلسطينية في الداخل كانت أسامي المدن العربية تحمل إلي أريجا محرما وعطرا مشتهى ونغما له على قلبي وقع السحر، دمشق، حلب، بيروت، بغداد، القاهرة، مدن تسكن في روحي ولا أستطيع سكناها ولا حتى السفر إليها إلا على بساط الريح في حالة هذيان واشتياق لوطن يشبهني.

لكن العالم الافتراضي فتح لنا أبوابه وبدأنا نتدفق إليه جميعنا من غربتنا، من منافينا، من أوطاننا المجروحة، وكان فيه للأرواح الشقيقة لقاء، وأنا التي كنت منغمسة حتى النخاع بوجعي الفلسطيني، وجدتني أتعرف على واقع مصر ما وراء أغاني عبد الحليم وعلى جراح بغداد ما بعد روايات جبرا إبراهيم جبرا وأنظر إلى حقيقة دمشق خلف شعارات المقاومة ومفرداتها الزائفة كانت تلك لحظات نسفت فيها الأحلام كالبالونات الزاهية الألوان لتنجلي عن فقاعات هواء عن خواء عن أوهام ووجدت مأساتي الفلسطينية تنصهر وتلتحم بمأساة أصدقائي وصار الوجع أوجاعا، وحينها كتبت:

«ابتهجت كثيرا وحزنت قليلا لأنه على ما يبدو هذه الأوطان لا تعطينا مساحات إلا لتفريغ شحناتنا السلبية، حزنت لأن الدنيا ضاقت بنا فلم نجد سوى هذا العالم الافتراضي نسكب فيه كنوزنا الدفينة، حزنت للعبثية الكامنة في رغبتنا الشديدة بالعطاء لأوطان بخيلة علينا، كيف يمكن لمجتمع أن يكبل أيدي أبناءه الممتدة إليه للعطاء؟

وان كنا ندون أحلامنا أكثر مما نمارسها وندون أفكارنا أكثر مما نطبقها وان كنا نصب براكيننا في هذا العالم الافتراضي ونخشى صبها في أرض الواقع، وان كان الأفق يبدو أسودا كاحلا فهنالك روح جديدة ما بيننا نحاول أن نتفائل بها».

فقد لامست آلامنا جميعا، لامست الأرواح التي تنوء بها ولامست أحلامها حتى أصبح الحلم واحدا وكان لحرية سوريا قسط كبير منه ربما لأنني كنت قد زرت الجولان مرارا ودخل من عبيره إلى عساماتي بعض من نفس سوريا وعبق سوريا وروح سوريا وتراب سوريا مما جعل التوق إليها أكبر وأكثر تعذيبا، وربما لأنني تعرفت على الكثير من المدونين السوريين في المنافي وكان شوقهم لوطنهم يذكرني بشوقي لفلسطين في صقيع غربتي، كان كل واحد منهم قد تبنى له أحد المعتقلين السياسيين، وها أكثرهم وما أروعهم، وكرس مدونته من أجل التعريف عليه وعلى قضيته، وذات مرة طلب مني أحدهم مساعدته في نص رسالة لمناشدة المجتمع الدولي بالضغط على النظام السوري لتحرير هؤلاء الأسرى وكنت في ذاك الوقت قد قرأت كتاب «الآن هنا أو شرق المتوسط» لعبد الرحمان منيف الذي يتحدث به عن معاناة الأسرى السياسيين في السجون العربية ومنها السجون السورية، الكتاب كان صادما جدا بالنسبة لي واحتجت إلى وقت طويل للشفاء منه وللخروج من ظلمات تلك السجون حتى بعد أن أنهيت قراءته، فكان أن وضعت الكثير من روحي في حروف تلك الرسالة وتركتها هناك، تتطوح، كما تطوح أصدقائي، ما بين اليأس والأمل وما بين الأمنيات والخيبات، كبيرة كانت أحلامنا وكل ما سقط منها واحد كان انكسارنا جارحا وموجعا وكتبت وقتها:

«تعبنا من العبثية التي تطوح بنا من حلم إلى انهيار...»

لكن لا اعتقد أنه في أوج تفاؤلنا كنا نتوقع حدوث الثورة في زمن قريب، أنا شخصيا لم أتوقع أن أكون يوما شاهدة على هذه اللحظات العظيمة من تاريخ سوريا، لأن أرى جراح أصدقائي تضمد وأحلامهم المكسورة تبعث حية، فقد كنت أشعر أن الرعب من النظام وأساليبه القمعية وسجونه وأجهزته الأمنية معشش ومتجذر في قلب كل سوري حتى في منفاه، أذكر أن أحد الأصدقاء، كان يستغل أسفاره إلى لبنان لتسويق الأدوية لكي يفتح مدونته ويكتب فيها، وقبل أن يعود إلى سوريا كان يقفلها من جديد، وكنت أخاف عليهم من خوفهم فلا شيء أقسى من أن يجرد الإنسان من أبسط ما يحتاجه الإنسان، الأمان، لا شيء أقسى من أن يعيش مسكونا بالرعب من وطن يسكن في قلبه وروحه، وكان علي في خارج ذاك العالم الافتراضي أن أعود لأجابه أكاذيب الواقع المستقاة من غسيل الدماغ الممارس علينا منذ عقود في وسائل الإعلام، ومن أيديولوجية الممانعة العمياء ومنظريها الذين لم يحاولوا يوما النزول من علبائهم والوصول إلى قلوب الناس ولمس معاناتهم الحقيقية، الإيديولوجية التي باعتنا وعودا وشعارات واهية واجتثت من ذاكرتنا كل مجازر النظام السوري بحق شعبه وبحقنا كفلسطينيين، من تل الزعتر إلى حماة العنقاء المذبوحة التي نهضت الآن مجددا من قعر النسيان، وكنت لا افهم كيف كان لعواطفنا القومية الفارغة أن تحمل كل تلك الآلام وكل تلك الدماء بخفة كالريشة وتسربها خارج وجداننا، كيف استطعنا ببساطة لن يسامحنا التاريخ عليها، أن نمحي آلاف الأسرى والشهداء من الذاكرة العربية.

وفي الحقيقة وحتى قبل وعيي وإدراكي لحقيقة ذاك النظام وبعيدا عن القومية والسياسة كانت دائما تزعجني المظاهرات أو التجمعات السورية الحاشدة التي تعودنا منذ الصغر أن نراها على التلفزيون السوري والتي تهتف باسم الأسد وتقدسه وتؤلهه هو وال بيته، وكنت أرى فيها طقوسا وثنية تتنافر مع روحي الحرة ومع إيماني بالإنسان وقيمة الإنسان ورفضي التام للانتقاص من تلك القيمة مقابل أي ثمن، لكن الكثير منا نحن الفلسطينيين كان يرى ذلك ويرى كل حقائق النظام الأخرى ويغض الطرف عنها مقابل ما سميناه ممانعة ومقاومة، مقابل ما حسبناه حماية، مقابل حاجتنا كشعب لا سقف له لمن يعطيه حائطا يواريه، وهذا ما يسمى في علم النفس بالتنافر الإدراكي ما بين قيمنا واحتياجاتنا، ما بين معتقداتنا وخضوعنا لاضطرارات الواقع.

والآن وبعد سنة من اندلاع الثورة السورية ما زال بعضنا يعيش في ذاك التنافر وغير قادر على التخلص منه، رغم كل الدماء التي سكبت أمام أعيننا، رغم كل الجرائم اليومية التي يرتكبها النظام والتي تعيد لنا يوما بعد يوما صفحات من سيرتنا الفلسطينية المعذبة، رغم الحضور الصارم لدبابات الجيش السوري في حمص وحماة ودرعا وغيرها من المدن السورية والذي فضح غيابها عن الجولان وكل ساحات «المقاومة»، ومع محاولتي لتفهم مخاوف هؤلاء إلا أنني لا أجد أي روح وطنية في من يدافع عن نظام الابن الوريث، عن نظام يهب البلاد بأراضيها وخيراتها للحاكم وأبنائه وعائلته، عن نظام احتكر الحياة لذاته وطلب من شعبه بأن يفديه بالروح والدم، إن من يقف بجانب هكذا نظام مهما كانت دوافعه السياسية، مثله مثل من باع فلسطين، والذي لا يرى أن الدم السوري والفلسطيني واحد، أن دماءنا واحدة ووجعنا واحد، زائفة وطنيته وزائف وجعه ولا شرعيه لمخاوفه.

أكتب هذا لأنني كفلسطينية كنت دائما ومنذ صغري أجد نفسي في مواجهة مع الرأي العام العالمي مع تغييب الضمير، مع الإنكار والجهل واللامبالاة والإجحاف بكل ما يتعلق بوجعي وبقضيتي وهذه الأيام أرى أمامي نفس السيناريو يحدث مع الشعب السوري، لكن المؤلم في الأمر أن حربه الإعلامية ليست مع العالم بل معنا نحن، لم أعد أفهم ولا أريد أن افهم كل من ما زال يؤمن بقصة المؤامرة والعصابات المسلحة، بالنسبة لي من يصدق ادعاءات النظام ولا يصدق آلام الشعب، من يدعي أن الثورة الشعبية السورية هي مسرحية من إخراج الجزيرة ولا يرى فيها ملحمة بطولية تستحق الركوع والسجود لها صباحا ومساء، مثله مثل الذي لم يصدقني والذي لم يصدق مأساة شعبي وكان يصدق البروبوجندا الصهيونية.

وربما أنا أحاول أن أعتذر هنا للشعب السوري، ولأطفال سوريا الذين أرسلهم النظام إلى موتهم بالملات لكن من أنا لأعتذر لكم عن كل من صمت أمام صريخكم، عن كل عربي تركك في صقيع وحدتكم، من أنا لأعتذر لكم عن كل فلسطيني ضم صوته لسوط جلادكم؟ لكنني أعتذر باسم طفولة لمستها ولم تلمسوها، باسم حياة عشتها ولم تعشوها... أطفال سوريا ستفتقدكم الطفولة، شهداء سوريا ستفتقدكم الحياة.

حكاية من بقايا وطن

■ خالد كنفاني

كانت تبحث عن ابنها...

لم يكن الطفل تائهاً في حديقة عامة...

ولم يكن مختبئاً في إحدى زوايا البيت كما اعتاد أن يفعل معها فيما مضى...

كما أنه لم يغافلها ويخرج للعب مع أقرانه في الحارة رغم تحذيراتها له...

أين هو؟

وأين البيت؟

وأين الحارة؟

وأين الباقون؟

خلال شهر واحد فقط تبدلت معالم كل شيء...

كانت قد سمعت فيما مضى عن الحروب...

ورأت بعض الأفلام والمشاهد عن الدمار...

ولكن كل ذلك كان هناك...

بعيداً كثيراً عن بيتها...

وحارتها...

وطفلها...

كانت تعمل برفقة زوجها لتساعده على سداد قرض صغير كانا قد اتخذاه لشراء بيتهما الصغير المتواضع في هذا الحي اللطيف...

وكانت تبذل جهوداً جبارة للحفاظ على عملها وعلى بيتها وطفلها...

كان زوجها غالباً ما يضطر للسفر بسبب طبيعة عمله في مبيعات القطع الالكترونية في شركة متوسطة...

وبسبب عمله هذا فقد جاب معظم مدن البلد...

وكان في كل مرة يعود إلى زوجته وطفله يجلسون إلى العشاء ويسرد عليهم مشاهداته في تلك المدن الأخرى...

عن طبائع أهلها وعاداتهم ولهجاتهم...

عن أديانهم وطوائفهم ومأكولاتهم ومشاربهم...

كانت تلك الأمسيات بمثابة الكون بالنسبة إليهم جميعاً...

وكان حلمهم الصغير أن يسددا قرض البنك الذي أقض مضجعهما...

وأن يدخل طفلهما الجامعة ويتخرج باختصاص يؤهله دخول الحياة من الباب الواسع لا أن يدخلها مضطراً كما فعلوا هم...

وبدأ الحراك الشعبي في أقصى الجنوب...

بدا الأمر وقتها كالحلم العابر، مثلما بدا للآخرين جنوناً وتهوراً...

كان هو في مهمة في بلدة بعيدة عندما سمع الأخبار...

لم يهتم كثيراً كعادة أي مواطن منذ أربعين عاماً...

فليحدث ما يحدث...

فالأمر سينتهي كما بدأ...

صغيراً وعادياً وغير ذي قيمة...

ولكن الأمر انفجر هذه المرة...

عاد إلى مدينته ليجد تجمعاً كبيراً من الناس في ساحة المدينة يرفعون شعارات وأعلاماً يراها ويسمع بها لأول مرة...

فالأمر ليس حلماً إذاً..

كما أنه ليس عابراً ولا صغيراً...

مهمته التالية كانت إلى الجنوب هذه المرة...

إلى مهد الحراك الشعبي...

اعتقد أن الأمور ستسير على ما يرام كالعادة...

وسينهي مهمته ويعود إلى بيته مثل كل مرة ويقص على زوجته وطفله قصة رحلته...

غير أن الامر كان مختلفاً هذه المرة...

فمهمته انتهت في قبو مظلم...

ولم يعد أبداً...

سمعت زوجته قصته في الأخبار على أنه يروج لمعدات إسرائيلية!

وأنه ينوي قلب نظام الحكم...

فصعقت لأنه كان من الطيبة لدرجة أنه لم يضرب طفله ولو مرة واحدة...

لم تعرف هل هو حي أم ميت...

كما لم تعرف أين هو؟

مضى شهران والطفل يسأل عن أبيه...

عمل لـ خليل يونس | حمزة بكور

والأم تحار الجواب...

فجأة ارتفعت وتيرة الأصوات في الخارج...

واهتز البيت بأكمله...

أول ما خطر لها هو قرض البنك...

فهل ستدفع ثمن بيت قد يسقط في أية لحظة؟

إنها أحلام سورية بسيطة...

خرجت إلى الحارة بينما كان طفلها في المدرسة...

وعندها عادت لم تجد البيت...

كما أنها لم تجد الحارة...

وكأن شهراً مضى كيوم أو أقل...

الطفل لا يزال في المدرسة...

أو بالأحرى لا يزال تحت حيطانها...

وهي لن تفقد الأمل...

الأمل؟

وماذا بقي بعد؟

لم تجد سوى حل واحد...

أن تلحق بطفلها وزوجها...

هناك...

حيث العدالة والسلام...

والدفء...

فهاجمت أول جندي رأته...

بحجر من بقايا بيتها...

فبادرها برصاصة كانت بساط الريح الذي حملها إلى هناك...

وكان الاثنان في انتظارها...

ونظر الجميع إلى الأسفل وفاضت عيونهم...

هذه ليست قصة خرافية...

ولا هنياناً...

إنها عائلة بسيطة...

في بقايا وطن اسمه سوريا...

ورفات مدينة اسمها حمص...

وذكريات حي اسمه بابا عمرو...

وانسحب التتار من التاريخ...

وطالبوا باعتذار...

فهم ملائكة أمام هؤلاء الذين دمروا كل شيء...

بدون أن يرف لهم جفن..

الربيع الذي لا يؤنث لا يعول عليه

■ محمد ديبو

كانت النساء من أوائل المنخرطات في الربيع العربي الذي أشعله بوعزيزي تونس (التي ضربت بوعزيزي ليحرق نفسه كانت امرأة أيضا!)، إذ ساهمت إلى جانب الرجل في إطاحة أمد الاستبداد في كل من تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، لإدراكها الكامل أنها تخوض معركتها الوطنية في التحرر من الاستبداد، ومعركتها النسوية في تحصيل حقوقها التي حرمها إياها استبداد عضوض وقع حلفا مضمرا مع رجال الدين الذين هيئوا للاستبداد خلال عقود، كل البنية النظرية والاجتماعية التي سهلت له قمع المرأة باسم الدين وباسم الوطن.

وعليه، شاهدنا العديد من الشابات والناشطات في ساحات العواصم العربية، وفي أقبية التعذيب، وفي دفع الثمن الفادح في الاستشهاد. هكذا تناقلنا على الفيسبوك أخبار نوارة نجم وهي تحرض الشبان على التظاهر ونيل حقوقهم، واستفزنا شريط فيديو لفتاة ليبية اغتصبها جنود الطغاة، وتعاطفنا مع صبايا تونس اللواتي احتفلن بإزالة آخر قلاع الدكتاتور، ودهشنا فرحا لرؤية الفنانة السورية فدوى سليمان تهتف بالثائرين في حمص المحاصرة بالدم والموت وتقود تظاهراتهم تحت عيون البنادق التي لا ترحم، وخفقت قلوبنا ونحن نرى الناشطة اليمنية توكل كرمان وهي تتسلم جائزة نوبل للسلام، بعد أن كنا رأيناها مرارا في ساحات اليمن تؤكد على سلمية الحراك، وعلى محاكمة الطاغية، حتى لو تدثر باتفاق خليجي لم يرضي طموح الشبان.

هكذا كانت أحلام المرأة العربية تفوق أحلام الرجال، لأن معركتها كانت مزدوجة، ضد الاستبداد السياسي، وضد الاستبداد الذكوري الذي سلبها حقها في الحياة والتعبير، فكانت الثورات المندلعة ملاذها للتعبير عن كينونتها المقموعة، ولتؤكد بالبرهان القاطع أنها لا تقل نضالا وشجاعة عن الرجل، وعلى أن معركة أي مجتمع لا تنتصر دونها، فهي الخلق والبداية والنهاية، بل هي الربيع المتجدد الذي جعل من مقولة « الضلع القاصر» مجرد ترهة عفى عليها الزمن، ولكن يبدو أن المعركة أطول مما توهمت، ومما توهمنا لحين!

إذ لم يكد يرحل الجلاوزة، حتى بدأنا نجد جلاوزة آخر يطلون من بين براثن الثورات، يسعون لإعادة المرأة إلى بيتها تحت حجج واهية، لتكون أمام نسخة من نسخ الأمس التعيس، خاصة بعد وصول الإسلاميين إلى السلطة في أكثر من مكان في العالم العربي، لتجد الأنثى الخلاقة الثائرة التي أرادت ربيعها، نفسها، بمواجهة طغاة جدد، يستندون إلى الدين في تشريع قمعهم الجديد.

هكذا سنجد سلفيو تونس يسعون لفرض النقاب في الجامعات، وتهديد المحطات التلفزيونية التي تعرض الأفلام (قناة بسمة نموذجا) بحجة الحفاظ على الأخلاق، والعمل على تشويه صورة النساء عبر شن حملات عليهن في الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي، في سعي منهم لإعادة المرأة إلى المنزل، بعد أن استخدموها براغماتيا في إطاحة الاستبداد، ولعل ما تتعرض له الدكتورة رجاء بن سلامة في تونس ومجموعات كثيرة من نساء تونس الرائعات دليل على ذلك. ولعل طلب حزب تونسي إدراج حق أن يكون للرجل جارية إلى جانب زوجته في الدستور الجديد، يدل على مدى ما يمكن أن تتعرض له حقوق المرأة من انتهاك على يد الثوار الجدد، وكذلك الأمر في سعي نواب حزب النهضة التونسي إلى انتزاع كل المكتسبات التي حققتها المرأة في العهود السابقة، عبر مدونة الأحوال الشخصية التونسية، يدل على ذلك أيضا.

وفي اليمن، ستكتب الكاتبة الشابة بشرى المقطمي، مقالا رائعا تحت عنوان "سنة أولى ثورة" يكشف عن خيبة الأمل التي تنتظر المرأة بعد أن كانت عنصرا فاعلا في الإطاحة بالدكتاتور. وكذلك الأمر في مصر حيث شاهدنا صورة المرأة التي عراها العسكر في الميادين بعد رحيل مبارك بعد أن كنا نرى صور نساء رائعات يخلعن حجابهن ليضمدن جرح شاب في ميدان التحرير.

وفي سوريا، سنجد دعوات متواصلة للعسكرة، مما يعني إقصاء المرأة عن إرادة الفعل في الثورة، وهو ما بتنا نلحظه مؤخرا، إذ باتت نسبة النساء الموجودة في التظاهرات أقل من السابق، بسبب من العنف الممنهج من النظام، والعنف الآخر القادم من ثوار يريدون تحويلها من سلمية إلى عسكرية.

وفي ليبيا، سنفاجئ بأن أول خطاب لرئيس المجلس الانتقالي الليبي مصطفى عبد الجليل، يتحدث عن عودة الشريعة الإسلامية وتعدد الزوجات، وكذلك سنجد أن قانون الانتخاب بصيغته الأولى حدد كوتا للنساء بنسبة عشرة بالمئة فقط، قبل أن يصار إلى تغييره بعد اعتراض واسع من قبل الجمعيات المدافعة عن حقوق المرأة.

في قراءة ما سبق، سنجد أن فجيعة المرأة العربية بالربيع كبيرة جدا، فهو ربيع ذكوري حتى اللحظة، مما يعني أنه لا ربيع إلى أن يثبت العكس، لأن أي ربيع لا يؤنث لا يعول عليه، ولكن عزاؤنا أن يكون ما يحصل هو نتاج المراحل لانتقالية فقط، وأن لا تكون سمة أساسية تطبع المرحلة القادمة، وإلا فإننا سنحتاج للثورات لاحقة ترفع تاء التأنيث شعارا لها.

عمل: اسمر يحموح | فنانة تونسية

الثـــورة وبنـــاء الثقـــافة الديمقـــراطية

■ د. حازم نهار

لا نحتاج للتأكيد على أن مقومات الثقافة الديمقراطية تكاد تكون غائبة في مجتمعاتنا، والظاهرة السائدة هي اختزال الديمقراطية لجملة من العناصر الإجرائية وحسب. فالديمقراطية ليست مجرد صيغة للحكم، بل هي أولا ثقافة، وإن تبسيطها وتسطيحها إلى مجرد آليات شكلانية فوقية من شأنه أن يمنع أي تغيير حقيقي في الأوضاع السائدة. هذا يعني أن الانتقال من نظام شمولي أو استبدادي إلى نظام ديمقراطي لا يحتاج إلى تغييرات سياسية ودستورية وحسب، وإنما في الأساس والأهم إلى نهضة ثقافية.

تنهض الثقافة الديمقراطية على عناصر ومستويات نقيضة لما هو موجود أو سائد في ثقافتنا. فالثقافة الديمقراطية تعترف بكينونة الفرد وأوليته واستقلاليته، وجدارته بحقوق لصيقة به كإنسان، وتقر له بحقوق ووظائف وأدوار مكتسبة له كمواطن، لذلك تجعل من حماية حقوقه وضمان الوفاء بها إحدى أهم وظائف الدولة الديمقراطية. وتمتاز الثقافة الديمقراطية بأنها تسمح للفرد بممارسة تلك الحقوق والأدوار في فضاء اجتماعي واسع تشرف عليه الدولة، في حين أن الثقافات غير الديمقراطية أو المضادة لها تعترف بالفرد في فضاء اجتماعي ضيق للغاية (الأسرة، العشيرة، القبيلة، الطائفة الدينية... إلخ) أو في إطار قيود ثقيلة تحرمه من طائفة واسعة من الحقوق (السلطة المستبدة).

الديمقراطية هي ابنة الفلسفة الفردية، بينما تقوم الدكتاتوريات والأصوليات والأيديولوجيات على محو الفروق بين الأفراد لصالح ما يسمى، مكرا أو جهلا، "المساواة"، التي لا تعني في هذا المضمار إلا "التسطيح" و"التسوية"، أي إذابة الفروق وتجميع أو صهر الإرادات في سلوك جمعي قطيعي واحد يشكل رصيدا وخزانا دائما لإنتاج الاستبداد والتطرف والعدمية والفوضى.

تقوم الثقافة الديمقراطية على مشروعية التنوع والاختلاف وعلى نسبية الحقيقة واحتمال خطأ الذات، فالسلوك الفردي أو الجماعي المستند إلى هذه الثقافة يعبر عن نفسه في الاعتراف بالآخر واحترام حريته وحقوقه والقبول به كما هو، وكما يريد أن يكون. لذلك يحضر فيها بقوة مفهوم الشعب بوصفه شعب الاختلاف، لا الجمهور الواحد المنصهر والمندمج، وتقوم فيها الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على فكرة الأحزاب المختلفة، المصالح المختلفة، الآراء والخيارات المختلفة، صراع المصالح والاحتمالات والأفكار في ظل سيادة قانون عام يشارك فيه الجميع بشكل أو بآخر، من خلال مؤسسات الدولة الديمقراطية التي تكون محايدة وعامة تجاه المنازعات والخصومات. كما تنمي الثقافة الديمقراطية النزعة للتنظيم وبناء مؤسسات تتمتع بحركية داخلية وخارجية (نقابات، جمعيات...)، مختلفة عن مؤسسات الثقافات غير الديمقراطية التي غالبا ما تنشأ على تقسيمات عمودية، وتكون ثابتة وجوهرية.

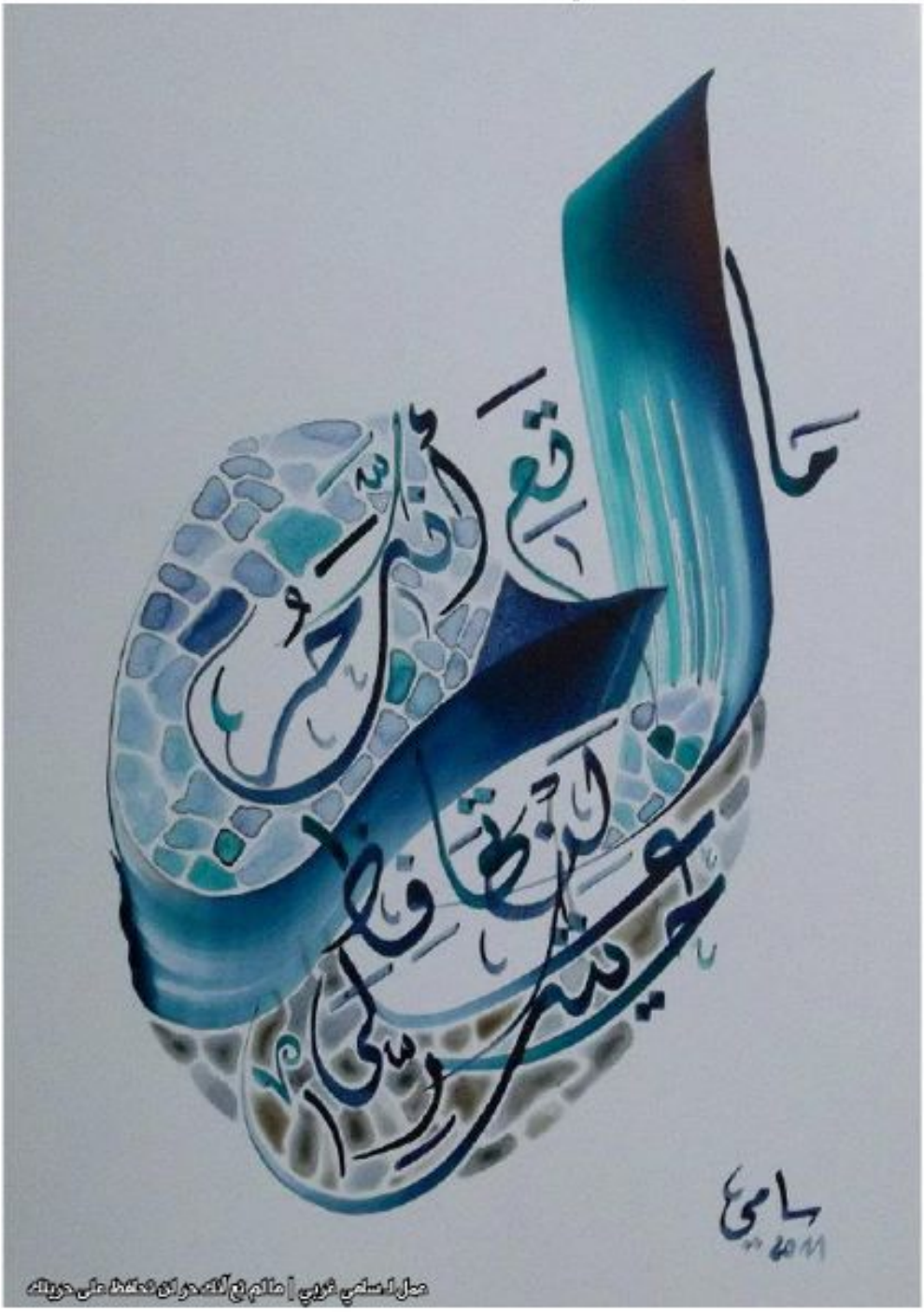

عمل إسلامي غزيبي | علام لم أملك حزني فحافظ على حريتك

احتفالية "الشارع" السوري في مرور عام على ثورته
موسيقى وتشكيل ومسرح ضد الرصاص والموت

■ عامر مطر

"احتفلت دمشق قبل أعوام بنفسها كعاصمة للثقافة العربية، وبعد أيام ستحتفل مع عدّة مدن سورية وعربية وأوربية بثقافة جديدة، لأن الشوارع السورية قررت أن تصبح عاصمة للفن الحالم بالحريات"، لذلك تم الإعلان عن احتفالية "الشارع"، بحسب إدارتها.

فبعد عام من الثورة، لابد من الاحتفال بالفن الذي أبدعته أحلام السوريين وساحاتهم وشوارعهم، الاحتفال بالصمود رغم العنف والة القتل التي تنهش المدن والأجساد البريئة يوميا على مدار عام كامل.

إذ "يخترق الرصاص حناجر السوريين، ويغنون للحرية، ويرسمون للسخرية من القذائف التي تدمر بيوتهم... يغنون ويرسمون ويصورون لصنع عيد له ملامح الحرية"، بحسب بيانها الصحفي.

ويضيف: "يستحق هذا الصمود الاحتفال والفرح للمضي من جديد في المعركة السلمية. من هنا كانت فكرة تنظيم احتفالية "الشارع" السوري التي تمتد من 15_ 22 آذار 2012، موزعة على عدّة أماكن وساحات داخل سوريا، وساحات في عواصم عالمية".

لم يذكر البيان تفاصيل وبرنامج العروض خوفا من صواريخ قد تمنع عرض فيلم عن ثورة مدينة القامشلي في ساحة داخل إدلب، أو من رصاص قد يخترق قماش لوحة رسم عليها حلم طفل سوري ما.

لذلك قررت إدارة الاحتفالية عدم الإعلان عن الفعاليات إلا قبل وقت قصير من عرضها، وتبدأ مساء الخميس 15 آذار 2012، بعرض فيلم وثائقي يتحدث عن الثورة السورية خلال عام، سيتم عرضه على أحدى القنوات الإخبارية العربية، وسيلي ذلك مباشرة عرضه في عدة ساحات سورية وكذلك في ساحات عواصم عالمية.

سيتم على مدار أسبوع استعراض كافة الأفلام التي عملت على توثيق الثورة، ونقلها للعالم أجمع وتبلغ حوالي 13 فيلما، ضمن مهرجان "سينما الشارع".

ومن أفلام التظاهرة: "تهريب 23 دقيقة ثورة" وهو أول فيلم يصوّر ويعرض عن الثورة السورية، إذ صوّر شكل الأحداث في مدينة حماة قبل دخول الجيش السوري إليها. و الفيلم الوثائقي "ازادي" الذي فاز بالجائزة الفضية بمهرجان روتردام المصري بعد أن جسّد يوميات من الثورة السورية، وصوّر في شهر آب من العام الماضي في منطقة القامشلي والمناطق الكردية الأخرى الواقعة شمال سوريا.

وفيلم "حماة 1982 حماة 2011" الذي يقارب بين مجزرتين ارتكبهما النظام السوري بحق سكان المدينة. إضافة لمجموعة من الأفلام المصوّرة في حمص والرستن ودرعا.

كما ستقدم الاحتفالية معرض "فنانون من سورية الآن"، بمجموعة كبيرة من اللوحات التي تتناول الثورة، رسمها عدّة فنانين سوريين سيُعلن عن أسمائهم لاحقا، علما أن المعرض سيقدم للجمهور في ساحة سوريّة يسيطر عليها الشعب، وفي مدينتين عربيتين.

اللوحات التي رسمها أبرز التشكيليين في الساحة السورية، تلخّص عام من القهر، والصمود في تحدي الخوف والموت.

إضافة إلى اللوحات، ستعرض في ساحات أخرى أعمال تجهيز بالفراغ؛ تتناول الأطفال اللذين قتلهم رصاص قوات الأمن، وتتلخص فكرة العمل بمحاولة إرسال العابهم إليهم في السماء. كما سيشاهد الجمهور السوري في نفس اليوم، لكن في ساحة أخرى، عمل يخصّ مناضلات الثورة.

في احتفالية بهذا الحجم، لابد من المسرح، إذ تؤكد إدارة الاحتفالية للجمهور السوري بعرض أعمال احترافية تليق بثورته وتضحياته.

وبالتعاون مع مجموعة من الكتّاب والصحفيين، ستعمل الاحتفالية على إصدار كتاب يعرض مواد ميدانية توثق تفاصيل عام الثورة السورية الأول، من خلال تجارب حقيقية عاشها النشطاء في الشوارع والساحات والسجون. كتبتْ كل نصوص الكتاب داخل سوريا، لكن لن يُطبع داخلها، ولابد أنه سيمنع من دخولها؛ مثل كل الكتب التي تتناول الأوضاع داخل البلاد بشكل موضوعي ونقدي.

إضافة لإصدار ألبوم لأغاني الثورة بعد إعادة توزيعها، بالتعاون مع مجموعة من أهم الموسيقيين السوريين اللذين يعملون الآن داخل البلاد. بحيث ستقدم أعمال تلخّص الأعمال الثورية الغنائية التي عرضت إبراهيم القاشوش للذبح، وجعلت عبد الباسط الساروت مطلوبا للموت.

برافق فعاليات الاحتفالية أشكال مختلفة من التظاهر السلمي الاحتفالي في مناطق مختلفة من سوريا، كما سيتم إصدار عدة تقارير إعلامية حول عام الثورة وإصدار أقراص مدمجة تضم الأفلام الوثائقية والمقابلات المتعلقة بالثورة، إضافة لبطاقات بريدية تحمل لوحات لفنانين تشكيليين رسموا للثورة السورية.

علماً أن الاحتفالية من مشاريع مؤسسة الشارع للإعلام والتنمية، وهي مؤسسة مستقلة غير ربحية، تخصص جزءاً من عائداتها لمشاريع تنموية تسعى لمساعدة المجتمع السوري.

وتؤكد إدارة الاحتفالية أنها مبادرة للتأكيد على أهمية سلمية الثورة، وعلى إبراز الوجه الجميل لتضحيات وإبداع الشعب السوري خلال عام من محاولاته على كسر حواجز الخوف والظلم والصمت.

خارج الخريطة السورية

وأكدت إدارة الاحتفالية أنها ستقدم فعاليات في عدّة عواصم، كمعرض "رسومات أطفال الحريّة" الذي يعكس صورة العام الدامي والتاريخي في عمر السوريين بعيون الأطفال من أقرباء الشهداء ومن يعيشون الثورة.

ويعرّج المعرض على واقع اللجوء الذي يعيشه آلاف السوريين في كل من لبنان وتركيا والأردن، بحسب البيان. كما "سيُترك للتشكيليين فسحتهم في المعرض أيضا، حيث سيتم عرض مجموعة من لوحاتهم التي تتناول الواضع السوري" والأحداث الجارية فيها، كما يشارك في المعرض أطفال بريطانيون لوّنوا تضامنهم مع نظرائهم السوريين ورسموا تعاطفهم معهم"

ويقوم المعرض في كل من لندن وعمّان وتورنتو وفانكوفر بكندا وبوخارست وباريس وبرلين في الوقت ذاته.

في حين سيعرض مجموعة من التشكيلين السوريين في باريس أعمالهم، ويقرأ ممثل للاحتفالية كلمة عن عام من الثورة.

إضافة لمعارض، وعروض مسرحية، وأفلام ستعرض داخل عدّة عواصم عربية خلال أسبوع الاحتفالية.

أحداث الثورة السورية خلال عام

■ ندى درويش

دخلت الثورة السورية المطالبة بالحرية وإسقاط النظام عامها الأول، وانطلقت الاحتجاجات في سوريا يوم 15 آذار 2011 بمظاهرات صغيرة في دمشق فرقتها قوات الأمن واعتقلت إثرها العديد من المشاركين والمنظمين لها، وسرعان ما امتدت موجة المظاهرات إلى درعا إثر اعتقال عدة أطفال على خلفية كتابتهم عبارات مناهضة للنظام على جدران مدرستهم، ومنها إلى مدن وبلدات أخرى كثيرة.

18 آذار 2011 فرق الأمن مظاهرات في المسجد الأموي بدمشق، وفي حمص، وفي بانياس وفي درعا.

25 آذار2011 تم إطلاق سراح 260 سجيناً سياسياً من سجن صيدنايا.

27 آذار2011 أعلنت بثينة شعبان مستشارة الأسد أن السلطات اتخذت قرارا برفع قانون الطوارئ الساري منذ 1963.

29 آذار 2011 أعلنت الحكومة السورية برئاسة محمد ناجي عطري استقالتها.

30 آذار 2011 أول خطاب لبشار الأسد منذ بدء المظاهرات.

1 نيسان2011 امتدت التظاهرات إلى دوما في ريف دمشق مع استمرارها في اللاذقية، وبانياس، ودرعا، والصنمين، وعامودا، ورأس العين.

3 نيسان2011 تم تكليف عادل سفر بتشكيل حكومة جديدة خلفاً للحكومة المقالة.

7 نيسان2011 إصدار مرسوم منح بموجبه الجنسية السورية للمسجلين في سجلات الأجانب في محافظة الحسكة وإطلاق 24 معتقلا كرديا من مدينة الرقة.

18 نيسان2011 خروج مظاهرات في حمص.

21 نيسان 2011رفع حالة الطوارىء وإلغاء محكمة أمن الدولة.

30 نيسان2011 اجتياح المسجد العمري في درعا.

7 أيار 2011 الجيش السوري يجتاح كل من بانياس، حمص ودرعا.

10 أيار2011 الاتحاد الأوروبي يفرض عقوبات على بشار الأسد .

18 أيار2011 عقوبات أميركية على سوريا.

6 حزيران2011 مجزرة في جسر الشغور.

13 تموز2011 انتشار للجيش السوري بالقرب من الحدود التركية والعراقية.

15 تموز2011 وصل عدد المشاركين في مظاهرات حماه ودير الزور نحو مليون متظاهر.

31 تموز 2011 سقوط 139شهيد إثر اجتياح الجيش السوري لمدينة حماه.

3 آب 2011 مجلس الأمن الدولي يدين انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا.

18 آب 2011 الرئيس الأميركي باراك أوباما يدعو الأسد للرحيل.

2 تشرين الأول2011 الإعلان عن تشكيل المجلس الوطني السوري في اسطنبول برئاسة الدكتور برهان غليون.

4 تشرين الأول2011 روسيا والصين تستخدمان الفيتو ضد مشروع لإدانة سوريا في مجلس الأمن.

12 تشرين الثاني2011 الجامعة العربية تجمد عضوية سوريا.

24 تشرين الثاني 2011 السفير الأميركي يغادر سوريا

27 تشرين الثاني2011 الجامعة العربية وتركيا تفرض عقوبات اقتصادية على سوريا.

2 كانون الأول 2011 مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان يدين سوريا.

23 كانون الأول2011 استهداف مبان للأمن في دمشق والنظام يتهم عناصر إرهابية.

26 كانون الأول2011 وصول الدفعة الأولى من بعثة المراقبين العرب إلى سوريا.

10 كانون الثاني 2012 خطاب ثالث للأسد والحديث عن المؤامرة الخارجية.

11 كانون الثاني 2012 مقتل الصحفي الفرنسي جان جاكبيه في حمص.

23 كانون الثاني 2012 دمشق ترفض خطة الجامعة العربية لنقل سلطات الرئيس إلى نائبه الأول.

28 كانون الثاني2012 الجامعة العربية تعلق مهمة المراقبين.

31 كانون الثاني2012 اجتماع في مجلس الأمن لإصدار قرار حول سوريا.

4 شباط 2012 فشل مجلس الأمن بتبني قرار ضد سوريا وروسيا والصين تستخدمان الفيتو مجددا.

8 شباط 2012 الجيش السوري يجتاح حمص ويعزلها عن باقي المدن السورية.

9 شباط 2012 دول مجلس التعاون الخليجي تسحب سفرائها من دمشق وأبلغت سفراء النظام السوري مغادرة اراضيها.

19 شباط 2012 مصر تستدعي سفيرها في دمشق

22 شباط 2012 مقتل الصحفيان هاري كولفين وريمي اوشليك إثر قصف مقر إقامتهما في بابا عمرو.

24 شباط 2012 مؤتمر أصدقاء سوريا في تونس

26 شباط 2012 الاستفتاء على الدستور الجديد للنظام السوري

1 آذار 2012 سحب السفيرين البريطاني والسويسري من دمشق

6 آذار 2012 إغلاق السفارة الفرنسية في دمشق

أسماء الجمعة خلال عام من الثورة السورية

الجمعة 18 آذار 2011 (الكرامة)
الجمعة 25 آذار 2011 (العزة)
الجمعة 1 نيسان 2011 (الشهداء)
الجمعة 8 نيسان 2011 (الصمود)
الجمعة 15 نيسان 2011 (الإصرار)
الجمعة 22 نيسان 2011 (العظيمة)
الجمعة 29 نيسان 2011 (الغضب)
الجمعة 6 أيار 2011 (التحدي)
الجمعة 13 أيار 2011 (الحرائر)
الجمعة 20 أيار 2011 (أزادي)
الجمعة 27 أيار 2011 (حماة الديار)
الجمعة 3 حزيران 2011 (أطفال سورية)
الجمعة 10 حزيران 2011 (العشائر)
الجمعة 17حزيران2011 (صالح العلي/ الشرفاء)
الجمعة 24 حزيران 2011 (سقوط الشرعية)
الجمعة 1 تمّوز 2011 (ارحل)
الجمعة 8 تموز 2011 (لا للحوار)
الجمعة 15 تمّوز 2011 (أسرى الحريّة)
الجمعة 22 تموز 2011 (أحفاد خالد)
الجمعة 29 تمّوز 2011 (صمتكم يقتلنا)
الجمعة 5 آب (اللّه معنا)
الجمعة 12 آب 2011 (لن نركع)
الجمعة 26 آب 2011 (الصبر والثبات)
الجمعة 2 أيلول 2011 (الموت ولا المذلّة)
الجمعة 9 أيلول 2011 (الحماية الدولية)
الجمعة 16 أيلول 2011 (ماضون)
الجمعة 23 أيلول 2011 (وحدة المعارضة)
الجمعة 30 أيلول 2011 (النصر لشامنا ويمننا)
الجمعة 7 تشرين الأول 2011 (المجلس الوطني يمثّلني)
الجمعة 14 تشرين الأول 2011 (أحرار الجيش)
الجمعة 21 تشرين الأول 2011 (شهداء المهلة العربية)
الجمعة 28 تشرين الأول 2011 (الحظر الجوّي)
الجمعة 4 تشرين الثاني 2011 (اللّه أكبر)
الجمعة 11 تشرين الثاني 2011(تجميد العضوية مطلبنا)
الجمعة 25 تشرين الثاني 2011 (الجيش الحر يحميني)
الجمعة 2 كانون الأول 2011 (المنطقة العازلة مطلبنا)
الجمعة 9 كانون الأول 2011 (إضراب الكرامة)
الجمعة 16 كانون الأول 2011 (الجامعة العربية تقتلنا)
الجمعة 23 كانون الأول 2011 (بروتوكول الموت)
الجمعة 30 كانون الأول 2011 (الزحف إلى ساحات الحريّة)
الجمعة 6 كانون الثاني 2012 (إن تنصروا اللّه ينصركم)
الجمعة 13 كانون الثاني 2012 (دعم الجيش السوري الحر)
الجمعة 20 كانون الثاني 2012 (معتقلي الثورة)
الجمعة 27 كانون الثاني 2012 (حقّ الدفاع عن النفس)
الجمعة 3 شباط 2012 (عذراً حماة)
الجمعة 10 شباط 2012 (روسيا تقتل أطفالنا)
الجمعة 17 شباط 2012 (المقاومة الشعبية)
الجمعة 24 شباط 2012 (سننتفض لأجلك بابا عمرو)
الجمعة 2 آذار 2012 (تسليح الجيش الحر)
الجمعة 9 آذار 2012 (الوفاء للانتفاضة الكردية)

عامٌ على ثورة الكرامة والحرية، وخمسٌ وأربعون عاماً على الاحتلال

■ محمود محمود

عبارة للشاعرة سعاد الله عبيد | الناصرة الجولان

في الجولان المحتل، حكاياتٌ وقصصٌ كثيرة تعيشُ وتُعاش وتكبر، لها من العمر عامٌ كامل، فهي وليدة هذه الثورة وربيبة مقاومة الاحتلال.

كغيره من المناطق السورية_مع خصوصية الاحتلال المضافة إليه_ يعيش الجولان المحتل منذ اليوم الأول لاندلاع الثورة تناقضات وانقسامات سياسية واجتماعية لم تعد مخفيةً على أحد، فقد طفا أكثرها حده على السطح وبات معروفاً للجميع.

معارضون وموالون وأغلبيةٌ صامتة تعلق بين الطرفين، في ذات الفرز والانقسام الحاصل في دمشق وحلب وغيرها من المناطق، وذاتها الأثمان المترتبة على كل موقف واصطفاف، لكن من دون أرواح تزهق.

أيخس تلك المواقف أن تكون موالياً للنظام، فلا ضغط اجتماعي يمارس عليك ولا تهديدٌ من أحد بطالك، لا بالاعتداء الجسدي ولا بالاعتداء معنوي ولا تلاحقك الشائعات والتلفيقات وتشويه السمعة. فحتى لو كان تاريخك تحت الاحتلال مشيناً ومخزياً وفق المعايير الوطنية المتعارف عليها هنا، فإن ولاءك اليوم يجعل منك نبراساً يقود مسيرات الطاعة ويشرّع لك أن تتصدر القوم وتهتف بهم. وطبعاً سلطات الاحتلال الإسرائيلي لا تعترضك ولا بكلمة واحدة، بل ترسل وسائل إعلامها لتغطي حفلات ولائك وشعائر عبادتك "للقائد" وقد تصفق لك إن كنت غوغائياً كفاية.

أما أن تكون معارضاً، فذلك حديثٌ آخر، وعليك تحمل كل ما سبق، وأن تعلم أنك مهددٌ دائماً جسدياً ومعنوياً وأن سمعتك باتت علكةً سائغة في أفواه كل من لا ضمير لهم، وأيضاً سلطات الاحتلال قد لا تعترضك، لأن هناك من يقوم بدورها المفترض ويمارس عليك التشبيح والقمع والاعتداء، فلم العناء؟

للصامتين أيضاً حيزٌ لا بأس به عندنا، فهم الأغلبية كالعادة، يمارسون "حريتهم" بعدم الانحياز بكل هدوء وسلام. فمنهم من لا يعتبه أساساً كل ما يجري، ومنهم من يبرر صمته بواقع الاحتلال ويبرر تخاذله بمنطق أنه يتّبع سياسة تفويت الفرص على إسرائيل وهو بذلك لا يعطيها مبرراً لتمرير سياساتها واستغلال الشرخ الاجتماعي الحاصل، ويردد إيمانه بأن الاحتلال أولاً، والاحتلال أخيراً، ولا صراع سواه.

مؤيدو الثورة في الجولان المحتل

مع اندلاع بوادر الثورة السورية، وبعد ما شهدته الساحة العربية في مصر وتونس وليبيا والبحرين واليمن من أحداث، حسمت فئة من السوريين في الجولان أمرها ودعمت الثورة مع بدء إرهاصاتها الأولى، ولسان حالها يقول: "أن الاحتلال والاستبداد واحد" ولا تحرير للأرض المحتلة إلا بزوال الديكتاتورية وبناء دولة ديمقراطية حرة تمثل إرادة الشعب السوري الكريم.

فكان الدعم على قدر الإمكانات، خجولاً فردياً حيناً، جماعياً حاشداً أحياناً أخرى. وعند الأشهر الأولى للثورة، أصدرت مجموعة من عشرات الناشطين والناشطات في نيسان من عام الثورة، بياناً متقدماً مضمونه وعنوانه كان "أنتم الصوت ونحن صداه"، مؤيداً للثورة ومدينا لكل أشكال القمع والبطش الذي مارسه النظام على الشعب المنتفض، وجاء فيه:

".... إننا نضم صوتنا إلى صوت شعبنا في الداخل السوري، متوجهين للنظام بأوضح العبارات، أن يبادر اليوم قبل الغد إلى إعادة الحق إلى أصحابه، والمباشرة برفع قانون الطوارئ وإطلاق الحرّيات العامة وسراح جميع معتقلي الرأي ورفع القيود عن الإعلام، وإلغاء المحاكم الاستثنائية ونتائج الاستطلاع الاستثنائي الجائر لعام 1962، تمهيداً لانتقال سلمي وهادئ للسلطة، يجنّب الوطن ما لا تُحمد عقباه.

سياسات عدّ الأيدي من قبل الشعب وغصائل المعارضة الوطنية في الداخل التي قابلها النظام بالاعتقال والبطش والترهيب وبث بذور الفرقة بين مكوّنات المجتمع السوري، تقطع كل الشك بكل اليقين أن النظام غير معني إلا بإبقاء إحكامه على السلطة وتسلّطه على رقاب العباد. فحكم الشعب عبر أجهزة الأمن تارة والالتفاف على مطالبه بمرسوم هنا أو رشوة هناك تارة أخرى، لن يوقفا سيرورة التغيير وحركة التاريخ.

وبما أنّ رد النظام على احتجاجات شعبنا السلمية ومطالبه المشروعة جاء دموياً على نحو ما شهدناه، محوّلاً صدور السوريين أهدافاً لرصاص أقذّ طلع ثمنه من جيوبهم ومن أمام أفواه أطفالهم بحجة محاربة إسرائيل: فإننا نعلنها على الملأ، وليسمعها القاصي والداني، أنّ "كل مَن يقتل شعبه خائن"، وأنّ كل نقطة دم سورية تُراق، سوف تكون حجّة على مهرقيها، ولعنة تطاردهم ولو بعد حين.

إنّ قدرنا هو العيش بحرية وكرامة، ومنطق الحياة يؤكد أن الشعب أبقى من حكامه. فوطن حرّ، ديموقراطي وعلماني، يتساوى تحت سقفه الجميع، وليس فيه مكان لجَور ولا ظلم ولا طائفية بغضاء هو ديننا وديدننا، وهو جوابنا الأخير.

عاشت سوريا حرة كريمة لجميع أبنائها

من هنا، وبعد هذا البيان الذي لاقاه زبانية النظام في الجولان بالتخوين والتشهير وبممارسة شتى وسائل الضغوط والترهيب الاجتماعي والنفسي على كل من وقّع عليه، بدأ الحراك المؤيد للثورة يتعرض لتصعيد مضاد من قبل الموالين للنظام، هدفه الأساس كان القمع وكم الأفواه ومنع أي صوت معارض لنظام "الممانعة" من أن يرتفع في الجولان المحتل. ووصل في أحيان كثيرة حد الاعتداء الجسدي والاعتداء على الممتلكات ومهاجمة البيوت، وليس أفظعها ما حدث مع المناضل وئام عمايشة، الذي كان قد أعلن إضرابا مفتوحا عن الطعام من داخل زنزانته في معتقل الجلبوع تأييدا للانتفاضة السورية، وتابع منذ الساعة الأولى لتحريره دعمه للثورة وللشارع المنتفض. فلاقى عمايشة ما لاقاه من حملات تخوين وضغط واعتداءات على بيت عائلته وممتلكاتهم، ولم يشفع له تاريخه النضالي، ولا أكثر من عشر سنوات في سجون الاحتلال، عند التشبيحه ولم يسلم من أنيابهم المسعورة التي كشّرت لتنهش أي صوت لا يتغنى بفاشية نظام الأسد. حاله في ذلك حال الكثيرين ممن رفعوا شعار الحرية خيارا، ودفعوا_ويدفعون يوميا_ ثمن ذلك.

بصرف النظر عن الانقسام السياسي-الأخلاقي الحاصل، وبعيداً عن تأييد أي منها، لكن حقيقة أن الجولان محتل، وحقيقة سكون جبهته المريب لأكثر من أربعة عقود وعدم سماع دوي رصاصة واحدة، اللهم إلا عندما زج النظام الخائن بشباب وشابات، في ذكرى النكبة والنكسة من خيرة الفلسطينيين والسوريين، ودفعهم إلى موتهم بيد قناص إسرائيلي فهم تواطؤ النظام معه، ووصلته رسالة مخلوف عن أمنه وعن أن النظام الحالي هو وحده من يحميه، فقتل وأصاب

هنا سوريا

■ نينار حسن

خبر عاجل على الشاشات الحمراء

نراقب بصمت كمن يشاهد شريط حياته تحت أقدام جندي

"هذا الحي أعرفه، هنا سكنت فتاة أحببتها، وحيث يبول هذا الجندي، تختبئ قبلة زرعناها وأقفلنا عليها الزمن"

تحت هذا الشباك اعتدنا انا وصديقتي أن نقف لنسمع جارنا الوسيم أننا نتحدث عنه، ونتظاهر بالمفاجأة حين نراه يرانا.

اليوم لا ندري مكانه بعد ان أخذته مجموعة جند مدججة، حاصرت الحي كله لتمسك به.

لم نكن نعلم أنه شديد الأهمية هكذا، كان مجرد شاب أسمر يعرف أنه مصدر اعجاب الفتيات"

"هذا الشاب أعرفه جيدا، كان يحرف عينيه كلما نظرت اليه، وتصطبغ وجنتاه بلون دمائه.

كيف استطاع أن يخبئ كل هذا الحقد خلف الأزرق الخجول في عينيه، وكيف انتقلت دماء هذا الطفل إلى يديه؟"

هنا سوريا

تجمع أمي بقايا الخبز في سلة صفراء، وتخبئها على سطح المنزل، وتغطيها بمنديلها السكري العتيق.

يظن أخي الصغير أنها تريد اطعام العصافير، ولا يفهم كيف تستطيع العصافير أن تأكل من سلة مغلقة.

حتى أمي البسيطة الساذجة باتت تتقن الكذب على الصغار.

أمس وجدنا في القرية جثة شاب مقيدة.

حملها الرجال لدفنها، وذهبت النساء لتساعد أمه في ارسال ثيابه إلى العائلات التي تفترش الثلج.

ليلا استيقظت . كعادتي . لأجد أخي الصغير في سريره جالسا بصمت، يبدو أن الأطفال يفهمون ما يحدث أكثر مما نتوقع منهم.

هنا سوريا

لم نعد نسمع أصوات صراصير الليل في مساءات القرية، فهي تخاف من الرصاص.

منذ ساعة أصابت رصاصة خزان جارنا، وصوت المياه تكب من سطحه إلى الطريق أصبح مزعجا بعد أن اعتدنا النوم على ايقاعات أسلحة الجنود.

في الليلة الأسبق، استيقظنا على صراخ جارتنا ام عبدو، لقد أصيب أبو عبدو بجلطة قلبية وهو يشاهد الأخبار، قبل سنة كان حدث كهذا كفيلا أن يزلزل ايقاع القرية الرتيب، اليوم أصبح الموت مجرد خبر.

هنا سوريا

مدينتي في وسط البلاد، يمر بها العابرون من طائفة إلى عرق.

نثبت الشاشات على طرقاتها، لنعد الذين يتوقفون ليسألوا طفلا يحمل بيته ويركض، عما يحدث في شوارعها.

أو من يقف ليجمع أشلاء أم أو أب، وبهديها لأطفال لا يدركون أن الموت لا يأبه للأسئلة الطفولية البديهية، " لماذا تخبئون امي تحت التراب؟".

هنا سوريا

هنا الشتات، نبني دمشق وحمص أخريات في بلدان أخرى، ونفشل في تقليد التفاصيل التي نعشق فيها.

سوريا صغيرة في كل بيت بعيد.

نعبر المسافة آلاف المرات يوميا، نقبل جبين سوريا قبل أن تنام، علنا نستيقظ معا صباح الغد.

ينتهي النهار، نغني لسوريا التي في الأحشاء لتنام، نطفئ شاشاتنا،

سوريا

الصباح قادم.

العشرات في المناسبتين على التوالي، وحفظت إسرائيل الدرس وحفظت النظام من السقوط لاحقًا. كل ذلك، وهو ليس إلا نزرا يسيرا من الوقائع التي تفرض نفسها على الأرض وتُبرز الكثير من الأسئلة والأجوبة في آن.

فاحتلال إسرائيل في عام 1967 لهذه البقعة الغنية من الأرض السورية وملابسات سقوط الجولان في الوقت الذي كان فيه حافظ الأسد وزيرا للدفاع، والذي كان هو نفسه من أصدر البلاغ 66 الفضيحة، وأوعز للقوات المسلحة بالانسحاب الكيفي من جبهة القتال، معلناً بذلك سقوط القنيطرة قبل ساعات كثيرة من احتلالها الفعلي (على ما جاء في شهادة خليل مصطفى/ ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب، في كتابه سقط الجولان)، وما تلا ذلك من كذب ونفاق عن حرب تشرين "التحريرية" 1973، والتي لم تحرر شبرًا فعليا سوى النظام من عار الهزيمة، فكان لا بد منها حتى يضرب الأسد الأب أسس نظام ديكتاتوري حكم البلاد لعقود تلت، وليُسكت كل من عارضه إما بالقتل أو الاعتقال أو النفي. فقبض على ورقة الجولان في يساره وقمع الشعب السوري بيمينه، واستخدمها في لعبة الابتزاز السياسي على حساب الوطن، ودائما في سبيل تعزيز قبضته على مقاليد الحكم الأبدي الذي أورثه لابنه بشار لاحقًا.

واقع الحال هذا، يدركه الموالي قبل المعارض هنا في الجولان، حتى لو تعامى الأول عنه ورفض الإقرار به جهارا، فالشمس لا تُحجب بغربال. كل ذلك يفتح باب تساؤل شائك آخر، مفاده أن: هل فعلا مؤيدو النظام يريدون تحرير أرضهم من الاحتلال؟ وهل فعلا يصدقون خطابا ممانعا غارقا في الزيف والرياء؟ هل هم سُذج إلى هذه الدرجة؟ ألا يذبحهم منظر الجيش السوري "الأسير" وهو يقتحم بجحافله القرى والمدن السورية ويصل إلى تخوم الجولان وبدل أن يقاتل العدو أخذ "يستأسد" في سفك دم المواطنين السوريين العزّل؟ ألا يُحذّر هذا المشهد الدم في عروق كل من قال "أنا سوري"؟ أم أنهم ببساطة لا يكترثون إن تحرر الجولان أو لم يتحرر، وما يعنيهم فقط أن يبقوا متنفذين منتفعين من خلال هذا النظام المجرم القاتل، وحساباتهم الوطنية تأتي لاحقا، إن هي أتت أصلا؟!!

في الذكرى السنوية لميلاد الثورة، أقول مؤكدا، أن الشعب السوري واحد، والجولان بمن فيه، وبمعزل عن انتمائهم واصطفافهم اليوم، هم جزءٌ عضوي لا يتجزأ من هذا الشعب، فقد أثبت الجولانيون ذلك من خلال تاريخ نضالهم الطويل ضد الاحتلال ومشاريعه، ومن خلال تمسكهم بهويتهم السورية وانتمائهم الوطني، وأكدوا على الدوام أنه لا يمكن لهم الانفصال عن عمقهم السوري وعن شعبهم مهما تباينت المواقف الراهنة ومهما حاول النظام حشو عقول البعض منهم تشبيحا ومهما عمل على إفساد مفهوم المواطنة من خلال تكريس ذاته بديلا عنها.

إن الاحتلال قد فشل في "أسرلة" الجولان والنظام فشل بدوره في "بعثنة" سوريي الأرض المحتلة (إلا ما ندر في الحالتين) والحديث عن دولة سورية مقاومة قادرة على تحرير الأرض لا يمكن أن يستقيم بغير أن تكون الدولة حرة ديمقراطية لجميع مواطنيها.

حـــزب البيئـــة الســـوري

■ رفيق حلو

سألني أحد الأصدقاء عن انتمائي السياسي، وكدت للوهلة الأولى أن أجيب بأنني مستقل، وهذا صحيح فيما يتعلق بسورية، ولكنني تذكرت أني من أنصار البيئة في فرنسا أو الخضر أو الأيكولوجيين. هنا خطر ببالي السؤال: هل من فائدة للدفاع عن البيئة في سورية؟ طبعا الجواب الأول الذي يخطر على البال: ألا ترى كيف يموت الإنسان وبدل كل ساعة؟ هل هذا هو الوقت المناسب للحديث عن البيئة؟ دعنا نحرر الإنسان أولا.

بعد قليل من التفكير وجدت أن الموضوع يستحق على الأقل، التوقف عنده بشيء من التأمل.

لن أتكلم عن قضية النفايات النووية في الساحل السوري، لا بد أن الأيام ستكشف لنا حقيقتها وفداحتها، وقد تكون أفظع جرائم نظام الأسد الأب. لن أجازف بالربط بين حقيقة أن حمص هي أكثر المدن السورية تلوثا وكونها أكثر المدن انخراطا بالثورة.

لن أتكلم باسم الرفق بالحيوانات، وهنها أصدقاؤنا الحمير، وقد صارت أداة لتدريب جيشنا.

لكني سأناقش بعض الأفكار العامة لمسألة البيئة في سورية وعلاقة هذه المسألة بالثورة.

إليكم بعض الأفكار المبعثرة، لقرون سريعا من خلالها، أن كل ما يتعلق بمشاكل البيئة يتعلق بالنظام، وأن كل محاولة للعناية بالبيئة ستصطدم بالنظام وستتطلب تغييره الجذري.

جهلنا بمشكلة البيئة لا يعني أنها ليست موجودة، ففي ظل الإعلام المفبرك تغيب الإحصائيات الدقيقة والأمينة عن نتائج التلوث، كزيادة عدد الوفيات بالسرطان أو ارتفاع نسبة أمراض الصدر أو التسمم الغذائي... الخ

ظاهرة انتشار الجراثيم المقاومة للمضادات الحيوية، كالكريات العنقودية والعصيات الزرق، في مستشفيات لا تقوم بعمليات معقدة، هو دليل واضح على غياب سياسة طبية عامة وقائية صارمة ترتكز على الرقابة والتوعية.

منذ سنتين أو ثلاث، تم سحب مئات الآلاف من الألعاب الصينية الصنع من الأسواق الأوروبية والأميركية بسبب احتوائها على مادة الميلانين المسرطنة. هل يضمن أحد أن هذه الألعاب لم تجد طريقها إلى أطفال سورية؟ في حال وجود لجنة قادرة على كشف ومتابعة هذه المادة في السلع المستوردة، هل يضمن أحد ألا يتقاسم أعضاء من اللجنة الأرباح مع المستورد وتدخل البضاعة؟

تبقى ظاهرة التصحر وأختها ظاهرة الجفاف واضحتين للعيان ولا حاجة لإحصائيات لكشفها.

في بلد تنقصه المياه، تهدر المياه في ري حدائق الفيلات وملء المسابح الخاصة التي انتشرت بشكل كبير وطبعا بدون دفع أي ضرائب عنها. في بلد زراعي في الأصل، أصبحت الأراضي مادة للمضاربة ولتبييض الأموال، فنتج عن ذلك إقصاء الفلاح عن أرضه في أماكن كثيرة، إذ لم يعد الاستثمار هو الهدف الأول من شراء الأراضي.

أيضا لا يحتاج الزائر لمدينة مثل حلب لدراسة معمقة لاكتشاف التلوث الذي أصاب هذه المدينة. أما الضوضاء فهي أيضا نوع من أنواع التلوث لا يقل خطرا على صحة الإنسان والحيوان. الأمر نفسه بالنسبة للماء. لقد صارت الأمراض المعوية شبحا حتميا لمن يزور مطاعم القطر أو يشرب مائه.

للسلحفاة الدور الأول في نشر نموذج الاستهلاك الأعمى، من خلال المثال الذي يقدمه رجالاتها والمرتبطين بهم، وأيضا من خلال محاربة الفكر الحر والناقد، وتمييع قيم المجتمع. هذا الاستهلاك المفرط هو بالضبط ما يحاربه أنصار البيئة.

أنصار البيئة لا يمكنهم القبول بتحويل خيرات البلد من التنمية إلى التسليح، وخاصة إذا كان تسليحا لقوى القمع.

الطبقة الفاسدة تذهلنا بقدرتها على البذخ وهدر الموارد، إذ يتسابق أفرادها في إبراز مظاهر الترف وفي المقابل لا يخطر ببال أحد منهم أن يقدم قرشا واحدا من أجل البيئة.

لا فائدة من أي قانون أو مرسوم من أجل البيئة يصدر عن هذا النظام، ما دامت الرشوة تمكنك من الالتفاف على أي عائق قانوني.

يصعب عليك احترام المكان الذي لا يحترمك ولا يمكن نشر ثقافة احترام البيئة إلا مع احترام حقوق الفرد. إذ لا يمكن مطالبة الفرد بواجباته تجاه البيئة بينما حقوقه الأساسية تسلب كل يوم. وحده المواطن الحر يمكن أن يصغي ومن ثم يشارك بالنقاش حول البيئة.

مشكلة البيئة هي عادة من حصة الدول المتقدمة صناعيا. من أهم معجزات هذا النظام أنه نجح في إثلاف البيئة بدون أن يقيم أي صناعة حقيقية.

لنطرح الآن السؤال بشكل معاكس، ماذا يمكن أن يقدمه أنصار البيئة للثورة وللوطن؟

يعتقد أنصار البيئة أنه على المدى المتوسط والطويل، نموذج التنمية الذين يقدمونه، هو الأقل كلفة، وبالتالي هو الأسرع والأضمن كي يصل بلد محدود الموارد إلى مكانة مناسبة بين الدول الصاعدة.

تعتبر مفاهيم أنصار البيئة مثل: إعادة الاستعمال والتنمية المستدامة ومبدأ المسؤولية أي من يلوث يدفع(1)، تعتبر هذه المفاهيم من أنجع الحلول لدول محدودة الموارد لتنطلق من جديد.

لا يعنى أنصار البيئة فقط بالبيئة، فلقد فهموا ومنذ زمن بعيد ترابط القضايا وصارت الأولويات الثلاث لحزب البيئة الأوروبي وهو تجمع أحزاب وطنية ايكولوجية: الدفاع عن البيئة، حقوق الإنسان، السلم العالمي.

هم تخلوا أيضا عن طوباويتهم أو روعانسيتهم وصاروا يطرحون برنامج متكامل لإدارة البلاد والخروج من الأزمة الاقتصادية. بل أن لقسم منهم تصور كامل لمجتمع مختلف تماما عن الرأسمالية والشيوعية وهو الاقتصاد التوزيعي(2).

منذ البدء، كان أوائل المدافعين عن البيئة معادين للاستعمار(3). ثم الدفاع عن الدول الفقيرة عن العالم الثالث والدعوة إلى إقامة علاقات جديدة بين الشمال والجنوب(4)، وحتى اليوم هم في فرنسا الأكثر دفاعا عن القضية الفلسطينية والدعوة إلى مقاطعة إسرائيل بسبب سياساتها. أما في داخل الأوطان فهم من أكثر المنخرطين في مقاومة العنصرية، في الدفاع عن اللاجئين لهم وعن مساواة المرأة والرجل والمطالبين برفع الحد الأدنى للأجور وبتحديد ساعات العمل.

ليست الايكولوجية هي نتاج غربي بحت ولم تنتظر القرن التاسع عشر كي تولد، أروع الأمثال الايكولوجية هي هندية المنشأ ومنها.

لا ترث الأرض عن أجدادنا، بل نستعيرها من أولادنا.

حين يقطع الإنسان آخر شجرة ويلوث آخر نقطة ماء ويقتل آخر حيوان ويصيد آخر سمكة، سيفهم عندها، أن المال شيئا لا يقيت.

موضوعياً، الدفاع عن البيئة هو هم مشترك وتوحيدي، إذ أنه يخترق الطوائف والأعراق والى حد ما الطبقات. ولو أن البيئة تبقى أقرب للفقراء منها للأغنياء، فالفقراء ملتصقون ببيئتهم مهما تلوثت ودمرت ويصعب عليهم تغييرها ببيئة أخرى إذ ليس عندهم أين يرحلون.

أبطال حماية البيئة في سورية هم للأسف أولئك الأطفال الفقراء الذين يقلبون القمامة ليخرجون منها ما يمكن إعادة استخدامه. هذا الجهد الذي لا يخلو من خطر المرض، يوازيه في الغرب صناعة هائلة تسمى الروسيكلاج.

طالما أذهلتني قصص الكبار عن كيفية الاستفادة من البقرة من جلدها إلى برازها الذي كان يستخدم للتدفئة. وطالما تأملت ذكاءين في حلب سخرت بكاملها لإعادة بيع أكياس الورق وقد أعيد ترتيبها وكأنها خرجت لتوها من مصنع الورق.

سقوط النظام ليس إلا مرحلة من مراحل إعادة بناء الإنسان السوري بعد عقود من التشويه، لا يمكن لهذه المهمة أن تنجز بدون إعادة بناء علاقته بالطبيعة.

لا أجد ما اختم مقالتي إلا بالتأكيد على فكرة بسيطة ما أشد اقتناعي بها: أعداء البيئة في هذا الوطن هم نفسهم أعداء الإنسان، وبناء عليه يمكن الجزم، أن حزب البيئة السوري، لو وجد اليوم، لكان موقعه الآن في قلب الثورة.

(1) Recyclage, developpement durable, polleur payeur

(2) (jaques duboin) (economie distributive)

(3) Elisée Reclus (1830 - 1905)

(4) René Dumont

سنة أولى ثورة

■ آية الأتاسي

سنة مرت على أول خفقة قلب ورعشة حرية، ما زلت أذكر أصابعي وهي ترتجف وتكتب لأول مرة كلمة حرية، كلمة كالسحر، كتبتها فأحسست بجسدي خفيفاً كالفراشة وبخدر لذيذ في أصابعي سرى حتى مجرى دموعي وطفى فوق بحيرة عيوني الراكدة. وكأن أربعين سنة ونيف كنت مخذله فيها باليأس والخوف، في انتظار هذه اللحظة، لحظة انعتاق الروح وانتزاع لاصق الاستبداد، الذي كمم أفواهنا وحبس أنفاسنا وأحصاها.

قبل عام.. بدأنا نحن جيل سنوات القمع، رويداً رويداً، نتعرف على أنفسنا من جديد ونسمع صوتنا لأول مرة يلامس السماء ولا ينكسر، بل يعاود الخروج واقتفاء الأثر في شيء أشبه بالإدمان ولذة الحب الأولى.

قبل عام.. بدأنا نبحث عن نحن في مرآة الآخر والآخر فينا.. لنكتشف أن غرباء صاروا لنا أصدقاء وأصدقاء تاهوا ولاذوا بالفرار.. وبدأ كل منا يحدد من جديد إحداثياته وخطوط تماسه بهذا الوطن. فعالم ما بعد الثورة لا يشبه ما قبلها بشيء، كل ما حولنا يدور على وقع الثورة وينبض بها، ومعها بدأت مرحلة إعادة النظر وترميم الانقاض في كل ما يتعلق بالحب والحياة، ومعنى الوطن والغربة. وبدأ الأصدقاء يتساقطون كأوراق الخريف الصفراء وبدأ آخرون يزهرون كبراعم الياسمين البيضاء، وكثيرون بقوا في المنطقة الغائمة، نتجاهلهم عن قصد ولا نراهم، حتى لا نضطر للاستماع لهم يوماً وخسارة ما بقي بيننا من مودة وصداقة..

البداية كانت جميلة تشبه بدايات قصص الحب والغرام، كل شيء كان بطعمة سورية خالصة، شجاعة شباب يواجهون الرصاص بصدور عارية ويهتفون سلمية.. سلمية، وأغاني تلف الشوارع والأرصفة وتصل القلب بلا استئذان.. رقص مع الموت واحتيال على الحياة موسيقا وطرباً.. رسوم كاريكاتوريه تعري بشاعة الجلاد وتخلد الضحية.. فيديوهات تهزأ من كذب النظام وألاعيبه وتبرهن أن الفكاهة فعل مقاومة وانتصار.. بهرتنا الثورة وأبناؤها وفاجأتنا هذا الإبداع الكامن وتلك المواهب المدفونة في أقبية الديكتاتورية وقبورها.. تصالحنا مع أنفسنا وتصالحنا مع سوريتنا وانتمائنا. ولأول مرة صار الإحساس بأننا سوريون مصدر فخر واعتزاز، فسورية عادت لنا ولم تعد ملكاً لآل الأسد، سوريه الأم عادت لتعطف على أولادها وتحميهم. وأبناؤها الذين تاهوا وتهجروا.. سجنوا أو هربوا.. أعياهم الرحيل وأعادتهم الثورة ملتاعين ونادمين على كل لحظة غضب من وطن أو عتب عليه..

وبدأت الثورة يوم بعد يوم تنضج وتتعرج، وبدأ النظام يفقد السيطرة عليها، فازداد عنفاً ووحشية وبدأت آلة القتل تهرس أجساد الثوار وتلتهم لحوم الصغار نيئة.. بدأ حمام الدم السوري يملأ المدن والشاشات.. دم يلتصق بوجوهنا وذاكرتنا ولا يغادرنا حتى في المنام، دم قاني لأطفال يتكومون بالآلاف على أبواب جنة، باتت تضج بهم وبالامهم. عائلات كاملة غادرت الحياة في عمليات إبادة جماعية لا تميز بين أم وأب وأطفال، ولا يغيب عن ذهني صورة الطفل الصغير المذبوح ومبده كمشة من شعر أمه، وقد تعلق به يبحث عن ملجأ أخير يلوذ به من سكين الجزار..

أفواج من الشهداء تعبر كل يوم السماء، الشهيد ووراثه الشهيد في سلسلة للموت لا تنقطع، الشهيد القادم يحمل نعش شهيد اليوم ويزفه على وعد اللقاء عند الله، حيث لا يموت الشهداء بل يحيون عند ربهم ويرزقون.. فيض للدم وفيض للحزن والألم.. وكأن لولادة الحلم الام مخاض وأوجاع علينا أن نعيشها لنصبح قادرين من جديد على الفرح والحياة..

جدران الخوف التي بنوها وعلو البنيان، سقطت ولن تعود.. ونحن لا نملك غير الاستمرار، فالثورة طريق باتجاه واحد أي لفته أو عودة للوراء هي محاولة انتحار. لا خيار أمامنا سوى الصمود والاستمرار رغم قسوة الحرية ومرارتها في كثير من الأحيان. فلو كان الخلاص سهل المنال لما سكت شعبنا كل هذه السنين على الظلم، وأجل فعل الثورة والاحتجاج مرات، لإدراكه بفداحة الخسائر وارتفاع كلفة الانعتاق من الطغيان!!!

ولن يستطيع هذا النظام مهما تفنن بالقتل والتشويه والإذلال، أن يعيد الثائرين لحظيرة الرضوخ والطاعة، فمن ذاق طعم الحرية مرة لن يتوب عنه يوماً، ومن عاش تجربة التظاهر لن يغادر الشارع أبداً.

سيتابع هذا الشعب العظيم ثورته وحيداً.. في عالم يتفرج على ذبحه اليومي، مكتفياً بالشجب والإدانة وبدون أية صحوة ضمير.. سيتابع يتيماً.. أمام تنكر كليرين له ولشرعية مطالبته بكرامته وحريته.. فثورته في عرفهم مؤامرة، وثواره عصابات مسلحة وإرهاب، وأرضه مجرد ساحة صراع. وكأنه محكوم علينا نحن من دون شعوب العالم بأسره أن نبقى عبيد للطغيان، وعرابين تقدم على مذابح المقاومات والتحالفات.

لقد تجاوزت هذه الثورة بعمر لا يتجاوز السنة، حدودها الضيقة وصارت أيقونة ورمز إنساني، ففيها تختزل كل آلام الشعوب ومعاناتها وبها تقاوم أبشع صور انتهاك كرامة الإنسان وآدميته.. فقد أصبحنا نحن السوريون، وبالإذن من الفلسطينيين، شعب الفاجعة والنكبة ونحن من سيفتح أبواب الخلاص، وعلى أجسادنا ستعبر شعوب هذه الأمة عتبة التحرر والانعتاق.

إنه عام مضى ولكنه عمر كامل، عشنا فيه الحياة بكل تناقضاتها وجنونها وجمالها، وتعلمنا أبجدية الحياة والموت والوطن.

وصار للمواطنة وجه أحمد البياسي رافعاً هويته في وجهنا وفاضحاً كذب النظام وادعاءاته

وصار للكرامة صوت محمد أحمد عبد الوهاب المختنق، وهو يعلن إنسانيته أمام حيوانية المستبد ووحشيته

وصار للأمل ابتسامة طفله حمصية صغيرة تلتقط دموع السماء لتروي ظمأ وطن

وصار لنا ثورة لم نخترعها، بل تخترعنا كل يوم من جديد..

عمل بعنوان حرية للفنان رامي عباس | فلسطين

باختصار.. وأنت الحكم

■ عايف التنكة

سماع مني هالكلمتين، وأنته الحكم ..

بتتذكر سيران يوم الجمعة؟ ولا طلعة الشباب بشي نهار صاحي وشمس دافية.

لما كان الكفو بيناتكن يتلمّض عسيرة اللحمة والمشاوي، وببلش اتصالات هون و هون من قبل كم يوم، لحتى يقنع أربع خمس شباب، يطلعو يشكو هالسياخ و يعملو سيران بشي بستان؟

بتتذكر أديش كان في شباب فئيسة؟ وكان في شباب كفوين لدرجة انو ما بتقول بدنا نطلع سيران إلا وبيقولوك فورا... "كفو".

والفئيسة بدك 20 تلفون لتقنعن انو يطلعو وشي جعبالو و شي مالو رابح؟!

أيه شو حلوة هالأيام.

وبتتذكري لما كانت الحجة تتوكل بهالموضوع؟

وتحاكي أخواتا الشباب و البنات، مشان يقنعوا نساوينن و رجالن بالسيران!

وكل وحدة كانت تعمل فيها زعامة و تدايز من الكنّة إذا ماجابت أكلاتها معها و طبلستها عالموجودين؟!

* * *

طيب ايمك من هالقصة، بتتذكر أديش كان بعذبك الصبي ليجيب غراض المكتب!

وانت كل يومين تلاتة بينبرى لسانك وانته عم تفهمو.... الورق مو لازم يخلص.. السكر والشاي والضيافة مو لازم تخلص... بكرا ان اجانا ضيف بدنا نضيفو شي شغلة منطلع بسواد الوش!

وهو أدن من طين و ادن من عجين، و كل موظفينك نايمين عالسيرة وما بيطلبوا منو شي، لحتى يتخوزق ويأكل الخنائة منك!

سنين و أيام ولا في شي تغير، انته بنفس الادارة والروتين وموظفينك بنفس السستم، لا عم بتحسنوا ولا عم يفهموا هالسستم كلو!

والأضي راضي بس ممتعض.. "يعني انته".

* * *

بتتذكر أديش كان بدك شغل لحتى تظبطي حفلة عيد ميلاد لبنتك وابنك؟

بتتذكر كم موظف كنت تدفعلن رواتب لحتى تتعهد مؤتمرات الشركات الي حواليك؟

بتتذكر بياع الورد الي كان يعجنلك الطاولات بانات ورد ويغب منك هديك الحسبة على كم بالون نفخلك ياهن و حطن بالسوكة بقاعة المؤتمر؟

بتتذكر أديش كان بكلفك أجار كم بفل و ضو عم يفتل وأديش كان بلبكك الزلمة الي بيجيبن؟

وآخر شي بيخورفك بأجرتهن وأنته ممتعض، بعد جهد جهيد؟

وإن طلع معلم وما خربط بشي، فبيكون كل شي بتمنو!

بتتذكر أديش دفعت لحدا مشان تنشر كم ورقة اعلان عن محل الشاورما تبعك؟

وانته راجع عبيتك شفت برات المدخل ملحوش 400 ورقة بالأراضي والزلمة عأساس متفق معك انو يحط عكل باب ورقة وحدة و الباقي عالسيارات؟

واحترق دمك عالكم ألف ليرة الي دفعتن بحق الورقات والتوزيع؟!

لأنو ما شتغلولك ياهن بذمة و ضمير مع انهن أبضو متل ما بدن!

اديش كانت تاخد معك القصة تلفونات و روحة و جية... مصمم.. مطبعة.. شركة توزيع.. الخ!

شي بيوجع الراس.. وآخر شي النتيجة ولا شي... كم تلفون مباركة و كم تلفون بهدلة على بحتت الورق بسفل البناية.

* * *

بتتذكر جارك؟

الي هلك مخك وهو عم بزورك ليل نهار، كل ما بتتفركش فيه عالدرجات بالبناية، بتقلو مرحبا.. يا بيرد بنتورة يا ما بيرد و بيعمل حالو عم بعد البلاطات عطريق المدخل!

بتتذكر أديشو لليم هالجار؟

بتتذكر حالك اديش كنت بس تفوت عالبيت تسبو بألبك... منلا جار!

يالطيف على هالقصة شو صايرة معنا!!

* * *

طيب بتتذكر ايمتا اخر مرة طلعت معك واحد ملهوف بالسيارة؟!

عطريك... مو عطريك... المهم طلعتو و وصلتو لأقرب مكان بيفيدو!

ممكن تكون كريم وألبك للخير و متعود على هالأصة.. وممكن بحياتك مو عاملها!

حاسس حالي فاتح مذكرات شخصية وعم اقرا منها!

* * *

حبيت حط هالشغلات كلها لحتى شوف بالمقابل أديش كان الروتين هالكنا ونحنا السبب أولا و الموروثات النظامية ثانيا، وكيف ممكن تكون انحلت هالقصص عند غير عالم!

هنن عالم منا و فينا، وبالغالب عم يقرأوا متلك متلن هالمقال وناطرين يفهمو شو الوضع وعن شو عم احكي.

شفتلي هالسيران المجأجئ الي تميت تظبط بسماه و تحكي تلفونات انته والحجة و كل العيلة مشان تطلعوه وآخر شي في كم واحد من العيلة فأسو؟

اليوم بالثورة، مابتصور صفيان عنا سيران أحلى و أمتع من مظاهرة، طيارة كانت ولا راكزة، خطرة كتير او خطرة شوي... المهم مظاهرة.

سنة كاملة و نحنا عم نطلع بأماكن متكررة كل يوم و يومين، لا منكل و لا منمل، منطلع منتنفس و منستنشق هوا الحرية و منحاول نرجع عبيوتنا كلنا سالمين!

دخلك، سيرانك أبو 15 زلمة 20 زلمة أديش كان ياخد معك؟ 10 تلفونات؟

مظاهرة 100 زلمة عم تاخد معنا تلفونين، والباقي عم يكون ملهوف و عم يدور عليها دوّارة لبروح هالسيران الرائع الخطر !

وبكلمتين صغار، كل واحد عم يجيب غراضو ويجي، من علام لورق لبخاخات ليفلات ان قدر.

واذا ما جبت شي، فخير وبركة، وجودكم يمتعنا و يفرحنا، وبلا غراض.

* * *

وشو رأيك انو اذا واحد آل لازمني أبرة و خيط، عشرة بينطو وبيئولوا تكرم عينك ؟

وإذا نقص الورق، عشرين بيأمنولوا الورق؟

وإذا خلصو الحبرات، يا بيتأمن الحبر فورا يا بيتغير الطبّيع؟!

أوتوماتيكي حبيبي، مابدها آل و ألنا.. كلو عألب واحد و هدف واحد... مافي لحش على بعض منوب عنا!

تلزيز المطبوعات و توزيعها متعة الشباب، بيمارسوها كهواية بعد المظاهرة او بوقت الفراغ، بعد ما كانت مهمة واحد معتر وشغلتو يشلف و يمشي، هلأ صارت بدها فن و ذوق و أخلاق.. مثلها مثل قيادة السيارة عأساس... بيختاروا المكان المناسب

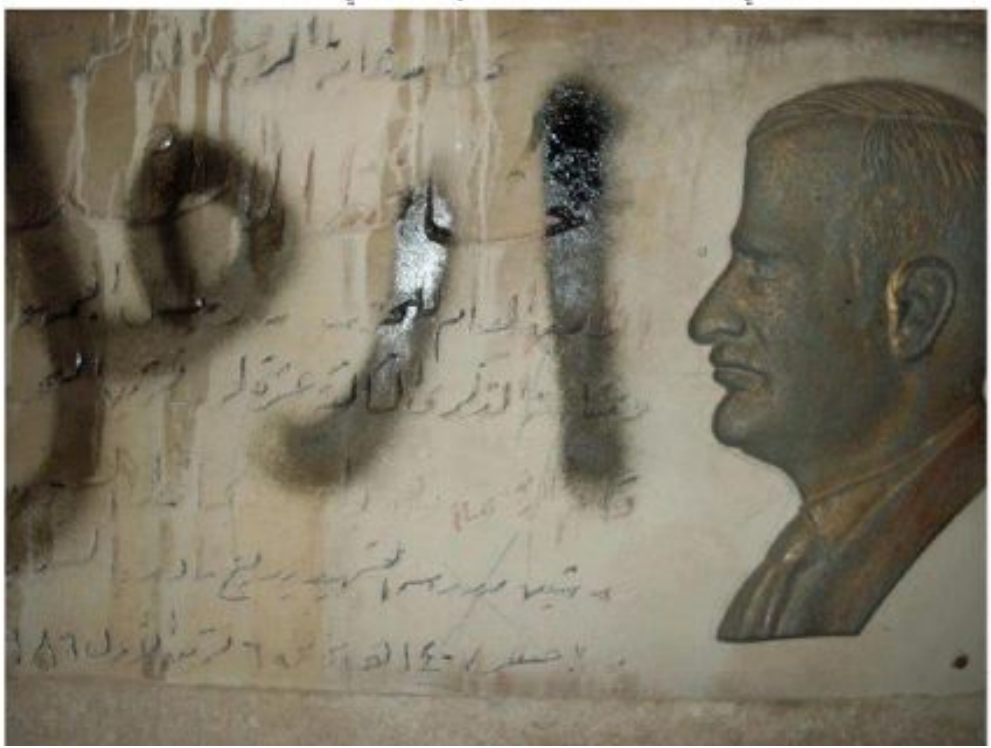

عمل للفنان أحمد سلمى | الشعب السوري الحر

والزمن المناسب والحيط المناسب.. وبيصورلك بلها مشان تشوف الأمانة و تشوف العمل و ياخد حقو والكل يعرف عنو.

والأجر عند الله.

لك حتى نسبة كبيرة من الجيران، حبو بعضن، عم بديرو بالن على بعضن أكتر، مو عالجار القريب.. عم احكي على جار البلد كلها، سمعت حكايات شي بيشيب الراس والله، لو قارها بكتاب لشي مؤلف مخضرم أو راوي عتيق، لكنت سكرت الرواية و قلت حاجة سلبة!

رغم الخطر والأسى والخراب الي ممكن يلحقن من ورا تخبية عالم كانت بمظاهرة و هربت و دقت بابن، في بيوت بتفتح بابها بكل شهامة لهالأبطال لتستقبلن ساعات لحتى يختفي حس الأمن و يتأمن الطريق!

في بيت رح اذكرو لأنو فعلاً تفاجئت فيهن وقتها، لما كانوا البنات هربانين من ضرب الرصاص بالمزة بدمشق، وفاتت وحدة عبناية و فات وراها كل مين شاف الأمان بهالباب، واجتمعوا أكتر من 70 سيدة و فتاة شي من الشرء و شي من الغرب ببيت انسانة استوعبهن عقلها و صدرها قبل بيتها، وضلوا عندا لتأمنت طلعتهن بعد وقف الرصاص!

هي مين بيتخيلها!

* * *

ماعلينا...

الشعب السوري خلق حياة جديدة، ولفظ ورفض كل موروثات النظام القديمة والمتأصلة بنفوس شعب هالبلد الي عم يرجع رائع.

رفض شعارات التلفزيون السخيفة الي كانت تطلع من بني آدم امكانياتو العقلية محدودة و تنسوق عمستوى الوطن، لحتى تكون هي الصح... من أسخف اعلان لتوفير الطاقة لأكبر حملة لتصويت على مصير شعب.

خلق تصاميم المقاطعة والممانعة الحقيقية، تصاميم بدهن سنين تبعات الدولة ليعملو شي منها وبدهن ألوف مؤلفة من الليرات لينفذوها.

قلب كل سلبيات النظام بايدو و ساواها ايجابيات بيستخدمها لتوضيح سخافة العقول المستعمرة للبلد، فضح هزالة تخطيطن، واستبدلها بمناهج تعليم ثورة، ماعندي شك انها رح تكون مراجع للشعوب الأخرى عربية و أجنبية لأن ثورتنا أصعب و أخطر ثورة ممكن يتخيلها عقل بشري.

* * *

لما بواجه شباب طموح و مشهود الو بالذكاء عالمياً، دهاء و خبث حاكم متمكن و قالب البلد مزرعة و عم يعلف فيها ناس بيعاملهن معاملة العبيد، وعاطيهن صلاحيات متل ما بدو هو لحتى يضمن بقائو لحالو، و أخد رضى الشرق والغرب والشمال والجنوب وماحدا عندوا استعداد يترك واحد مركع شعبو و عم يعمل متل ما بدهن بأسلوبو!

اتضح يا أخي ويا أختي و يا أحبائي وبالأدلة والبرهان في ما لا يدع للشك مكان

أن بناء المجتمع لايحتاج لدولة مهترئة بتمنن شعبها بكل واجب بتعملو من مد بورية المجاري لتخفيض قيمة خط الانترنت، ولا يحتاج إلى معهد ديني هدفو الحد من قوة الدين شو ماكان، ولا يحتاج إلى عالم زاهد ضايعة طاستو لحتى يضيع طاسة الشباب الي عم يسمعوه بسيرو المعسولة البعيدة عن الواقع، بدال ما يحكيلن عن طريقة بناء مجتمعو بيقضي شهور وهو عم يحكيلن عن طرق فك السحر مثلاً.

اتضح انو الشعب الي (تمّلص) من دورو و عطاه لغيرو، هو الشعب الي لازم يستلم الريادة والدفة شيت الشّختورة الكبيرة.

شختورتنا... بلدنا الي عايش بعاصفة البعث عشرات السنين، بدو يستقر..

حالة عدم الاستقرار بدأت من أربعين سنة منو من 15 آذار الماضي، حالة إعادة الإستقرار هي الي بدأت ب 15 آذار 2011

وبلا لجنة لدراسة هالحال بدأنا و تجمعنا و شتغلنا و رح نضل نشتغل عقلب واحد وروح وحدة و هدف واحد فقط.

انا مالي من الي كامشين سيرة المدنية والديمقراطية والتعددية.. انا عندي هدف أسمى و أنبل و أنفع النا كلنا.

بدنا بلد المجتمع فيه صحيان، بلد المجتمع المتفوق، على نفسو و على غيرو.

بلد تلتغي من معاجمها كلمة "مادخلني" وكلمة " شو دخلنا" هالكلمتين بدهن حرق، ادام جموع المحتفلين بالنصر بإذن الله بساحات الوطن كلها.

أنا فلسطيني سوري

■ إياد حياتله

أنا فلسطيني سوري، مش فلسطيني مقيم أو عايش بسوريا.

أنا فلسطيني سوري، بتعرفوا ليش؟ مش لأنّو جدّ جدّ جدّي إجا من "حيتل" اللي هيّ بالجولان المحتل "عالشجرة" بفلسطين، واللي أنا متأكد إنّو تلات ترباعكو ويمكن أكثر من نص عيلتنا مش سمعانين بحيتل اللي هي بمنطقة الزويّة بين حوران والجولان.

لأ القصّة مش هيك، القصّة إنّو أنا انولدت بسوريا وشربت من ميّتها وشمّيت هواها وكبرت فيها وأكلت من خيرها وتعلمت بمدارسها وجامعاتها واشتغلت على أرضها وأعطيتها من جهدي وعرقي ودمّي كمان، ولمّا تزوجت جبت موافقات التجنيد والمختار وغيره وغيراتو مثلي مثل كل السوريين والفلسطينيين السوريين اللي بييجوا حوالي النص مليون، واللي موزّعين عالمخيّمات والمدن والقرى السوريّة، والله أعلم يمكن فش ولا قرية بسوريا ما مرق أو اشتغل أو عاش فيها حدا فلسطيني.

أنا اللي ياما وقفت على أبواب المؤسسات الإستهلاكية وطوابير الأفران وتذمّرت وتأففت من جيّة واحد عسكري أو مخابرات شايف حالو بفردو اللي على جنبو وبدّو يوقف بالأوّل، بس كنت أضلني ماكل هوا وساكت مثلي مثلكو بالزبط.

ولكو أنا اللي حفيّت إجري وأنا أركض ورا الباصات والسرافيس بالبرد والشوب وأنا داير على أبواب الدوائر الحكومية لحتّى أمشّي معاملاتي القانونية والكاملة ومع هيك كنت أدفع إكراميّات وحق سكاكر وفناجين قهوة ما فتّح ورزق وأنا مبسوط وعم بتضحّك كمان.

بهاي البلد حضرت مسرح وسينما وحفلات وأمسيات شعرية كنت أروح عليها وأنا فرحان من كل قلبي بدون ما حدا يغصبني، وكمان بهاي البلد طلعت مسيرات تأييد عفويّة من اللي بالي بالكو بدون ما حدا - يغصبني - كمان.

أنا اللي مثلي مثل كل السوريين كنت أفرط من الضحك عالكوميديا وخفّة الدم السورية الحلوة، وأنبسط وأزهزه عالمسلسلات الشاميّة والحلبيّة، وأطير من الفخر لمّا أشوف دراما سوريّة بتحكي عن فلسطين مثل التغريبة اللي خلتني أكتشف أدّيش إحنا بنشبه بعض وهمّنا وحلمنا واحد، بس كمان كانت تقلب معدتي وأتمغص لمّا أتجبر أتحمّل زناخة كتير من الممثلين والمطربين اللي إندحشوا دخش بهالشغلة عن طريق الوسايط والمحسوبيات واللي هنّي أصلا فاضيين من جوّا ومن برّا.

أنا اللي انتخمت من الجزمز وطباخ روحو وحرّاء إصبعو وأبو شلهوب وفتّة المكدوس والأبوات والحفاتي والمئادم، والراحة الدرعاوية والبرغل والمليحي والجعدة، والمناسف واللزّاقيات وتفّاح السويدا وعنبها الجبلي وزبيبها وقطينها، والبشمينة والقرمشلية والخبزيّة والسمسمية والمغطوطة والقريشة والشنكليش واللبن الحمصي الشايط، والباطرج والسلبين وحلاوة الجبن وعش البلبل وبوظة السلورة، والمامونيّة وكباب البانجان وكبب وكرابيج حلب، والجزريّة والعطون والسوركي والشنكليش والسمكة الحرّة والهندبة والخبيزة واللوف والهبّول وبردقان وكريفون وبوملي طرطوس، وبلح وزيتون تدمر، وسمنة الدير العربية.

أنا اللي نسّبوني للطلائع والشبيبة أيّام المدرسة، وبحياتي ما بنسى أستاذ القوميّة لمّا كان يتعب حالو وهو يحكيلنا كيف إنّو فلسطين هي قضيّة العرب المركزية وإسرائيل هي عدوّتنا والشعب العربي واحد، مع إنّي أنا ورفقاتي الفلسطينيين والسوريين كنّا عارفين هالحكي من بيت أبونا ورضعانينو مع حليب إمّهاتنا.

أنا اللي خدمت عسكريتي بجيش التحرير، وعملت دورات بالجيش السوري، واختلط دمّي بدم أخوي السوري بمرصد جبل الشيخ وعلى شط بحرة طبريا، وبجنوب لبنان والبقاع وبيروت، إنا اللي حميت برشّاشي الفدائي السوري اللي كان متطوّع معاي بالفدائيّة، وهو اللي فداني بدمّو بأكثر من معركة وعمليّة، وكان قبلها فتح لي بيتو بعد النكبة وأعطاني أرضو بالستينات لأعمل عليها أوّل معسكرات لتدريب الفدائيّة بحمّورية والهامة.

أنا اللي نص رفقاتي سوريين بينحطّوا عالجرح بيطيب ومن كل الملل والبلاد، ومن وراهم عرفت هاي البلد شبر شبر، حورانها وساحلها وسهولها وجبالها وباديتها وجزيرتها وياما عزموني على أعراسهم ومسكت معاهم بالدبكة جنب الصبايا والشباب، وياما هنّي إجوا عزّوني لمّا كان يموت إلي حدا، أصحابي وحبايب قلبي اللي علّموني شرب المتّة وأنا اللي خلّيتهم يتعوّدوا عالشاي بالميرمية وعكلمة بابا ويمّا وخيّا وذيتا.

أنا فلسطيني سوري، واللي بهالبلد مثل ما للسوريين بالزبط لا أكثر ولا أقل، ولا حدا يقول لي لأنّي واقف مع الثورة إنت ضيف لازم تكون مؤدّب، لأنّي رح أكون مؤدّب فعلا وأقول له: ضيف يخلع رقبتك، وللا بدّك إياني أصير بنحبّكجي - إحنا الفلسطينية بنقول بنحبّك مش منحبّك - لحتّى ترضى عليّ وأصير من أهل البلد، طيّب مهو أنا من إهل البلد ووافف مع البلد وأهل البلد.

أنا فلسطيني سوري من حمص والشام ودرعا واللاذقية والحسكة، رضعت حب فلسطين من لمّا كنت باللفّة وحملتها بقلبي، وهلأ حطّيت جنبها سوريّا كمان، فلا حدا يزاود عليّ ويقول لي مقاومة وممانعة وهذا النظام بدّو يحرّر لي فلسطين لأنّي رايح أقول له إنا خمسين سنة عم نسمع النغمة، بعدين لا أنا ولا كل واحد حر مثلي بدنا فلسطين تتحرّر على حساب أطفال سوريا وشعبها اللي هنّي أصل المقاومة والممانعة وإن شالله بنحرّرها سوا بعد ما نحرّر سوريا، كمان لا حدا يحكي لي إنّه هاي مؤامرة ومش ثورتنا وإحنا لازم ما نتدخّل ولا ننسى اللي صار فينا بالكويت وبالعراق وأبصر وين، لأ يا سيدي طيّب ما إحنا طول عمرنا مشحّرين معتّرين وعايفين التنكة، فخلينا نتشحّر عالمليان أحسن ما نضل مشحّرين عالفاضي، بعدين هذا شعبنا وهاي ثورتنا وأنا كثير متطمّن إنّه مش رايح يصير علينا إشي أكثر من اللي صاير هلأ بعد النصر، والضمان بعرفه وشايفه بعيوني وهو أهلنا السوريين اللي بينشربوا مع المي العكرة واللي تناسبنا وتصاهرنا إحنا وإياهن وصرنا عمّك خالك وعشنا سوا عالحلوة والمرّة، كمان تنساش الضمان الأقوى والأكبر، قصدي دم الشهدا، دم حمزة الخطيب وغياث مطر وحمزة بكور اللي اختلط بدم الشهدا الفلسطينيين بمخيّمات درعا والرمل وحمص واليرموك ودوما وكفرسوسة، وتل الزعتر كمان.

أنا من هون، واللي مش مصدّق بيجي لأورجيه البيت اللي ولدت فيه بمخيم حمص واللي بعيد أقل من كيلو متر عن بابا عمرو، كمان بورجيه قبور أبوي وأخوي وجدّي وستّي بمخيم اليرموك بالشام، وقبور قرايبي الكثار بدرعا وحماه وحلب وحمص وإدلب واللاذقية، اللي عضامهم صارت مكاحل هون ولحمهم أكله دود سوريّا مش دود فلسطين.

المهم أنا فلسطيني سوري ومش فلسطيني ساكن بسوريا ولمّا أرجع عبلادي بعد ما نحرّرها بإذن الله مش رايح أبيع بيتي اللي بالمخيّم، بتعرفوا ليش؟ مش فشخرة ولا عشان اجي أصيّف أو أشتّي فيه، بس ببساطة لأنّو روحي وأرواح كل أهلي ساكنة هون، وليل نهار عم تهتف:

واحد واحد واحد.. فلسطيني وسوري واحد.

جهـــاز التحكـــم

■ جمال داوود

كانت جدتي "الحموية" ترددُ دائماً هذه العبارة

"من ثاني يوم هربوا كلهن من حماة.. لا ضل اخوان ولا ضل سلبند"

وروت لنا شهادتها عن أحداث حماة 82 عندما جاء الجيش إلى منزل عائلتهم واقتاد أبناء أختها أربعة شباب بعمر الورد.. اقتادوهم بحجة حمايتهم من الإخوان.. وإلى الآن لم يرجعوا

قال لنا أحد الضباط المقربين من عائلتنا.. أنه بعد ساعة وضعوا جميع أبناء الحارة على الجدار، معصوبي الأعين.. وقتلوا الجميع.. كذلك فعلوا في الحارات الأخرى

"ماتت أم الأولاد حسرة وهي تردد: "عندي شعور أنن عايشين

خلال هذا المشهد كان الاخوان يراقبون من خلف الستار..

كعادتهم!!

***

فيلم جنازة باسل

.. كنت ألعب في الحارة عندما وصلنا نبأ وفاة باسل الأسد بحادث سيارة

لم يتغيّر شيء.. لم يحزن أحد من حولي

فقط اقترب أبو سليم ذلك الغريب الذي يجلس دائماً في حارتنا.. اقترب من جارتنا وقال له: مزبوطة؟

رد جارنا: مزبوطة.. الله يجيرنا

كانت الأمور تجري عادية في حارتنا إلى أن نزل الأمن إلى الشوارع وأمر المحلات بالإغلاق فوراً.. ثم

توقف إرسال القناة الأولى وبدأوا ببث آيات من القرآن.. هنا بدأ الجميع يشعر بالحزن.. على توقف الإرسال وقطع الأرزاق!!

وازداد الشعور بالحزن والملل عند المساء.. تجمع أهل البناء في المدخل؟؟؟ ما الحل؟ لا أعمال ولا تلفزيون؟!

لا"سيارين" مسموحة.. ولا معنى من النزول للشوارع الخالية إلا من الأمن ومظاهر النفاق

تجمعوا وكأنهم في ملجأ ساعة الغارة

الكل في حالة اعتراض من إغلاق المحال التجارية وإعلان حالة الحداد لثلاثة أيام

يعرف وين ساكن صاحب محل الفيديو.. صاح أحد شباب الحارة

هلع الجميع لبيت صاحب محل الأفلام الذي استغل الموقف وأجرنا الفيلم بخمسة أضعاف أجرته الأصلية.. متذرعاً بالمخاطرة لفتح الدكان ليلا وجلب الأفلام التي نريد مشاهدتها..

أتذكر أن أجرة فيلم الفيديو وصلت ل 150 ليرة

إلا أن الجميع كان مستعداً أن يدفع أكثر من هذا المبلغ.. فداءً لموكب المنافقين الذي احتل التلفاز حينها!!

***

ستي ستي.. مات باسل

أي وشو أعملو.. أبو ملعون!!

***

وفاة حافظ الأسد

كنت أدرس بغرفتي استعداداً لامتحان اللغة الفرنسية.. امتحانات البكالوريا العلمي عام 2000

لتدخل علي وتقول..

"خلص قوم ما في لا فحص ولا سلبند"

لا مستحيل

"قوم مات حافظ "

!!مات!!

نهضت بسرعة نحو "التلفزيون"..

وكانت الدموع تغمر عيني لشدة فرحتي لتأجيل الامتحان

تأجل الامتحان عشرة أيام.. درست خلالها مادة القومية أيضاً.. وعلم الأحياء

وفوتت مشهد الجنازة.. مجدداً

كان لدينا "دش" في وقتها.. لم نشعر بالملل.. كل الحارة لم تشعر بالملل!!

إنها صدمة كبيرة أن يموت حافظ الأسد.. إلى أين تتجه البلد؟

عبارات نارية من حولنا.. ابتهالاً أم حزناً أم إنقلاب؟؟ لا أحد من حارتنا يعلم.. ولا أحد من حارتنا يريد أن يعلم

شعب مبيت.. توقعت أنهم أخيراً سينهضون لاستعادة جهاز التحكم

كنا كأننا في حلم.. لم نستوعب تلك الجلسة البرلمانية المفبركة.. لاستلام بشار الأسد الحكم.. كيف تم الأمر بتلك الأريحية.. كيف وافقت الجنرالات الحربية على أن يحكمها شاب في الثلاثين من عمره ليس لديه نصف خبرتهم.. أليست هذه جمهورية؟!!

عرفنا بعدها أن هناك ضباطاً لم يوافقوا.. ماتوا منتحرين بطلقتين في الرأس!!

نحنا ما دلخنا

غيّر المحطة..

وتغيير الدستور في ربع ساعة.. وتغير قائد البلد.. في جلسة

ونحن كل ما فعلناه أننا غيرنا المحطة

كل ما نريده الآن.. هو محطة فضائية لا تعلن الحداد.. حتى ننجو بأنفسنا

هل يعقل أن أحداً يصدق أن حافظ الأسد رئيس شعبي؟؟

غالبية الشعب حتى لم تغيير في نمط حياتها..

لقد تعودنا هذا النمط.. ذلك لا يعني أننا نحبه أو نحب ابنه

أصبحت شدة الخوف بعد 30 عام تعني لكم حباً.. ربما هو السكوت والقناعة واللامبالاة.. أو ربما هي رغبة في التصديق أن لدينا قائد محبوب..

استمر الحديث أياماً وأيام عن مروان شيخو.. كيف بكى ونافق على شاشة القناة الأولى.. أصبح الرجل أسطورة بالنفاق.. اسألوا أي شاب من جيلي وهافوق كيف بكى مروان شيخو.. وبالك.. لا أحد ينسى

وكيف بكى البوطي أيضاً..

إلى عام 2009 أسمع ناس في حارتنا تردد هذه العبارة: هادا البوطي كذاب.. ما شفتو كيف بكي على حافظ!!

الغريب أنهم مع كل هذا.. لم يصدر منهم أي ردة فعل.. حتى محاولة للخروج في الشارع.. لرؤية الجنازة!!

لقد شغلهم حافظ بما هو أهم.. لقمة عيشهم ومستقبلهم المشوش والخوف..

***

قالت جدتي في موت حافظ واستلام بشار للسلطة: أبو ملعون

***

عام 2000 أيضاً

في معسكر الانتاجي.. في قرية خان أرنبة

أمرونا بالوقوف في طابور واحد

لم يسألوا أحد ما رأيه؟؟؟ كيف سيصوت؟؟ نعم أم لا للرئيس الجديد

بل كانت المنافسة على طريقة التصويت ومن يبالغ أكثر ويبتكر طرق خاصة بالاستعباد

"جلبوا لنا دبوساً مع علبة "سبيرتو

لنبصم له بالدم!!

كنت أنا ممثلاً لفرع دمشق من أصل خمسة شبان دمشقيين.. وعضو تنظيم في المعسكر.. لذلك

كان علي أن أبصم بالدم!!

المشكلة ليست فقط في أن الورقة توضع مكشوفة ولايمكن اختيار "لا" إلا عن رغبة

بالانتحار.. أنا أيضاً أكره وخزة الدبوس!!

بعض الفتيات أخرجوا طلاء أحمر أو قلم حبر أحمر..

وبصموا له!

أنا ادعيت أني أنظم الصفوف!!

ألم أعد أذكر هل بصمت بأحمر الشفاه أم نفدت بجلدي.. لا يهم.. صوت واحد لن يوقف هذه المازوخية الجماعية.. لربما أكون أنا من الـ 1 ٪.. الذين بصموا بأحمر الشفاه!

كان مطرب المعسكر يغني أغنية لجورج وسوف.. جاء فيها

رحل البطل والشمس غابت على بلاد
رحل الأسد والدنيا وقفت له حداد

مثلو ما في ولا تولد.. ويلي عليه المعتمد.. بشار حافظ الأسد

بعد المعسكر منعت فوراً.. وسحب الشريط من الأسواق!!

خلال الثورة أعادوا تحميلها على الانترنت بكثرة.. ربما يريدون تذكيرنا بعبارة

"مثلو ما في ولا تولد"

هذه الأغنية إساءة لتاريخ هذا البلد.. لكن جورج وسوف لم يتأثر

استمر بشرب الحشيش.. والغناء لمن يخرجه من السجن!!

***

في عام 2007.. وزعوا علينا بطاقات "دفاتر" انتخابية

لنقول نعم

أحد المهتمين بتدسين وضعه الوظيفي اقترح علينا جمع الدفاتر معه أو أخذنا لأقرب مركز للتنخب..

أنا تحججت بأني لا أملك دفتر

جدتي قالت: أبو ملعون!!

***

رحلت جدتي قبل أن تبدأ الثورة السورية ضد آل الأسد..

وترى مذيع قناة الدنيا يخبرنا.. أنها ليست ثورة.. فتكذبه!!

***

مع بدء الثورة السورية..

كنت أعرف أن أهل حارتي لم يكونوا ليصدقوا شيء من تلفزيون الدنيا أو التلفزيون الرسمي.. هم ببساطة لا يصدقون تلك الترهات السياسية التي تبث في أخبارنا منذ أربعين سنة.. لا أحد يهتم من استقبل ومن ودع

ولا أحد منهم يهتم بما قام به الرفيق الأحمر.. ولا أحد يتابع ما دشنه محافظ تلك المحافظة النائية

الكل يعلم مستوى الخدمات وما معنى الحركة التصحيحية وما معنى الإصلاح في زمان حافظ الأسد ونجله مدعي الحداثة والتطوير..

الكل مقتنع أنه غير معني بما يقوله المذيع.. فهذا الكلام غير موجه له

لا أحد منهم يتابع برنامج حماة الديار ولا برنامج مع الفلاحين ولا مع الحرفيين ولا نشرة الأخبار المحلية..

لا أحد من تلك العوائل قد اختلف عليه شيء منذ عام 1970..

هذا الذي يخافونه حقاً.. يخافون أن يذكرهم أحد ما، أنهم معنيون بما جاء في نشرة الأخبار المحلية وأنهم أصبحوا أبطالها..

يخافون أن ينخفض مستوى الخوف واللامبالاة فيهم.. يخافون أن ينظروا إلى جثة حافظ الأسد.. يخافون أن يصدقوا.. أن حافظ الأسد مات..

وأن هذه البلد قد عادت..

وعليهم هم وحدهم.. تحمل مسؤوليتها!!!

أنا حر أكتب بلغة حرة دون تكلف أعبر عن أفكاري بدون قيود أو معوقات لغتي بسيطة وهدفي واضح كلمة حق تصل مباشرة لكل من يعيش معاناتي ويحلم نفس حلمي .. أنا مواطن سوري حر .. حبر حر: مساحة رأي تنشر بالتزامن على المواقع التالية:
سوريا فوق الجميع | كيريت | المدسة السورية | صفحة الشعب السوري عارف طريقه | صفحة حركة شباب 17 نيسان | راديو واحد
زائد واحد | مجلة سوريتنا | مجلة سوريا بدها حرية | صبايا وشباب المجتمع المدني

درعا البداية.. الذكرى السنوية

الخميس السابع عشر من آذار ٢٠١١.. يمشي رجل مع زوجته في احد أسواق درعا.

ويقول لها: ما بال الناس اليوم؟ انظري إلى وجوه الناس كيف تحمل الخيبة واليأس، وكأنهم ينتظرون سببا للبكاء أو الصراخ..!!

هذا الإحساس انتاب الكثير من أهالي درعا في ذلك الخميس، وكان هذا الرجل عم لأحد الأطفال المعتقلين قبل عدة أيام، وأب لآخر مطلوب بنفس التهمة، على اثر عبارة كتبت في احد مدارس البلدة تقول(الشعب يريد إسقاط النظام) وأخرى تقول (إجاك الدور يا دكتور)، وكان ذنب ابن أخيه أن اسمه كان مكتوب على حائط المدرسة، قريبا من العبارة، وبخط صغير لا يشبهها أبدا..

سرت في البلدة فرحة خفية وأحاديث سرية تتكهن وتتوقع هوية كاتب هذه العبارات وعلاقتها بما يحدث في ليبيا واليمن بعد أن أسقطت الثورات في مصر وتونس أنظمتهما، ورأى الناس بوعيها في الحي استنفار أجهزة الأمن، للمرة الأولى وترقبوا شيئا كبير وأعادوا الأحاديث عن دعوات للتظاهر تتناقلها مواقع الانترنت وما يسمى بالفيس بوك، الذي أطلق سراحه الرئيس قبل أيام، وكان الأمر لا يعنيهم، كان الحديث يدور عن (الشوام) وما سيفعلونه، وقليل من الأحاديث عن حادثة الحريقة، الذي أظهر رغبة خفية لدى الناس في التظاهر، كأشقائهم في البلدان العربية.

الرجل استقبل هذا الخبر بسخرية معهودة، نفس السخرية التي جابه بها أصدقاءه عندما قالوا له أن (الشوام) يحضروا شيئا ما في منتصف الشهر، سيبدأ بمظاهرات وقطع طرقات، وينطور للثورة، أما هو فكان يمضي يومه محاولا إخفاء ابنه المطلوب ومتابعة قضية أطفال الحي الذين تم تحويلهم إلى فرع السويداء بتهمة التحريض على التظاهر، نتيجة لنباهة المحققين وما تنقله عنه عبقريتهم من أن الطفل صاحب الاسم بجانب العبارة هو من كتب العبارة.

وهذا بدوره ذكر كل الأسماء التي يعرفها من أصدقاء وأقارب في التدقيق ليضعهم على قائمة المطلوبين لأخطر تهمة في ذلك الوقت، وهي تنظيم مظاهرة، علما بأن المحققين جالوا بهم على باتعين علب البيبسي ونفى الباتعون رؤيتهم قبل اليوم، وكان الرجل يحاول شرح الأمر بأن معظم هؤلاء الأطفال أميين لا يعرفون الكتابة، ولا يعرفون ما يجري في الحي المجاور فما بالك في بلد آخر.

وكان يشفق على صديقه الذي ذهب إلى دمشق ليشارك في المظاهرات الموعودة، وعاد بخفي حنين.

في يوم الخميس هذا سمع الناس عن محاولة الاعتصام في ساحة السرايا قبل يومين، التي حاول بعض المهندسين والمحامين والنشطاء تنظيمها وتفاجئوا بحشد امني غير معتاد يومها.

في ذلك اليوم سينتاقل الناس إشاعة مفادها أن مجموعة من شباب درعا تنوي القيام بالتظاهر يوم الجمعة، ولم تكن قضية الأطفال مذكورة في هذه الدعوات، كان الحديث يدور عن الثورات التي اشتعلت في أكثر من بلد عربي.

يتبع الحديث بالضرورة ذكر أولاد الأبازيد المعتقلين، الذين أصبحت قصتهم على كل لسان.

وسرت دعوة بين الناس لا يُعرف مصدرها لصلاة يوم الجمعة في مسجد الحمزة والعباس، والمسجد العمري، ومسجد المحطة، لان الانطلاقة ستكون من احدها، تلقف الكثير من الشباب الدعوة وأخذوا بدورهم يتحدثون عنها دون معرفة أساس الإشاعة، والكثير من الناس اضمر في نفسه الذهاب، حتى ممن لم يعتد حضور صلاة الجمعة، ودخلت المدينة وأهلها في حالة ترقب سرية، لا أحد يستطيع البوح بها إلا تلميحا، كسؤال: أقولتلك بصير شي عنا متل مصر وتونس) والجواب بتراوح بين الا أدري، والأن شاء الله، حسب مقدار الثقة بالسائل.

وفي مكان ما من مدينة درعا كانت مجموعة من الشباب قد وضعت يوم غد الجمعة كأول يوم في الثورة السورية، بعد جولات قاموا بها في المدينة، تأكدوا أن الأرض متعطشة لأول هتاف، وبدأوا بتقسيم المهام، خططوا لأشياء كثيرة، وبتفاصيل كثيرة، وغاب عنهم وضع سيناريو الهروب في حال الفشل، لأنهم كانوا على يقين، بنجاح خطوتهم.

في مساء الخميس يكتب شاب معلقاً على الفيس بوك: ادرعا ستقاتح العالم قريباً!

ويهمس آخر لأصدقائه أثناء جلسة للعب الورق: سمعتوا شي عن بكرة؟!!!

قال احدهم: أصدقاء لأخي دعوه للصلاة في جامع الحمزة والعباس، بدهم يعملوا ثورة الشباب.

يجيب آخر بحيادية: (يلحسوا طي..ي)

وعلى هاتف ما:

شو أخبار طبدتكم.. سمعنا أمك شادة حيلها هالمرة!!!

الطبخة ناقصها بصلة وشوف الدموع بعدين، ضروري نشرفونا عالغدا بعد الصلاة.

.....

في درعا كان شيء ما يطبخ في السر وفي العلن، كما في كل مدن سوريا

شيء لا علاقة له باعتقال الأطفال، وربما كان اعتقالهم احد تداعيات هذا الأمر

ولا علاقة له بحادثة الحريقة

ولا علاقة له باعتصام وزارة الداخلية

ولا علاقة له بمظاهرة الحميدية

ولا علاقة له بالفيس بوك إلا عبر قلة من المجموعات السرية، تربط شباب الداخل بأصدقائهم في الخارج.

لكنه على علاقة وثيقة بما يجري في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين.

لم يكن الأطفال قد خرجوا من معتقلهم عند بدء الاحتجاج، ليقال أن السبب هو تعذيبهم أو اقتلاع أظافرهم، وكان الخبر الوحيد عنهم أنهم في طريقهم لدمشق.

ولم يسمع احد يومها عن أي وجهاء قد قابلوا عاطف نجيب، ليخرج علينا من يقول انه أعانهم وبهذا قامت الاحتجاجات.

الهتافات في اليوم الأول لم تذكر الأطفال، كانوا يهتفون لسوريا وللحرية وطلبا للإصلاح.

وفي درعا واجه الشباب الرصاص بصدورهم العارية في مشهد هو الأول من نوعه في سوريا.

شهد يوم الجمعة أحداث يستطيع أي منا بنظرة قريبة أن يرى أن هؤلاء الناس خرجوا بدون نية للعودة، وأن ما فعله المتظاهرون يومها من حرق لسيارات الأمن وقطع الطريق عليها وضرب المحافظ وطرد كل من له علاقة بالأمن، وما جرى من حرق للمحكمة ومبنى السيرتيل، ومحاولات للوصول إلى المحطة باعتبارها المركز، يظهر لنا مقدار التأهب والغضب الذي يعتمل في صدور الناس، وأن هناك من يفقه فيما يسمى في المقاومة المدنية، كان المشهد رهيبا، وكان إيذاعيا في هتافاته، وتصرفات شبابه، كان البعض مذهولا غير مصدق، وكان البعض سعيدا يبحث عمن يعانقه بين الحشود، وكان احدهم يتصل بأصدقائه في الخارج ليسمعهم الهتاف، كان هذا قبل أول رصاصة..!!

سمع الناس عن تعزيزات تأتي من دمشق بطائرات إلى المعلب البلدي، بعضهم توجس وبعضهم هتف متجديا النظام ورجاله، وتسابق الشباب الأصغر سنا إلى مواجهة العسكر، وكان غريبا جدا روح المواجهة والتحدي التي أظهرها هؤلاء الشباب بعد إطلاق النار عليهم، يقول احد الرجال، لو أقسم لي أحدهم ألف يمين لما صدقت أن هناك شباب تركض إلى الرصاص بإرادتها، لكني شاهدت هذا بأم عيني.

في درعا انطلق الشباب لتحرير سوريا، وليس لتحرير أطفالهم كما قيل..

اليوم يخرج احدهم ليقول نحن نخطط لهذه الثورة منذ خمس سنوات في محاولة دنيئة لسرقة جهود وتضحية هؤلاء الشباب الذين استشهد من استشهد منهم وجرح من جرح واعتقل من اعتقل وتشرد من تشرد.

اليوم ونحن نقترب للذكرى السنوية لتلك الجلسات التي كان يناقش فيها المكان الأمثل لخروج أول تظاهرة، والصرخة الأنسب، والرجل الأجرأ لإطلاق الصرخة الأولى، يتوجب علينا أن نقول لهم شكرا ونحفظ حقهم في أنهم كانوا الشرارة الأولى، لأنهم امنوا بيقين أنهم سينجحوا.

ينبغي لنا أن نبحث عنهم لتكريمهم لا أن نخوض صراعا حول تاريخ بداية الثورة، يراد به مقارنة من آثر التخطيط والتضحية على الأرض، مع من جلس خلف شاشته يضع تواريخا اعتباطية، دون أدنى دراسة للوضع في الواقع، ودون أدنى تنسيق مع شباب الداخل، وبعضهم لا يعلم أين تقع درعا.

ينبغي التحدث عمن استغل حاجة الناس لصوته ودوره الإعلامي ليأخذ الناس في مطالبهم شرقا وغربا، كأنهم فئران لتجاربه النرجسية.

ونتحدث عمن وضع نفسه في المقدمة، لأنه نقل في يوم ما صورة أو مقطع فيديو لمظاهرة، وهو ربما كان اقل الواجب، ناسيا كل تضحيات هؤلاء الشباب الذين يبتعثون عن هذه الأحاديث منشغلين في دفن أصدقاءهم أو انتظار المعتقلين منهم.

لم ينجر هؤلاء الشباب وراء أسماء جمع تأتيهم من حيث لا يعلمون، بما يشبه تسالي الأطفال، كانوا يعملون على حشد مزيد من الناس وقيادتهم وتعليمهم، وترتيب المشافي الميدانية، وتقسيم المهام على الناس، وكتابة لافتات، اثبت الزمن أنها الأنفع.

رفضوا العنف وحاولوا كبح دعوات العنف، لأنه وقع على عاتقهم حماية الناس بالكلمة والسياسة وليس بالبندقية.

رفضوا الطائفية مع انه لا يوافر لطائفية في مدينتهم ولكن من واقع خبرتهم لهذا النظام.

رفضوا الأيادي الخارجية منذ أول أسبوع لأنهم عندما انطلقوا في دعوتهم للثورة كانوا يحسبون لأدق التفاصيل، كان الشعب هدفهم، واسقطوا من حسابهم كل قوى خارجية لأنهم غير مرتبطين بهذا الخارج، وحاربوا الدعوات الآتية عبر شاشات التلفاز، لإنقاذهم والتسول على نضالهم، وتضحياتهم، كأنهم كانوا يرون ما سنؤول إليه الأمور لاحقاً

وهتفوا طلباً لغزعة الشعب السوري لا غير.

هؤلاء هم قادة الحراك الحقيقي، وهم من تثق الناس بهم وهم من وضع النظام قوالم تصفية بأسمائهم، استهلها بالشهيد معن عودات، الذي يقول الناس في ذكره: لم تخرج مظاهرة في درعا إلا كان معن في المقدمة، لم يخرج الثوار في درعا ضد النظام إلا كان معن ثالثهم.

ومعن له أصدقاء، يتوزعون في كل الأنحاء، يشبهونه حد التطابق.

لهؤلاء نوجه التحية في الذكرى السنوية للرعب الذي رافقهم في جلساتهم ومكالماتهم الهاتفية، في مثل هذه الأيام قبل عام، رسمت ثلة من المناضلين لنا طريق الحرية، وحددوا الاتجاهات بكلام واضح لا لبس فيه، وضاعوا بين الحشود، ولم يقل احد منهم حتى الساعة، أنا أول من خطط، وأنا أول من كبر، وأنا من فعل هذا، وأنا من قال هذا، وأنا من كتب هذا..

ينبغي أن نسأل أنفسنا اليوم، هل ضللنا الطريق؟؟؟

إعلام الثورة
بين الحاجة ورد الفعل

■ زياد رائد

منذ أولى لحظات الحراك المدني السوري، بدءاً من سوق الحميدية ووزارة الداخلية في دمشق مروراً بدرعا، وتحوله إلى ثورة عارمة على الجميع. رافق هذا الحراك تطور إعلام الثورة تطوراً غير مسبوق كتجربة إبداعية معبرة عن جميع نواحي هذا الحراك الشعبي. ويبقى تأطير هذا الإعلام البديل كوحدة متكاملة أمراً صعباً، حيث يختلف مراقبو هذا الإعلام الثوري عن مكوناته، ماهيته، دوافعه وتكتلاته الفكرية وآلية عمله.

بين الإخباري والفكري

بعد مرور عام على الثورة يبدو مشهد الإعلام البديل الثوري منقسماً إلى قسمين:

الأول إخباري. والثاني ظهر كرديف محرك معبر ناشر للأفكار والتحركات، تشاركي يعمل على توجيه الثورة ويمثل آفاق تطورها ويعمل على تشذيبها وتوجيهها. فما هو هذا الإعلام البديل الذي يوفر الغطاء الثقافي والإخباري للثورة السورية؟ وماذا بعد؟ وإلى أين؟ وما هو السبيل إلى تطوير هذه التجربة الإعلامية السورية الشبابية؟

فمنذ الأيام الأولى ظهرت صفحات إخبارية، على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"، تعمل على نشر وتوثيق الفيديوهات القليلة في البداية والكثيرة بعد حين. حيث شكل هذا الكم الهائل من الفيديوهات الأساس الإعلامي لتطور البنية الإخبارية للثورة السورية، فأولى الصفحات كانت "شبكة شام" و"أوغاريت" و "صفحة الثورة السورية ضد بشار الأسد" و"الغضب السوري" و"نستحق العيش بكرامة" و"فلاش" وصولاً إلى الكثير من الشبكات الخاصة بكل مدينة. حيث تطورت فيما بعد لتعكس عمل صحفي عفوي داخل المدن والأحياء، وتطورت شبكة من "التنسيقيات" لتكون الأساس لعمل إعلامي أكثر تنظيماً بحيث تشكل المصدر الأساسي لأخبار الفضائيات العربية والعالمية. مثال على ذلك "لجان التنسيق المحلية" و"الهيئة العامة للثورة السورية". فيما بعد، تفرعت هذه الجهات والصفحات المتبنية للأخبار بشكل ملحوظ وبنسبة كبيرة جداً. ونلاحظ أن توجه صفحات دعم المعتقلين ورثاء الشهداء تحول إلى أداة نقل ونشر أخبار صادرة عن المجموعات سابقة الذكر كصفحة " الشهيد حمزة الخطيب " مثلاً.

إن هذه الجهات الإعلامية الإخبارية التي تعد مصدراً للخبر والتوثيق، فتحت الباب لتطور دراماتيكي غير متوقع في البنية الإعلامية للثورة السورية. وبدأت مختلف التكتلات الفكرية بالتطور والتعبير بجميع الأشكال المتاحة عبر "المدونات، صفحات الفيسبوك، اليوتيوب، ومؤخراً تويتر". ولعب "موقع المندسة" في بدايات شهر أيار من العام الماضي دوراً هاماً في تنظيم عملية المشاركة الفكرية والنقاش العلني، فقد لوحظ أن أعداد الزيارات على هذا الموقع تجاوزت الخمسين ألف يومياً. تلا ذلك ظهور مواقع أخرى مشابهة "كموقع كبريت و "الحراك السلمي" و"أحرار" وغيرها من مواقع تعكس اتجاهات فكرية أكثر خصوصية.

وكأي أداة إعلامية متكاملة ظهرت الحاجة وبشكل تلقائي لانتشار أفكار داعمة للحراك منها الإبداعي والفني، ومنها الناقد الساخر. إبداعياً ظهرت سلسلة "حرية وبس" و" قصر الشعب" و"مصاصة متة" كحلقات أسبوعية شكلت حالة فنية رديفة لا تقل أهمية عن أي دور إعلامي كانت وماتزالت تقوم به الصفحات الإخبارية. والصفحات التي تعنى بالمجال التعبيري والفني ك "الفن والحرية" و"الشعب السوري عارف طريقه". فضلاً عن ظهور بما يسمى صفحات رد الفعل على خطابات بشار الأسد والأحداث الميدانية للثورة، كصفحات "الثورة الصينية" و "الثورة البريطانية" و "كلنا جراثيم" و "مغسل حمص للدبابات"... الخ. والجدير بالذكر كذلك الدور الرئيسي الذي تمثله راديوهات الثورة مثل "راديو 1+1" ولاحقاً "صوت العقل".

مطبوعات ثورية

يتطور هذا النظام إعلامي كتجربة إعلامية شاملة تتضمن الإعلام المطبوع الذي يعكس قدرة ديناميكية لنشر أفكار الثورة بين أوساط الفئات غير المتابعة للحراك المدني على الإنترنت، مدعومة من قبل التنسيقيات التي تعمل على نشرها وتوزيعها على الأرض. فظهر حتى الآن ثمانية جرائد مطبوعة، أولها "جريدة أخبار المندس" وتبعها "جريدة سوريتنا" و "مطبوعة حريات" و "بكرا سوريا" و "مجلة سوريا بدها حرية - تنسيقية المغتربين" و "صحيفة الحق - تنسيقية المبدان" و "جريدة عنبر بلدي - تنسيقية داريا"، ومؤخراً جريدة تابعة للجان التنسيق المحلية باسم "طلعنا ع الحرية". تعكس هذه المطبوعات الإطار الشعبي لكم الأفكار الهائل الموجودة على الانترنت، لكن يبقى عدم وضوح عدد الطبعات الموزعة وجغرافية الانتشار عائق أساسي في دراسة تأثيرها وآفاق تطويرها كتجربة سريّة سورية بامتياز.

وللإجابة على الأسئلة المطروحة سابقاً، نجد أن أي منتج شبابي ظهر في العام المنصرم داعم للثورة يندرج تحت مسمى الإعلام البديل الثوري السوري. وللإجابة على سؤال "ماذا بعد؟" وإلى أين يتجه هذا الإعلام بعد عام على بداية هذه الثورة؟ وماذا تستطيع أن تقدم بعد كمؤطر عام لخطاب الثورة السورية ومخزونها الفكري؟. بين الصعوبات التي تواجه هذا الإعلام من تواتر للإشاعات المتزايد وصعوبة العمل السري والاختلافات والتقسيمات الفكرية بين رمادي وثوري، يميني ويساري، مشاركين ومراقبين في هذا الحراك، فإن رؤى جعل هذا الإعلام أكثر فاعلية يحتم علينا تطوير مدى مصداقيته ودرجة إقناعه للفئات غير المنخرطة في هذا الحراك بعد. فهل تكمن الإجابة في درجة التنسيق والتعاون المستقبلي بين هذه الجهات الإعلامية البديلة؟ وهل من الممكن زيادة زخم هذا الإعلام بابتكار وسائل جديدة داعمة للخطاب الأخلاقي للثورة السورية، وملازمة لتطور الأحداث ميدانياً.

نافورة البلدة ومصنع السكر

■ شهادة: عدنان جابر
■ صياغة: علاء الرش

أهل حملتنا أمنا في بطن واحد؟) لا.. لكن كلما مررنا في الحي معاً، ثلاثة، كان الأهالي يرددون: (اللّه محبيّ البطن بلي جابكون، ولاد الجابر)، ربما لأننا وحدنا من أبناء البلدة، يتسللون بمهارة إلى معمل السكر، من غرفة مولّد الكهرباء القديم. هكذا كنا نسير سوية، تامر الأكبر، أنا، وأخي الأصغر (نوار)، ويرددون مرة أو أكثر، مرةً أو مرتين، لكنني مازلت اذكرها: (كأنكن ولاد بطنّ واحد). ووحدي انهممت بالتشابه الأخوي، والفروق الشخصية بين (تامر، عدنان و نوار)، أخواي يشبهاني، لا يشبهاني... إذا، كنا ثلاثة، ومنزلنا يطل على مصنع السكر.

(تامر) اهتم بالتصوير، وأوّل من حمل الكاميرا ليصور شيئا ما تلك الليلة المشؤومة. لم تعتد عائلتنا التقنيات، حتى أننا كنا نستمت بأن بعضنا يجهل تشغيل التلفاز أو تسجيل برنامج تلفزيوني ما. لكن تامر، وحده في تلك الليلة الربيعية، حين أجبرنا (أبي) أمام التلفاز، على الإنصات لخطاب " رئيس البلاد" بحسب قوله. وبما أن الإعلان الصباحي في القناة الرسمية لم يستعمل مصطلح " ثورة"، وإنما " الأحداث الجارية في سورية"، فقد تنبأنا سابقاً بموقف الديكتاتور، الذي فاجأنا بأكثر: (ثورة افتراضية تشنها وسائل الإعلام على أمن واستقرار مجتمعنا المسالم). أما أبي فيكرر: (على الأقل، عليكم أن تعرفوا ما يقول هذا الرجل، رئيس البلاد)، مستفزاً العائلة حول التلفاز. قبل ان تنفك العقدة على جبين أبي، كان الخطاب يشارف ع النهاية. فتح تامر الكاميرا بهدوء، كبس الزر، التقطت العدسة كل الأمان الوهمي في غرفة العائلة الدافئة. وفي تلك اللحظة، ربما.. توقع (تامر) بأنه سيسجل موت أبي، لنكرره مئات المرات، في مشهد لا ينس.

لم اسأل (تامر) حينها، كيف عرف؟ لماذا اختار هذه اللحظة؟. كنت أتبع أخي الأكبر وهو يحاول السير خلف أبي، كسلسلة. نطق الرئيس السطر الأخير، فتح أبي عقاله المقلم، وخرج. تلتقط العدسة رمادية عصر الخميس ذاك. ثم اشتعلت أنوار البلدة، بيتا خلف آخر، وتعالت تساؤلات من مربعات الشبابيك: (أين يذهب أبو تامر في هذه الساعة؟).. (آه.. انظروا عائلة (أبو تامر)، يسيرون كسلسلة، خلف بعضهم البعض، عائلة الجابر.. "..

وازداد فضول من يتبعنا، مختلطاً في عيونهم بالترقب، أشعروا بأن شيئا ما، ليس محصورا على أجسادهم فقط، يفور في دم عائلة (الجابر). أبي كأنه يبحث عن مفقود، عيناه ثابتتان ع الأرض، والصمت تسيّد خطواته 150، حتى وصل إلى ساحة القرية. 150، لأن (تامر) يصوّر. حين وصل إلى مركز البلدة، وقف على سوّر نافورة الساحة، أعلى حجر، فالتسلق على نصب الرئيس محرم، ووضعية الوقوف فوقه مستحيلة. تجمعت عائلات سهرانة، دوائرا دوائر.. أطفال بمرايل زرقاء،، شحاطات أتثوية بأصابع مخرجة من الفقر. كل العيون نحو أبي، فعجز... صمت طويلا.. ارتبكت الجموع. ولا كلمة... وقبل أين يبتعدوا عنه مللا، لفظ شيء ما. لم يسمعه الجميع، ثم كرره: (الشعب يريد إسقاط النظام). الحنق أوصل صوته للجموع، فقالت خلفه، في المرة الأولى التي تردد فيها بلدتنا هذا الشعار: (الشعب يريد إسقاط النظام، الشعب يريد إسقاط النظام).. ثم طب أبي أرضاً، ومات. العدسة خلّدت لنا حنقة الآلاف المرات، ففي منزلنا فيلم بعنوان: " لحظة موت أبي غضبا".

في جمعة 8-12-2012، امتلأت البلدة بالتظاهرات السلمية، لكن (نوار) غائب، هتف الأهالي للحرية، الكرامة، واللّه... أصر بقراره: (نسرين وحدها..). أي عذر هذا، وينوع من السخرية المكبوتة، أخجل أن رفضه: (نسرين مريضة وحدها!!!). آه... ها أنا احتاجه، اسمع حولي هدير الهتاف، الصوت الممتع المخيف، الذي لا يكسره إلا صوت قلبي. قلبي متسارع كمعركة، والأصوات تتضارب من جديد. والرصاص يتداخل بالنشوة، والناس تهرب من الصوت. برهة، وهمدت نشوتي من صراخ امرأة مرمية بجانبي، أعلى زعيق بشري في الشارع. وصلت، بقدر ما، سيارة الإسعاف. كنت أفكر بـ (نوار)، أين هو الآن؟، وأرسلت له رسالة. فكرتُ مباشرة بركوب السيارة، وربما لإسعاف المرأة المذعورة. استدرت إلى السائق: "أين نذهب؟ "، قال: (أي مشفى ميداني). كان هناك أكثر من مصابٍ في المقعد الخلفي. والخجل منع السائق من التأكد إن كانت المرأة الذعرة مصابة فعلا.

بالنعومة، ثلاثتنا متشابهين في الجسم البض... لكن شعر الأصغر الفاحم، وصمته خلف شباك فارغ، أو منظر بلدة تحت الرماد، ذلك، يوحي بأن (نوار) أكثرنا رومانسية. لديه (نسرين)، نحيلة، ببسطار جلدي أسود، تحته بنطال بسناسل فضية. الرداء الأشد سوادوية من فتيات الحي. (نوار ونسرين) بديا للجميع، ولأفراد العائلة منعزلين، من الموسيقى الإلكترونية، ربما يستمدان طاقاتهما المتطرفة بالسلمية. بدايةً، لم أواجهما برأيي. أعرف جواب (نوار) سلف: (دعني. لكل ثورته)، وبعيد الهيتفون، موسيقى قيثارة إلكترونية... بهالنوع، بيكون الرد. لذلك، قررت تعقبه. إلى أين؟ سوق الأطباء؟ لكن ما المهمة؟ كان المساء متوسط البرودة، الشوارع خالية تماما، و اختار (نوار) الذهاب مشياً... تنقل سريّ. انزوى بغتة، اعتقدت أنه عرفني. لمحني بطريقة ما، دون أن يستدير إلى الخلف، ثم أخرج من حقيبته سلكاً، وتابع متنكراً. من حارة إلى حارة، يغير أسماء الشوارع، يلصق أسماءا جديدة، على البلاكات الزرقاء المعدنية، التي تحمل أسماءاً أرادها النظام. قرأت: "شارع الشهيد غياث مطر". يغامر (نوار) بكل حياته، ليرفع علم الاستقلال على بناء ما. "ما فائدة كل ذلك؟ عليك أن تتوقف عن فعل أشياء لا تفيد بشيء.. شو بيتغيّر بتغيّر أسماء الشوارع؟ التظاهر معقول... ولا تقل لكل ثورتو. جهز نفسك بكرا للتظاهر). حضرت أمي من صوتي. : (لن أخرج للتظاهر، نسرين بكرا وحدها. مريضة) قال نوار. قالت الأم: (اتركه). : (أبدا، يعرض حياته للخطر مشان أشياء بلا فائدة.. ع الأقل بالتظاهر نحن جماعة. تموت؟ هناك من يساعدك. لحالك، تموت بالليل، تموت جثة بلا سم). حينها أجاب نوار: (لا تقلق، بالعادة فيّي مين يصورني. بس نسرين مريضة).. وتدخلت الأم بحزم: (وأخوك يصور أبوك لحظة موته)، ولعنت الكاميرا بصوت منكسر. لكن نوار أضاف كلمة بخفوت، لم تسمعها الأم، في ابتعادها: ماما، تامر يجهل لحظة موت أبي. كانت مجرد صدفة). صدفة أبدية.

لمحت (نوار) في الممر. وصل المشفى قبلنا، وجلس بجانب بعض الأطفال الجرحى. وعند زاوية أطفاله، ارتكنت من الذعر، ومن فوضى الأجساد، اقتربت لأضمه، فلمحت كاميرته. تربعت بهدوء، وخلفي نور خفيف أبيض، قادم من تجمع أهالي الجرحى، وقلت: (أتصور مجددا؟!)، وانتتر، أغلق الكاميرا، ودنا من أذني بوحشية،

وهمس ككقاتل: (اتركني، بدي ورجي الحميّر أنو ثورتنا، منها افتراضية... ها؟ عرفتهم؟ بدي يشوفو هي القذارة ع الحيطان، ويسمعوا الموتى). كان صمتي فسحة لعلو نحيب بعيد، نحيب حي. سألت: (وين تامر؟)، (أخوك الكبير تخفى، راح. تركلك هالشي.. مشان معمل السكر. بقلك تشجع يا جبان بقى). الدخول الثاني لعناصر الجيش النظامي إلى البلدة، ورحيل (تامر)، أكدا حدسي. تركني أخي الكبير أمام خيار مصيري، نذر نفسه لتصوير مواقع تمركز العسكر في البلدة، وسيختفي نهائياً. وعليّ وحدي التسلسل إلى معمل السكر، عبر مولد الكهرباء، حينها، صدح صوت فتاة، في كامل أرجاء المشفى الميداني، بأغنية عن الوحدة والألم، التقطتها كاميرا (نوار) الرومانسي.

في الجمعة التالية مساءاً، طلبت من (نسرين ونوار) إعادة تسجيل غناء الفتاة في المشفى الميداني، موّال بين الموت والحب. (نسرين) أول من بكى من بيننا الثلاثة، انسحبت وحدها، وقبل انتهاء اللحن الأكثر ألماً، لحق بها (نوار). ليس لطفلة أن تحمل أنينها بمشاعر البالغين. عبر شاشة الكومبيوتر، يمّر ذلك الحد الفاصل بين الجمال والعذاب، في لحن الفتاة. لا فرق بين البكاء ودفق الحنين. ارتحلت مع صوت الطفلة إلى عذابات كل امرأة مفجوعة. دفعتني رغبة بالسير وحيداً في البلدة، تاركاً حزن (نسرين) لرقة (نوار). سرت طويلا بومها: "الآن، أين هو (تامر) سرت مسافو طويلة، قطعت البلدة، واتجهت إلى أحراش التلة المعمل الجنوبية، كأنني بإتجاهي إليه إنهي قلقي منه.

استيقظت على طرقات خفيفة ع باب غرفتي. صباح اليوم التالي، شمس الغرفة قويا، حتى أن وجه نسرين بدا نيرا رغم الغرة السوداء. جلست إلى جانبي، ثم رددت بصوت خافت، وهي تلمس الكنبة: (البس تيابك، بدنا نشوف تامر). أتعرف مكانه؟ نسرين، وحدها، والغموض يثير كل حركاتها. طاوعتها، ركبت معها سيارة مع ثلاث شبان. طيلة الطريق، لم يتفوهوا بكلمة. هجرت الشوارع من سكانها، والأحياء التي لم نمر بها منذ أشهر، كنا نراها فقط على الشاشات الرسيمة تنعم بالحياة، هي الآن أحياء موتى؛ أوراق نعوت، وبعض الريح تلهب ثقل الجو. لمحت عبر المرآة اليسرى، لأول مرة، مسدس على حضن (نسرين)، وأدركت بسرعة، أن الشبان المرافقون كلهم مسلحون. قالت (نسرين)، دون أن تنظر إليّ عبر المرآة: (لا تخبر أخاك الأكبر بما يفعله (نوار). ولا تخبر أي منهما بما رأيت في حضني؟)، أجبت بهدوء وكأني فهمت مبتغاها: (أتخدعين حبيبك؟ أتخفين سلاحك عن نوار؟. حدقت عينيها بالمرآة بغضب، أمرت الفريق: (إذا علينا إيقاف الرحلة.. لن نتابع) استجاب السائق ككقطة، أوقف السيارة. هنا التفت إليّ (نسرين) وطلبت وعداً ملزما: (لن تخبرهما؟ ها؟ ما قولك؟).

وقعت الحادثة، في صمت انتظار جوابي. صاح السائق ع باقي أعضاء الفريق: (كمين، كمين)، أمرت (نسرين): (كما اتفقنا إذا.) حاولنا العودة للخلف بالسيارة. لم يكن كميناً منظماً، أربع أو خمس رصاصات، لكنها أصابت أحدنا. دماءٌ نفرت من صدر السائق، حتى المقعد الخلفي، بجانب بنصري. طلبت (نسرين) على الفور أن أقود السيارة. زدت من التسارع إلى 80 كلم/سا، بينما اشتد أنين السائق، لم أكن أعرف اسمه. لكنه طلب ما لا ينس، من قائدة الفريق. قال السائق بشفاه جافة: (نسرين.. اشعلي الكاميرا، صوريني، وصية للصبية). : (مو جاهزة) حزمت (نسرين) قرراها، وهي تبدل ضماده الشاشي. : (لست جاهزة)، وابتعدت أصوات إطلاق رصاص. عصر السائق بيده الضخمة على معصم (نسرين)، وأوقف تبديل الضمادات، وبكى. وترجاها كي لتصوره. كلمة أخيرة إلا ابه ليس إلا كان يرغب أن يودي بكلمة أخيرة إلى ابنته. رضخت نسرين، أشعلت الكاميرا، وصوّرت وصيّة جميلة، كئيبة، وعائلية.

لم يعد أمامي خيارٌ آخر. قررت التسلسل إلى معمل السكر. بأي شجاعة؟ لا جواب واضح بداخلي، ربما لأن "الله محيي بطن ولاد جابر"، وربما رؤية "الموت"... لا أعرف. في ليلة الصقيع تسللت داخل غرفة مولد الكهرباء القديم. المكان بارد، وبعد خطوات، أصبحت البرودة أشد في الممر، سحباً دخانية كالضباب. لم يفاجئني وجود برادات في مستودع السكر، لم يفاجئني وجودها حينها، بدت لي أمراً طبيعياً أن أمر من مناطق غريبة في مغامرتي القدرية. أضاء نور الكاميرا في يدي، واكتشفت أن ما خلف زجاج البرادات، لم يكن بياض السكر. ما هي، إذاً؟ أسنان بيضاء، أو بودرة؟ لن أنسى هذه الرؤية، جثث، جثث مكدسة، كأنها منحوتات حجرية قديمة؟ بانت عيونها. نسوة، نسوة، بأطراف مفككة. مجازر أخفيت ضحاياها هنا، مازالت عيونها تضجّ بذعر أخير. العدسة تقوم المرور لتدقق عروق العيون النضرة. أذرع، بنصر، أرجل مقطوعة ومحروقة. مرت الكاميرا...

حتى هذه الليلة، ترافق هذه الرؤية كابوسي. ويتكرر اسم الموت في ذهني دوماً على أنه شيءٌ بين الخوف والجمال أيضاً. واحتاج للسكينة شوارعاً دافئة، طويلة، من تلك الشوارع التي يغيّر (نوار) أسماء ماضيها. وصرخة الموت، مازالت تمرّ عبر الكاميرا، من مدينةٍ مظلمةٍ إلى مدينةٍ منهوبة. تمتد صرخة الموت إلى ضمير البشرية أجمع، وربما إلى خيالها المستقبلي، حيث أتمنى، ع الأقل، أن تكون الشوارع مليئة بألوان، مازال (نوار) يتسلل ليلاً، ليمزجها.

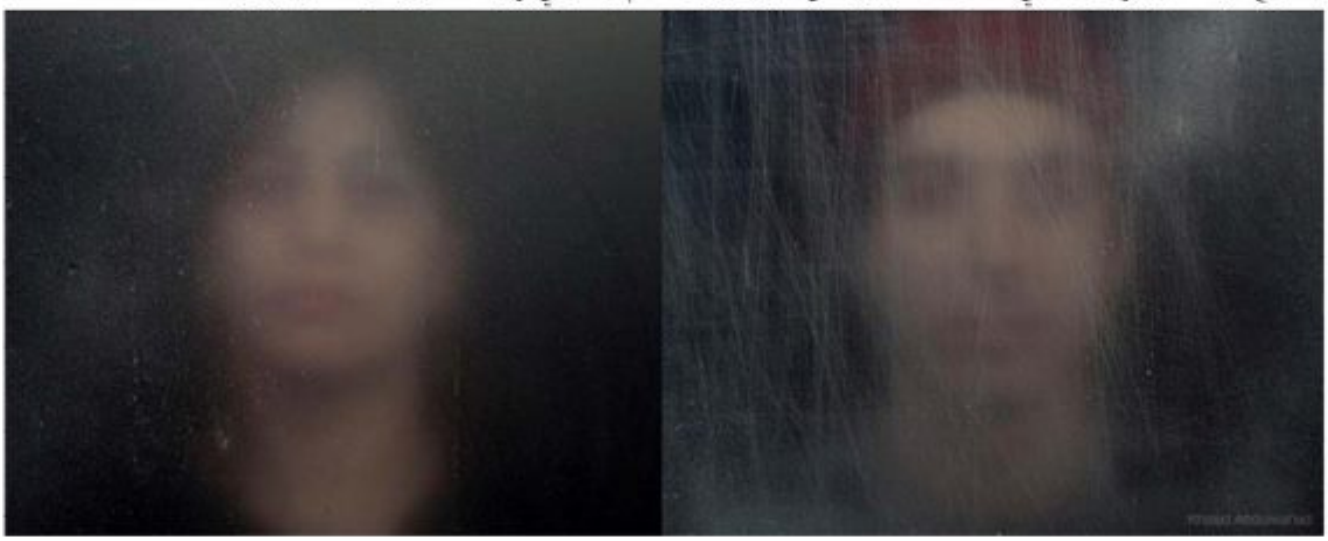

قصتنا والبلد

■ شام داود

أنا وأنته لما تعرفنا ع
بعض كان بدنا نفس الشي..
بنحكي نفس اللغة... بنفس
البرادة والنكت اللي ما بتضحك حدا
غيرنا... يمكن أنته كنت تضحك وأنا
كنت أزور... بس كان القلب يدفي
سوا.. بنسمع نفس الموسيقى بيجوز
أنته هارد روك أكتر وأنا التراتيف..
بس كنا نسمعهن سوا..
أنا كنت أكتب وأنته ما كنت تحب تقرا..
تتعب من وراقي وأنا أزعل لما كنت تزيحا
وما تقرا، بس أنته كنت تقلي حكيلي..
تفرح بحكيي وأنا افرح بعيونك..
....
بلدنا سماها نفس السما
وهواها حلم ع تراب قاسيون. لما
كنا نتفرج عالشام من فوق سوا..
أنا وأنته كنا سوا... وتفرقنا مع أنو
أنا وأنته بنحب نعيش تحت الجبل...
بنفس البلد... عطريق حمص...
وجبال طرطوس... وبيت الضيعة..
والمزرعة.. وتخباية ورا حدود
الشام... وضحك ما بيخلص...
أنا وأنته سوريين... عم تسمعني
متل اللي كان قبل هداك الزمن..
...
أنا وأنته من نفس هادا البلد..
أنا وأنته بعدنا بس بعدها البلد..
لا أنا ولا أنته بنقدر نعيش
بدونها... يمكن بعدنا... بس لا تخلي
بعدنا يبعد البلد..
أنا وأنته يمكن حبيبين... يمكن
رفقات قراب... يمكن جيران... يمكن
ربينا سوا يمكن لأ..
أنا وأنته ولاد هالبلد... وبس
هالبلد هداك الزمن راح...
خلينا ندير بالنا عالبلد...
هادا الزمن زمن حريتنا زمن
سوريا...
وزمن حكينا عنه قبل
قرب منا أكتر
أنا شو ما قلت عنك ووصفتك
بكلمات...
وأنت قد ما شوهو صورتي
قدامك بكلمات
قد ما صار ولسا رح يصير بس
ما رح صدق أنو أنا وأنته ما كنا
طرقاتنا بعدت بس بعدها البلد
نفسها وبعده الطريق تحت قاسيون
ما تغير
أنا وأنته
سوريا الحرية القادمة
أنا وأنته أجمل وسوريا فينا
أجمل وحتى لو ما بقينا بس البلد
بعدها فينا
أنا الحرية... وأنته الحرية...
ونحنا ولاد هالبلد
ونحنا ولاد هالبلد

حمل لوائي حياتي | الى كل امرأة تناضل من أجل حريتها

هرمنا يا تونس.. وعجزنا يا سورية

■ ديمة خطيب

كم هو فظيع ذلك الشعور بالعجز، العجز بكل معانيه. العجز أمام ما يحصل في الوطن، العجز أمام الدماء التي تراق والكل يعرف أنها ستراق كل يوم وكل ليلة.

العجز اللوجستي، العجز البدني، العجز النفسي، والأخطر: العجز الأخلاقي.

العجز - عن بعد - أمام وطن يتمزق، وأناملا لا تزال تلعب الشطرنج بأرواح السوريين في قاعات وأروقة فخمة حول العالم، قبل أن تتناول لقمة بعد الأخرى من مائدة «الكبة النية» السورية التي أعدت بلحم سوري حي، ثم تتقاسم الأكاذيب كما يتقاسم محتفلون قطعا من الحلوى، وهي تشرب كأسا بعد الكأس من دماء السوريين وترفع أياديها لتقول: كاسك يا سياسة، كاسك يا طائفية، كاسك يا جيوبوليتيك.. تقولها بالعربية - بلهجات عدة - وبالفارسية وبالصينية وبالانكليزية وبالتركية وبالفرنسية وبالروسية وحتى.. بالاسبانية. هل نسيت لغة من لغات لاعبي الشطرنج الدولي، كبارا وصغارا، على طاولة بمشقية خشبية اختطفوها من أيادي من صنعها ونقشها وضحى من أجلها؟

أسمع ضحكاتهم وخطاباتهم و - في قمة عجزي - أقول: تبا لك يا سياسة، تبا. أنت أبشع «علم» ابتكره الجشع الإنساني، أنت «علم» يجرد الإنسان من إنسانيته. أنت «علم» الوحوش في الغابات.

قال لي أحدهم على فيسبوك: نحن مصابون باتعدام الشعور.

كلا يا أصدقائي.. كلا!

انعدام الشعور ليس حقيقة، بل هو وَهْمٌ نقنع أنفسنا به لأنه سبيلنا الوحيد للتعامل مع هكذا عجز.. نتظاهر بأننا منعدمو الشعور لأن الألم أكبر منا.. كان عندي نفس الشعور إبان غزو العراق، وحرب اسرائيل على غزة. الغضب يتحول إلى كتلة لا نعرف كيف نتعامل معها بسبب عجزنا لأننا مكبلون، نكاد نختنق.. الحبل حول رقابنا هم زعماؤنا.. لأن زعماءنا ليسوا زعماء، ولا نجد من يمثلنا في غضبنا.. ونجد أنفسنا أمام خيارات كل واحد منها أمر من الآخر. فنختبئ، بسبب عجزنا، في وهم انعدام الشعور.

تذكرت ذلك الرجل التونسي الذي قال في مطلع الثورات العربية: هرمنا.. قالها تُعبيرا عن أمل ولد في سيدي بوزيد لدى الشباب بينما هو شعر بأنه هرم في انتظار اللحظة التاريخية.

أقول له: لقد وصلت اللحظة التاريخية إلى سورية، ونحن.. عجزنا.. عجزنا يا صديقي التونسي لأن السياسة امتطت الثورة، لأن السياسة تأكل الثورة كما تلتهم الذئاب الجائعة فريستها، تنهال عليها بلا رحمة، تتسابق وتتدافع على نهش لحمها، وهي لاتزال حية.

سورية حية يا صديقي التونسي، تضحي كل يوم، تتمزق كل يوم.. سورية حية يا صديقي التونسي وتتمسك بالحياة رغم كل شيء.. نشاهد أشلاءها تتحرك أمامنا، كل يوم، وهي ترى عجزنا يتجمد أمامها، كل يوم.. نسمع صرخاتها الأليمة، كل يوم، وهي لا تسمع، كل يوم، سوى صمتنا المطبق.

من مدونة: وريقات من ديما
التدوينة مهداة إلى والدتي وهي تعبير عما شعرت بأنها تمر به وتمر به كلنا

شهداء سورية

مجموع الشهداء (9397)

دمشق: 184
ريف دمشق: 872
حمص: 3402
حلب: 280
حماه: 1208
اللاذقية: 378
طرطوس: 173
درعا: 1002
دير الزور: 328
الحسكة: 92
القنيطرة: 17
الرقة: 48
ادلب: 1251
السويداء: 50

1826 عدد العسكريين
7548عدد المدنيين
311 عدد الإناث
8400 عدد الذكور
141 عدد الأطفال الإناث
522 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 10 / 3 / 2012